عوامل الاستقامة

وأسبـــاب الانحـراف والسقوط

إعداد/ محمد محسن الفَـرح

الله أكبر
الموت لأمريكا
الموت لإسرائيل
اللعنة على اليهود
النصر للإسلام

حُقوق الطَبع مَحفُوظة للمُؤلف

الطبعة الثالثة

1438هـ - 1444هـ

طبعة معدلة ومصححة

رقم الإيداع (506)

الإخراج والتصميم :

محمد السنفي

إهداء

أهدي هذا الجهد المتواضع إلى روح والدي العابد المجاهد.

الذي زرع في قلوبنا المسؤولية وحب القرآن ومحبة الرسول وأهل بيته الأطهار.

ودفعنا لاتباع سيدي ومولاي الحسين بن بدر الدين (رضوان الله عليه) والسيد القائد: عبد الملك بدر الدين الحوثي (يحفظه الله).

أبي

رغم الصعوبات والمخاطر والتحديات التي مرت في حياتنا لم تطلب مني أن أتوقف، ولم تثبطني عن مسيرة القرآن.

لقد كنت معلماً ومربياً وكنت القدوة في الصبر على العبادة والبلاء.

ولولا رعايتك وتشجيعك على التعلم والعبادة والجهاد لما كتبت حرفاً واحداً.

أبي

سلام على عينيك النائمتين منذ أعوام.

سلام على رائحتك العطرة في باطن الأرض.

سلام على آثارك التي تركتها في نفوسنا، وسلوكك الذي رسمت به معنى الاستقامة والورع وزكاء النفوس.

رحلت عنا وأنت بتوفيق الله وتسديده مشهود لك بالتقوى وطهارة القلب ومحبة الآل الكرام.

ونحن عن قريب لاحقون نسأل الله أن يجمعنا بك في مستقر رحمته.

مُحتويات الكِتاب

الفصل الأول: مفهوم الاستقامة وحاجتنا الملحة لها	15
مدخل عن الإستقامة	17
المبحث الأول: مفهوم الاستقامة وأهميتها	18
مفهوم الاستقامة	18
أهمية الاستقامة	20
حرص الأنبياء على الاستقامة	23
نظرة الإمام علي إلى الاستقامة	24
زين العابدين وحرصه على الاستقامة	25
الربيُّون والراسخون في العلم	26
المبحث الثاني: ضرورة الاستقامة والحاجة الملحة لها	29
أولا: الاستقامة صلة إيمانية بالله	30
ثانيا: الفاعلية العملية	33
ثالثاً: الاستقامة في صراعنا مع أهل الكتاب	35
رابعا: الاستقامة أمام شبه ومتغيرات ومؤثرات الحياة	38
خامساً: الاستقامة سبب للهداية	43
الهداية إلى طريق الحق	44
الهداية في الثبات على الحق	47
معايير الاهتداء	48
الفصل الثاني: سنة الابتلاءات	53
مدخل عن: ضرورة الاستقامة أمام الابتلاءات والفتن	55
المبحث الأول: مفهوم سنة الابتلاءات	57
مجالات الابتلاءات العملية	61
المجال الأول: الابتلاءات المادية	62
أولا: الاختبار في المواقف والمسؤوليات	64
الثبات على الحق	64
القيام بالمسؤولية	65
الجهاد والصبر	66

مُحتويات الكِتاب

ثانياً: الاختبار في حالات التمكين 68
المجال الثاني : الابتلاءات المعنوية 71
أولاً: الاختبار في الولاءات 72
الاختبار في التسليم والطاعة للقيادة 72
الاختبار الكاشف للخونة والمنافقين 75
ثانياً: كشف حقيقة الذين في قلوبهم مرض 77
طلحة والزبير (دروس وعبر) 84
المبحث الثاني: نتائج الابتلاءات العملية 86
أولاً: التربية وتقييم الواقع 87
نتائج تربوية 87
نتائج تساعد في إصلاح الواقع 89
نتائج تفضح العناوين الزائفة 90
نتائج تعرف الناس بحقيقة بعضهم 92
ثانياً: ابتلاءات عقابية وتأديبية 94
الابتلاءات التأديبية 94
الابتلاءات العقابية 96
الفصل الثالث: أسباب الانحراف والسقوط 102
مدخل 105
العامل الأول: الخلل في البصيرة 107
أولا: التضليل 108
ثانياً: الدعايات والشائعات 109
ثالثاً: التخويف والإرجاف 111
العامل: الخلل في السلوك والأداء العملي 119
أولا: الخلل النفسي 119
الاطماع المعنوية 119
الاطماع المادية 123
الفساد الأخلاقي والمالي 126
ارتكاب الذنوب والمعاصي 127
اتباع خطوات الشيطان 128
ثانيا: الخلل العملي 132
محبطات العمل الصالح 132

العوامل التي تحبط العمل	133
العوامل النفسية المحبطة للعمل	134
الانحرافات في الأداء العملي	136
الانحراف في مستوى الاندفاع	136
الانحراف في التوجه والدوافع	138
الفصل الرابع:عوامل الاستقامة	143
المبحث الأول: الارتباط الوثيق بالله	145
العامل الأول: الدعاء والالتجاء الى الله	145
اولاً:ترسيخ العبودية لله والتسليم له	148
مفهوم التسليم	153
ثانياً:الارتقاء الإيماني	153
ثالثاً: الصبر العملي	156
رابعاً: الحفاظ على الإخلاص لله	158
خامساً: استشعار القصور والتقصير	161
سادساً: الحذر من خطوات الشيطان	165
سابعاً:تقوى الله والخوف منه واستشعار رقابته	166
المبحث الثاني: الوعي والبصيرة	173
العامل الثاني: من عوامل الاستقامة (الارتباط الوثيق بهدى الله)	173
المبحث الثالث: كيف نهتدي بالقرآن الكريم	180
اولاً: الارتباط بالله وطلب الهداية منه	182
ثانياً: الارتباط به وفق سنة الله في الهداية	188
ثالثاً: تصحيح النظرة الى القرآن الكريم	191
الأمر الأول: إجلال القرآن وتقديسه وتعظيمه	192
الأمر الثاني: التعامل معه ككتاب هداية	199
رابعاً: التعامل معه كمنهج عملي ومشروع حياة	201
خامساً: العمل الجماعي في إطار أمة	206
الفصل الخامس: وسائل التزكية والهداية والصلاح	209
مدخل عن وسائل التزكية	211
الوسيلة الأولى: طلب التزكية من الله	213
الوسيلة الثانية: تلاوة القرآن الكريم	215
الوسيلة الثالثة: الاهتمام بالجوانب العبادية	217

اولاً: الصلاة	219
ثانياً: الزكاة والإنفاق	224
ثالثاً: الصيام	228
الوسيلة الرابعة: الذكر لله	229
اولاً:الدعاء	231
ثانياً: التسبيح	234
ثالثاً: الاستغفار	238
رابعاً: التوبة والإنابة الصادقة	248
الوسيلة الخامسة: الالتزام بالقيم الإيمانية ومكارم الأخلاق	256
مكارم الأخلاق تجسد الانتماء للإسلام	258
الاخلاق أساس الحضارة	259
اولاً:التفكك الاسري	259
ثانياً: انتشار الجريمة	260
ثالثاً: الازمات النفسية	261
برنامج رجال الله وتأثيره النفسي والعملي	263
الخاتمة	265

مُقَدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم اهدنا وتقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم.
الحمدلله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين، ورضي الله عن صحابته الاخيار المنتجبين وبعد:

خلق الله الانسان وكرَّمه وأسجد له الملائكة، وسخر له ما في السماوات والأرض، ومنحه مقومات نفسية تؤهله لدور عظيم في هذه الحياة، ولتحمُّل مسؤولية كبيرة، تحدث القرآن الكريم عن عظمها، في قول الله -جل شأنه-: ﴿**إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإنسان إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً**﴾ [الأحزاب ٧٢].

والانسان هو المخلوق الأهم والمسؤول في العالم، حيث ارتبطت به أدوار الكائنات في هذه الحياة، وهو العنصر الذي بصلاحه تستقيم الحياة، وبفساده تفسد الحياة، وتصل أضراره الى أعماق البحار.

وفي إطار المسؤولية الكبرى يبقى الانسان في حياته مسؤولاً عن أعماله وعن أقواله وعن مواقفه وعن قراراته، يحاسب ويعاقب ويراقب ويجازى على ذلك، وعظم الجزاء يدل على عظم المسؤولية، ﴿**فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ**﴾ [الزلزلة:٧ - ٨]. وهذه المسؤولية يتحدد فيها اتجاهه إما مؤمناً صادقاً صالحاً مستقيماً، وإما منحرفاً ضالاً وفاسداً.

وبما أننا بشر لنا نوازعنا وغرائزنا، ونعيش في ميدان مليء بالمؤثرات والأعداء من شياطين الجن والإنس، فالإنسان عُرضة للانحراف سواءً الجزئي، أو الإنحراف والسقوط الكبير.

لذلك أولى الله الإنسان رعايةً نفسيةً وذهنية خاصة من بين جميع مخلوقاته، وأعطى أهمية بالغة لكل ما يزكي نفسه ويعالجها من الامراض، وكل ما يصحح أفكاره ومعارفه، ويمنحه الحكمة والرشد في حياته، وحذره من الشيطان ومن مخالفة أوامر الله ونواهيه.

وقد حدثت أول حالة تفريط بشرية، عندما أكل آدم وحواء من الشجرة التي نهاهما الله عن أكلها، فكان ذلك مخالفة لله، قال تعالى:﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى * ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى * قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [طه:١٢١ - ١٢٤] ولأن من لازم التفريط بهدى الله، والانحراف عن تعليمات الله، أن يشقى الإنسان وتتدهور حياته، خرج آدم من جنته ومعه حواء، ونُزعت عنهما ملابسهما، وبدءا رحلة شاقة في الحياة، وتحدّد مستقبل الإنسان في الدنيا والآخرة أن سعادته مرهونة باتباع هدى الله، وأن شقاءه وخسرانه وضلاله مرهون بالإنحراف عن هدى الله والانخداع للشيطان وأعوانه، فإن إهتدى الانسان كان لهذا الهدى أثر كبير على نفسيته، فيتحول إلى إنسان متفانٍ وعظيمٍ ومؤثرٍ، ويتخلص من الرذائل وكل ما يحط قيمته وكرامته، وإن انحرف عن هدي الله وفرط في توجيهات الله وتجاهل تعليماته، يشقى ويعيش الضلال والعمى.

ومن مظاهر مُلك الله ومقتضيات حكمته، ولوازم رحمته بعباده أن يرعى البشر بهدايته ويوضح لهم مسؤوليتهم في الحياة، وأن يدلهم على الخير ويرشدهم الى ما يسمو بهم؛ فأرسل الله رسله بالهدى منذرين ومبشرين ومُعلمين وهادين، وساعين إلى استنقاذ البشر وتحريرهم من العبودية لغير الله، ورفع الظلم عنهم، وتزكيتهم وتنويرهم، وإبعادهم عن الرذائل، وتربيتهم على مكارم الأخلاق، ليكونوا في مستوى مسؤولية الاستخلاف لهم في الأرض، فيتحركوا في واقع حياتهم، وفي قيامهم بمسؤولياتهم في الحياة بسمو النفوس وزكائها، وبالقيم ومكارم الأخلاق، وبالوعي والحكمة، وبالعدل والحق وفق منهج الله، وفي إطار عبوديتهم لله، وفي ذلك ما يحصنهم من الإفساد والظلال.

وعماد استقامة الإنسان وصلاحه ونفعه في الحياة، وعلاج مشاكله، يبدأ من تزكية نفسه وتنويرها؛ فكلما تدنست النفس الإنسانية تتحول إلى منبع للشر، وتتسبب

في نشوء المشاكل في هذا العالم، وكلما تلوثت أفكار الانسان وشابها الغلط، يفقد الحكمة والبصيرة والرشد، ويتحول الى جاهل وضال.

ومن هنا تحدد دور الرسول -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- من خلال هذه الآية: ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾[الجمعة:٢] ويترافق مع تزكية نفوسهم تغيير ما لديهم من رؤىً سخيفة، وأفكارٍ ظلامية، وتصورات خاطئة، وعقائد باطلة، ومفاهيم مغلوطة، و استنقاذهم من ظلمات الجهل وظلمات الضلال والخداع والباطل و يكشف لهم الحقائق، ويخرجهم إلى ضياء الحق ونور الهدى كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحديد:٩].

وينبني على الاستجابة له والاهتداء بهدى الله، بناء أمة متزنة ترى من حولها بنور القرآن، وتقيِّم الأمور وتنظر إلى الأحداث من خلال القرآن، فتكون أمة حكيمة، تحمل الحكمة رؤية وسلوكاً ومواقف، وهذا ما حدث عندما بعث الرسول إلى امة جاهلة، فنقلها نقلة عظيمة من ذلك الواقع المظلم الذي كان يعيشه العرب، ﴿وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة:٢].

والقرآن الكريم بهديه العظيم ونوره الوهّاج في كل عصر وزمان يُعطي الإنسان رؤيةً ونوراً وبصيرةً تجاه الواقع وتجاه العدو، ويعطي فهماً صحيحاً وتقييماً دقيقاً للأمور، وحكمة عالية، ويعطي وعياً يحصن الانسان من التضليل الإعلامي والثقافي والفكري والسياسي، ويحميه من الانجرار الى الظلام والى المتاهات، قال الله عنه: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾[إبراهيم:١]؛ فلا يعيش أعمى وساذجاً في تفكيره، وسطحي في نظرته، وأحمق في تصرفاته، ولا يقبل الخداع والتضليل.

ورغم الانحرافات الفكرية والعملية التي شابت واقع الأمة الإسلامية، بقي للحق امتداد داخل هذه الأمة في كل مراحل تاريخها حتى يومنا هذا، فلم يخلُ زمان من قائم بالحق يهدي الأمة ويقودها على أساس القرآن الكريم ويدعوها الى عبادة الله، ومواجهة المستكبرين؛ ومع ذلك كله تكررت حالات الانحراف عن خط الاستقامة، ولم يخل زمن تقوم فيه مسيرةٌ للحق من حالات السقوط والاعوجاج عن منهج الحق، وصفحات التاريخ مليئة بالقصص المتعددة عن حالة الزيغ التي حدثت لأشخاص كانوا قادة بارزين تحت قيادة أنبياء عظماء، وقيادة أعلام الهدى، حيث كان البعض في نهاية المطاف وقد أصبح شيخاً طاعناً في السن، تتغير مواقفه وتتبدل نظرته إلى الحق وأهله، وتحول بعضهم إلى خصم لدود للحق، وبعضهم انطلق ليقاتل الحق بعد علم وهدى ومعرفة.

وفي هذه الحقبة من تاريخ الامة، عادة الجاهلية تقودها أمريكا بنزعتها الاستعمارية التسلطية، وهمجيتها وطغيانها، ومن يدور في فلكها، بتأثير يفوق تأثير الجاهلية الأولى، وبفعل تلك القوى الظلامية بلغ الإفساد والتضليل ذروته، بعد أن امتلكت أفتك الأسلحة، وأرقى التقنيات، وطورت الأساليب وابتكرت الوسائل، وسخرت تلك الإمكانات والقدرات في التأثير على غالبية كبيرة في المجتمع الإسلامي وخداعهم وتضليلهم، حيث استهدفت الإنسان المسلم في وعيه ومفاهيمه ليتحقق لها من خلال ذلك السيطرة عليه، واستهدفته في زكاء نفسه وإيمانه، بغية الانحراف به عن خط الاستقامة، وخلق حالة من الاعوجاج والزيـغ، ﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلا عَظِيمًا﴾ (النساء ٢٧). وانعكست نتائج ذلك الاستهداف في واقع أمتنا اختلالاً في القيم والوعي وانعداماً للهدف والمشروع.

ويبقى المشروع القرآني هو الإمتداد الأصيل للرسول والرسالة والقرآن الكريم، وهو الأقدر على كشف ظلمات جاهلية العصر؛ ولديه من العوامل والمقومات الفكرية والعملية، ما يحل جميع مشاكل العالم، والأمة الإسلامية أحوج ما تكون في هذا العصر إلى الوعي والبصيرة والقيم الإيمانية، فما ضربها ولا أضر بها شيءٌ مثل انعدام الوعي والبصيرة وظلام التضليل والارتباطات العمياء، قال تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج:٤٦].

وتبقى الاستقامة وفق هدي الله، وعلى أساس تعليماته حاجة ماسة وضرورة ملحة، وهي المخرج لنا من جميع الشرور والمؤامرات، والحل لمشاكلنا العامة والخاصة؛ ومن هنا يتضح جرم من يدعون لفصل الدين عن المسؤوليات، وينادون بإقصاء الدين عن الحياة العامة وحصره في المساجد وتحويله إلى طقوس عبادية ومعاملات فقهية وسلوكيات أخلاقية منفصلة عن إدارة شؤون الحياة.

وما دفعني لإعداد هذا الكتاب وإعادة النظر في صياغته، جملة من الحقائق القرآنية والمعطيات التاريخية، والظواهر المعاصرة، التي تدلل على أهمية الاستقامة وفق هدى الله، وتحذّر من مخاطر الانحراف عنه، إضافة الى مجموعة من الأهداف المراد تحقيقها ومنها ما يلي:

١ .التذكير بنعمة الهدى ونعمة التوفيق وعظمة المشروع الإلهي، وأهمية الاستقامة على ذلك، وأهمية التمسك به والثبات عليه، والاستمرارية في التحرك الصادق على أساسه.
٢ .خشية المؤثرات التي يصنعها شياطين الجن وأعوانهم من الإنس، والخوف من نزعات النفس وميولها، بالذات المؤثرات الترغيبية والترهيبية التي تطرأ عند التمكين.

٣ .تطور الاحداث وأدوات الصراع والتحديات العالمية وتفاقم المشاكل والتعقيدات في مختلف الميادين العملية، وانتشار الكثير من الظواهر السلبية، وجميعها تحتاج الى أسس وثوابت تربوية ومعرفية تستند الى الوعي والإيمان.
٤ .عظم المسؤولية التي تقع على عواتقنا اليوم واتساع نطاقها ومستوى التمكين، وسخونة الصراع القائم مع اهل الكتاب، الذين يمتلكون قدرات فائقة في الإفساد والتضليل، وخلخلة الوعي وتدمير الأخلاق والقيم؛ وما يستدعي ذلك من وعي ويقين راسخ وارتباط قوي بالله، ونفوس زاكية وارتقاء مستمر.
٥ .ترسيخ الوعي ببعض السنن الإلهية كسنة الهداية وسنة الابتلاءات التي تكشف الصادق في انتمائه من الكاذب، وإيضاح ما يترتب على الانحراف عن هدى الله من شقاء وضلال، وفقدان التوفيق والهداية، وخطورة البدائل التي تحل بديلاً عن تعليمات الله.
٦ .حالات الانحراف المتكررة والسقوط المدوي على مستوى أفراد وجماعات، وعلى مستوى أنظمة وكيانات، الى خط العمالة والنفاق والخيانة، وانكشاف حقائق الكثير ممن خُدع الناس بهم لفترات طويلة.
٧ .تعثر البعض في المسيرة الجهادية، واتخاذ البعض موقفاً سلبياً من الحق، وظهور خيانة البعض، وسقوط أشخاص عرفناهم وعايشناهم إلى مستويات لم يتوقعوها هم ولم نتخيلها من قبل؛ فقد تحولوا بعد علم ومعرفة من واقع البصيرة إلى العمى ومن الهدى الى الضلال.
٨ .ترسيخ علاقة الدين بالحياة، والإسهام في ربط الدين بالشأن العملي وربطه بالممارسات الإدارية والأنشطة السياسية والاهتمامات والمواقف ومختلف التعاملات، والتوعية بأهمية صلاح الجوانب النفسية والمعنوية في أداء المسؤوليات.
٩ .محاولة الإجابة عن العديد من الاستفسارات التي تطالب بإجابات واضحة، وتفسيرات مقبولة لكثير من الظواهر والتقلبات والخيانات التي حدثت في التاريـخ وتحدث في الحاضر.

جميع هذه الأسباب والوقائع والمعطيات والاهداف وغيرها مثلت حافزاً للبحث والتأمل، ومحاولة دراسة أهم عوامل الاستقامة والثبات، ووسائل الصلاح والتزكية، والأسباب التي أدت وتؤدي بشكل مستمر إلى الانحراف والسقوط، والتي أخذت مساحة واسعة في ثقافتنا القرآنية.

وقد وزعتها إلى خمسة فصول يضم كل فصل عدة مباحث، الأول يتناول مفهوم الاستقامة وأهميتها، وحاجتنا إليها اليوم.

والفصل الثاني ناقش سنة الابتلاءات المفهوم والمجالات والنتائج، بينما الفصل الثالث تطرق إلى أسباب الانحراف والسقوط، فيما الفصل الرابع تضمن عوامل

الاستقامة والثبات، أما الفصل الخامس فقد جمعنا فيه وسائل التزكية والهداية والصلاح.

وفي هذه الفصول تكررت بعض العناوين، إلا أن مضمونها يختلف بحسب السياق الذي ورد فيه، فالتقوى -مثلاً- نحتاج اليها كأحد عوامل الاستقامة، ونحتاج إليها في الاهتداء بالقرآن والاستفادة منه، كذلك الالتجاء الى الله نحتاج اليه في عوامل الاستقامة وفي طلب الهداية بالقرآن، ونحتاج اليه في طلب التزكية، لذا تكرر عنوان الالتجاء الى الله في ثلاثة فصول، لكن مضمونه يختلف من مقام الى آخر حسب سياق المبحث الذي ورد فيه وهكذا.

وفي الختام ننوه الى أن هذا الكتاب صدرت منه طبعتان عام ١٤٣٨هـ الا أنها كانت عبارة عن تجميع نصوص تفتقر إلى الربط والتحليل، وبعد مرور ستة اعوام تبلورة الفكرة ونضجت بشكل أكبر، وتفرغت للكتابة أفضل مما مضى، وشجعني على ذلك كثير من الاخوة المجاهدين؛ وباتت الحاجة ملحة في الدورات ومراكز التأهيل، وفي المدارس والمعاهد والجامعات لمنهج أكاديمي تربوي، يقوم على أسس سليمة وصحيحة اكثر مما مضى، فأعدّت صياغة المادة من جديد، مستفيداً من الزخم الكبير من الهدى والبينات التي قدمها اعلام الهدى، ومن الشواهد التي تدعم هذا الهدى في الواقع.

علماً أن ما أوردناه داخل هذا الكتاب ليس بديلاً عن قراءة نصوص الملازم في سياقاتها، والإستماع للدروس والمحاضرات واللقاءات بشكل كامل؛ وما قدمناه هنا يؤسس للربط بها، ويساعد على استيعابها، ويثري بعض المضامين بشواهد جديدة ويربطها بالواقع.

وأختم بالشكر لإدارة مكتب السيد القائد: عبد الملك بدر الدين الحوثي، على تشجيعهم ومتابعتهم، وإعانتهم في الطباعة والمراجعة، وأشكر كل من أعان في إنجاح هذا العمل.

أرجوا الله أن أكون قد وفقت في ذلك، وأسال الله الهداية والسداد والثبات، وأن يكون عملي مقبولاً وخالصاً لوجهه الكريم، واستمد منكم الدعاء بحسن المسير وحسن الخاتمة، وخير الجزاء.

وصلى الله على محمد وعلى آله الطاهرين

محمد محسن الفرح

١٣/ربيع الأول/ ١٤٤٤هـ

عوامل الاستقامة

وأسبـــاب الانحـراف والسقوط

الفصل الأول:

مـفـهـــوم الاستـقـــامـة وحـاجـتـنـا المـلـحـة لها

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (فصلت٣٠-٣٣)

مدخل عن الإستقامة

القرآن الكريم يؤكد على مسألة الاستقامة، ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾ [هود من الآية١١٢] لأنه قد يحصل عند الإنسان حالات من حالات الانحراف ولو تدريجياً، أو الخروج عن الطريق ولو في الأشياء النفسية والمعنوية، وهي التي تؤثر على الإنسان وتصْرِفه شيئاً فشيئاً حتى يتغيّر في واقعه النفسي، وهي القضية الخطيرة على الإنسان التغيُّر.

عوامل الثبات، وعوامل الاستقامة تبدأ من الانطلاقة نفسها، إذا كان الإنسان منطلقاً من إيمان ووعي وأسس صحيحة، ويحرص على أن يبقى متمسكاً بالله، ومستعصماً بالله؛ فالله قد زوّدنا، زوّدنا أولاً بكل عوامل الثبات وأولها: البصيرة، وثانيها: طبيعة الارتباط بالله سبحانه، التي يُخضِع الإنسان فيها نفسه لله، وأعطانا عوامل لتزكية النفس، عوامل للصلاح؛ لأن حالة الانحراف لها عاملان أساسيان:

إما خلل في البصيرة، خلل في البصيرة عندما يحصل عند الإنسان فهم مغلوط، أو سوء فهم لبعض الأمور، أو عدم فهم لأمور مهمة جداً؛ فعنده مشكلة في الفهم، وعنده مشكلة في الوعي، وعنده مشكلة في تصوّر مغلوط أو فكرة غلط، وهذا يؤدي بالإنسان أحياناً أن ينحرف، ويتجه اتجاهاً غير صحيح.

والعامل الثاني: خلل في السلوك والعمل ولو مع وجود البصيرة والذي يسبب عمى. فالإنسان (عندما) يعمل أشياء وهو يعرف أنها غلط أو ذنب أو معصية، ولا يتقى الله، سيفقد الهداية، (إذا فقد التقوى سيفقد حتى الهداية).

ويمكن أنه حتى يضل وينحرف، وفيما بعد يتصوّر أن الغلط صواب، وأن الحق باطل، تنعكس عنده حتى المعايير نفسها، عندها ينحرف إلى درجة أن الله يخذله ويضله.» [١]

(١) السيد عبد الملك بدر الدين الحوثي، محاضرة أسباب التوفيق.

المبحث الأول: مفهوم الاستقامة وأهميتها

مفهوم الاستقامة

الاستقامة هي: الاستمرارية في الحركة على الصراط المستقيم وفق التوجيهات الإلهية وفق الروحية الإيمانية كما أُمرت ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾ [هود: من الآية١١٢]، يبقى الإنسان يحمل هذا الشعور كعبدٍ لله كعبدٍ صالح كعبدٍ مؤمن، أنه يحرص على تنفيذ أوامر الله -سبحانه وتعالى- وتوجيهاته، وعلى الالتزام بها، وعلى أن يحذر مخالفة أمر الله وتوجيهات الله -سبحانه وتعالى-.(١)

ما يعني أن الاستقامة هي حالة عملية مستمرة، وانطلاقة بروحية ايمانية، وفق منهجية الله وعلى أساس هداه، تترجم في السلوك والمواقف، وتتجلى في الولاءات والتصرفات، وفي مدى القيام بالمسؤولية، والتحرك بجدية في المهام والأدوار التي كلف الانسان بها في الحياة؛ والانتماء الايماني يستدعي أن يكون الانسان عملياً ولديه اهتمامات واسعة يؤديها من منطلق عبوديته لله تعالى، وعلى أساس من القيم والمبادئ والأخلاق القرآنية، ويستمر في ذلك بارتقاء وثبات حتى يلقى الله تعالى.

يقول السيد القائد عبد الملك بدر الدين الحوثي: هناك من الناس أيضاً من يقولون: (رَبُّنَا اللَّهُ)، وينطلقون عملياً على أساس هذه المقولة، على أساس قولهم هذا، وقد تكون انطلاقتهم يشوبها الكثير، ليست استقامةً خالصةً متكاملةً وفق هدي الله، وفق أمر الله، وفق تعليمات الله، وفق هدي الله وكتابه، تشوب انطلاقتهم الكثير من الشوائب المؤثرة سلباً، وقد تكبر هذه الشوائب في مرحلة من المراحل،

لا يكفي أن تكون معتقداتك صحيحة، ومعارفك واسعة، إذا لم يتبعها عمل؛ فاستقامة الانسان تقاس بمقدار ما يجسد تلك العقيدة في سلوكه ومعارفه واندفاعه للمسؤولية، فالعبودية لله والتولي ومبدأ التسليم لله، تبقى مجرد معتقدات جامدة، إذا لم تنعكس في واقع حياة الإنسان وأوضاعه.

والقرآن الكريم حينما يتحدث عن الإيمان يقرنه غالباً بالعمل الصالح، للتأكيد على مصداقية الإيمان وأثره في حياة الإنسان. يقول الله جل شأنه: ﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى﴾ (سورة الكهف، الآية:٨٨). ويقول أيضًا: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾ (سورة الرعد، الآية: ٢٩).

(١) السيد عبد الملك بدرالدين الحوثي، لقاء بالأمنيين ١٤٣٨هـ

ونجد التلازم بين الإيمان والعمل مكرراً في أكثر من سبعين آية في القرآن الكريم؛ لكي يؤكد حقيقة هامة، هي ضرورة انعكاس الإيمان عملياً على حياة الإنسان وسلوكه وأقواله وتصرفاته، وأنه لا قيمة للإيمان إذا كان مجرد نظريات حبيسة في الذهن، أو قناعات مختزنه في النفس، ومهما تكن صحة معتقدات الإنسان لا يمكن أن تصلح شؤون حياته تلقائياً، دون أن يجسدها عملياً.

يقول الشهيد القائد السيد حسين بدر الدين الحوثي-رضوان الله عليه-: "الذين استقاموا، واستقاموا على ماذا؟ استقاموا على طريقة حق لا يزيغون عنها، استقاموا على نهج الحق، ثبتوا في ميادين العمل من أجل إعلاء كلمة الحق، ونصر الحق، والوقوف في وجوه أعداء الحق. أم معنى الإستقامة داخل بيتك استقامة فوق [المدكى]، وتخزينه ولا تفكر أن تعمل أي شيء للإسلام! هل هذه استقامة؟ الاستقامة على طريقة حق لا تزيـغ عنها؟" (٢)

وفي مسيرة الحياة العملية ينتمي الكثير لخط الإيمان من منطلق الإقرار بعبوديتهم لله وربوبيته، لكن واقعهم العملي يتنافى مع هذا الإقرار ولو في بعض الجوانب؛ فقد ينطلق الانسان وهو لم يصل بعد إلى قناعة تامة ببعض مبادئ الحق، وينقصه اليقين بكثير من الأسس والمفاهيم القرآنية، أو ينقصه الالتزام بقيم وأخلاق هذا الدين، ولا يتقي الله من ارتكاب المعاصي، ويستمر معه هذا الخلل في مسيرة حياته ويتنامى، بالذات عندما لا يعالجه بالتزكية وبالهدى؛ وقد يصل لمرحلة تظهر نتائج الخلل الفكري أو الخلل النفسي، فينحرف وتتغير نفسيته وتتغير نظرته، وقد يسقط عند اول اختبار يتعرض له، وتظهر منه مواقف سلبية لم تكن متوقعة منه، وربما يسقط إلى مستوى لم يتخيل هو أن يصل إليه من قبل.

يقول السيد القائد عبد الملك بدر الدين الحوثي: "هناك من الناس أيضاً من يقولون: (رَبُّنَا اللَّهُ)، وينطلقون عملياً على أساس هذه المقولة، على أساس قولهم هذا، وقد تكون انطلاقتهم يشوبها الكثير، ليست استقامةً خالصةً متكاملةً وفق هدي الله، وفق أمر الله، وفق تعليمات الله، وفق هدي الله وكتابه، تشوب انطلاقتهم الكثير من الشوائب المؤثرة سلباً، وقد تكبر هذه الشوائب في مرحلة من المراحل، عندما يواجهون اختباراً معيناً، فينحرفون، فهم يستقيمون لبعض الوقت، إلى بعض المراحل، وقد يتجاوزون مراحل معينة، ولكن لمَّا كانت استقامتهم فيها البعض من الاعوجاج، فيها البعض من المؤثرات السلبية، ولم تتكامل بمعالجة تلك الشوائب وتنقيتها، كان لها تأثيرها عليهم في مرحلةٍ من

(٢) السيد حسين بدر الدين الحوثي، في ظلال دعاء مكارم الأخلاق ، الدرس الثاني، بتاريخ: ٢٠ من ذي القعدة ١٤٢٢هـ الموافق: ٢/ ٢/ ٢٠٠٢م

المراحل، يأتي فيها الاختبار من الله -سبحانه وتعالى- الذي يفرز الإنسان، يفرز الناس، ويكون له أهميته الكبيرة، في أن يتبين من هو الذي ينطلق الانطلاقة المتكاملة، ويستجيب لله -سبحانه وتعالى- الاستجابة التامة، التي يتنقى بها، يتطهر بها من تلك الشوائب، والترسبات الخطيرة السلبية، التي تؤثر على نفسية الإنسان، فلا يستقيم إلى نهاية المطاف، إلى نهاية المشوار، وهذه حالة واقعية، وكثيرةٌ أيضاً.

كثيرٌ من الناس، ممن ينطلقون، ويتفاعلون، ويستجيبون، إلى مرحلةٍ معينة، ثم يتغيرون وينحرفون، ويخرجون عن خط الاستقامة، فيتغيرون بشكلٍ تام، ويتجهون اتجاهاً آخر، حصلت هذه على مرِّ التاريخ، ولها نماذجها الكثيرة على مرِّ التاريخ، وتحصل في كل زمن، وتحصل في كل مرحلة، في كل مسيرةٍ للحق، يحصل أنَّ البعض لا يستقيمون، وأنَّ البعض ينحرفون في نهاية المطاف، ويخرجون عن خط الاستقامة." [٣]

أهمية الاستقامة

الاستقامةُ نعمةٌ كبيرةٌ يوفق الله إليها المهتدين من عباده، الذين يحملون وعياً إيمانياً، ويتحركون عملياً وفق توجيهات الله وهداه؛ ولأهمية الاستقامة أمرنا الله تعالى أن ندعوه بالتوفيق والهداية إلى الصراط المستقيم، كما ورد في كثير من السور القرآنية ومنها سورة الفاتحة التي نكررها في صلواتنا أكثر من عشرين مرة في اليوم والليلة، ليبقى استحضارها واستشعار نعمتها مستمرا في نفوسنا، فالاستحضار المستمر يحمينا من المؤثرات والشبه التي تخرج الانسان عن خط الاستقامة، المتمثل في خط الأنبياء وأعلام الهدى والصالحين الذين أنعم الله عليهم بالهداية للاستقامة على صراط الحق؛ يقول الله-جل شأنه-: ﴿**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ**﴾ (الفاتحة الاية٤-٧).

واستشعار نعمة الاستقامة، ونعمة السير على الصراط المستقيم، له أهميته البالغة في المساعدة على الاستقامة والثبات على نهج الحق، فالمنهج الذي لا ترى في السير عليه نعمة من الله، ولا تنظر اليه بقداسة، يمكنك في يوم من الأيام أن تتخلى عنه بسهوله، وتتجه إلى بدائل ضالة ومنحرفة، وفي نفس الآية الكريمة ما ينبهك إلى البديل عن خط الاستقامة، وهو الانحراف إلى مسار الضالين والمغضوب عليهم.

وبالتالي فالاستقامة في مسيرة هذه الحياة على أساس العبودية لله، ﴿**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا**

(٣) السيد عبدالملك بدرالدين الحوثي، المحاضرة الرمضانية الثالثة عشرة، الجمعة، ١٤ رمضان ١٤٤٣هـ ، الموافق ١٥ ابريل ٢٠٢٢

﴿رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ (فصلت٣٠)، ووفق هديه وأمره، ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ﴾ (هود: من الآية ١١٢)، هي ما ينبغي السعي لتحقيقه والحرص عليه، وهي خيار المؤمنين الفائزين، المعبِّر عن الانتماء الإيماني الواعي والصادق، وهي نعمةٌ عظيمةٌ، إذا وفِّق الإنسان لذلك، يكسب الانسان الخير، والعزة، والشرف في الدنيا، والفوز العظيم في الآخرة.

وهي الطريق التي يحقق للإنسان كرامته الإنسانية، فيعيش حراً كريماً وعزيزاً من العبودية للشيطان والطاغوت، والعبودية لأولياء الشيطان او هوى النفس، ففي خط الاستقامة تعبِّد نفسك لله، فتسير وفق هديه، وتحظى بصلةٍ إيمانيةٍ مع الله، يحبك ويحيطك برعايته الواسعة، وتوفيقه الكبير.

يقول السيد عبد الملك بدر الدين الحوثي -يحفظه الله-: "طريقُ الاستقامة طريقٌ عظيم، فيه خير الدنيا والآخرة، فيه الشرف والكرامة، ولذلك يقول الله عنه في القرآن الكريم: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ﴾[المائدة: من الآية٥٤]، عندما يقدِّم المواصفات الإيمانية الراقية، التي يجب أن نتحلى بها، أن نلتزم بها، أن نسير في مسيرة حياتنا على أساسها، يقول في نهاية المطاف:﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [المائدة: من الآية٥٤]، فضلٌ عظيم، شرفٌ كبير، ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: من الآية٧]، فهي نعمةٌ كبيرة، وهي شرفٌ كبير، ويحتاج الإنسان إلى أن يستشعر هذه المسألة؛ ليدرك قيمة أن يكون في طريق الحق، في موقف الحق، أن يكون منطلقاً وفق أمر الله، وفق هدي الله -سبحانه وتعالى-، ومستقيماً على أساس ذلك." (٤)

وبمقدار ما للحق من قيمة وعظمة وأهمية في نفس الانسان، بمقدار ما يكره الباطل والضلال والمضلين، وكلما أدرك الانسان مخاطر الضلال ونتائجه المدمرة لنفسية الانسان وحياته، كان للحق والهدى أهمية وقداسة لديه؛ والتاريخ يروي لنا النتائج السيئة للضالين والمنحرفين عن خط العبودية لله، ويحكي واقعهم الذي آل بهم إلى الشقاء وضنك المعيشة.

وفي عصرنا الحاضر نرى ونشاهد الأمم المنحرفة عن هدي الله، كما هو الحال اليوم الذي عليه المجتمعات الغربية، حيث نرى تفكك الأسر، وضياع الترابط المجتمعي، ونلمس الأزمات النفسية وارتفاع معدلات الانتحار، ونرى الفوضى والانفلات الأخلاقي، فجرائم الاغتصاب والسرقة والقتل والسطو والعنف ضد الأطفال والنساء، باتت وقائعها تحسب بالثانية، والأرقام والإحصائيات والمشاهد المصورة تثبت أن الشقاء وضنك المعيشة حالة ملازمة لهم في الدنيا، فلم يشفع لهم التطور الذي قد

(٤)السيد عبدالملك بدرالدين الحوثي، المحاضرة الرمضانية الرابعة عشرة، السبت، ١٥ رمضان ١٤٤٣هـ الموافق ١٦ ابريل ٢٠٢٢م.

وصلوا اليه، ولم تسعدهم ناطحات السحاب، فهم في مقابل البناء المادي هدموا النفوس والأخلاق، أضف لذلك ما وعد الله العصاة في الآخرة من العذاب المهين.

وهنا ينبغي أن نشكر الله أن وفَقَنا للإسلام، وهدانا إلى طريق الحق، وأرشدنا إلى السير وفق هديه العظيم، ونسعى للأخذ بعوامل الاستقامة، ونتطلع إلى الارتقاء في إيماننا ووعينا، ونطلب من الله أن يوفقنا ويعيننا على الثبات في طريق الحق، وأن لا يجعلنا مع القوم الظالمين، ﴿رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (الأعراف: من الآية٤٧).

وبالتالي ننظر إلى الاستقامة والعمل كنعمة، مهما كانت التحديات في هذا الطريق.
"طريق الاستقامة التي فيها ما يساعد الإنسان على الثبات، وعلى الاستمرارية، من أهم ما يساعده على ذلك، هو: إدراكه ووعيه وإيمانه بأن الله أنعم عليه بعظيم النعمة عندما وفَّقه لذلك، عندما وفَّقه أن يسير على الصراط المستقيم، أن تكون مسيرة حياته وفق تعليمات الله، ووفق هدي الله -سبحانه وتعالى-، أنها النعمة العظيمة، التي قدَّمها القرآن الكريم على أنها أعظم نعمةٍ أنعم الله بها على الإنسان، حتى صارت هي العنوان العظيم لنعمة الله -سبحانه وتعالى-، في حديثه عمَّا أنعم به على صفوة عباده من الأنبياء والمرسلين، والصالحين من عباد الله، ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: من الآية٧]، **﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾** [النساء: من الآية٦٩].

أن تكون في مسيرة حياتك في طريق الحق، في موقف الحق، متحرراً من العبودية لغير الله -سبحانه وتعالى-، لا تعبِّد نفسك إلَّا لله، تسير وفق هديه، وفق تعليماته، وفق توجيهاته «جلَّ شأنه»، هي نعمةٌ عظيمةٌ جدًّا.

أن تقف دائماً موقف الحق، يوم يقف الآخرون موقف الباطل، المواقف التي تخزيهم، المواقف السيئة التي فيها الخزي لهم في الدنيا والآخرة، وتبعاتها عليهم كبيرة في الدنيا وفي الآخرة، في الآخرة إلى حدٍ رهيب جهنم والعياذ بالله، فأن تتوفق لأن تقف موقف الحق هي نعمةٌ عظيمةٌ جدًّا، كما قال الله -سبحانه وتعالى-، يذكر عن نبيه موسى -عليه السلام-، الذي استشعر أهمية هذه النعمة: ﴿رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ﴾ [القصص: من الآية١٧]**، نعمةٌ عظيمة.**

وعي الإنسان بأنه عندما يسير في طريق الاستقامة، وينطلق في مسيرة حياته على أساس عبوديته لله -سبحانه وتعالى-، فيتقبَّل هدي الله، ويتحرك على أساس ذلك في أعماله، في مواقفه، في مسيرة حياته، أنها نعمةٌ عظيمة، نعمةٌ عظيمةٌ، عليه أن يشكر الله عليها، وأن ينظر إليها على الدوام على أنها نعمة، أن يستشعر هذا على طول الطريق، فلا ينظر إليها وكأنها حملٌ ينوء به، يثقله،

يحاول التخلص منه، فينحرف عنها بكل بساطة، وبكل سهولة." [٥]

حرص الأنبياء على الاستقامة

الاستقامة من العناوين الأساسية في الإسلام، والتوفيق إليها من أعظم النعم التي أكد القرآن على شكرها وتقديرها والتفاعل معها وإدراك أهميتها؛ فنجد الكثير من الآيات القرآنية تأمر حتى أولي العزم من الرسل، بالشكر لله على نعمة التوفيق والهداية، فيقول الله لنبيه موسى -عليه السلام- ﴿**يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاتِي وَبِكَلامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ**﴾ (الأعراف: من الآية١٤٤) ويقول لرسوله محمد -صلوات الله عليه وعلى آله- ﴿**بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ**﴾ (الزمر:٦٦).

وفيما أخبر الله به من أمره لنبيه موسى ولأخيه نبي الله هارون -عليهما السلام-، بعدما دَعَوا الله على فرعون وقوم فرعون، قال تعالى: ﴿**قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ [يونس: الآية٨٩].

ثم أيضاً يأتي الأمر للمجتمع البشري، للناس جميعاً بأن يستقيموا، في قول الله -سبحانه وتعالى- مخاطباً لنبيه - صلوات الله عليه وعلى آله-، فيما يعلّمه أن يبلّغه وأن يخاطب به الجميع: ﴿**قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ**﴾ [فصلت: الآية٦].

ثم تجد الأوامر الإلهية بالاستقامة، تتجه بشكل مباشر الى خاتم أنبيائه، وسيِّد رسله محمد -صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله-، لدرجة يندهش الإنسان منها وهو يقرأ تلك الآيات، يقول الله تعالى: ﴿**فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١٢) وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ**﴾ [هود: ١١٢-١١٣]، وفي ذلك تأكيد واضح على أهمية الاستقامة المتكاملة وفق توجيهات الله تعالى، وهو ما كان الرسول يحرص أن يسير عليه في كل حركة من حركاته، وعند كل كلمة ينطق بها، فما بالك بنا نحن، وإذا كانت هذه التوجيهات لأفضل البشر وخاتم الأنبياء، فبالأولى أن نذكّر نحن بذلك، وان نحرص على ان نستقيم في كل أمورنا.

يقول الشهيد القائد السيد حسين بدر الدين الحوثي -رضوان الله عليه-: " الله -سبحانه وتعالى- قال لنبيه -صلوات الله عليه وعلى آله-: ﴿**فَاسْتَقِمْ كَمَا**

(٥) السيد عبدالملك بدرالدين الحوثي، المحاضرة الرمضانية الثالثة عشرة، الخميس، ١٤ رمضان ١٤٤٣هـ الموافق ١٥ ابريل ٢٠٢٢م.

أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ يقول لنبيه الذي اصطفاه وأكمله: استقم، ومن تاب معك.

قد يقول واحد منا لآخر: استقم يا أخي أنت والسفهاء الذين معك، [استقيموا، واسبروا، وامشوا مشية الناس]. ما الله يقول لنبيه: أنت ومن تاب معك، مع الناس الطيبين، الجيدين، استقيموا. ما معنى استقيموا؟ هل هم [فسول]، أو هم يلاحقوا السفهاء، أو يسيروا مع السيئين. استقم كما أمرت على المنهج الذي تؤمر به، طبق حرفياً، والتزم حرفياً، لا تتجاوز وإلا ستغلط.“ (٦)

نظرة الإمام علي إلى الاستقامة

للمتأمل في سيرة الامام علي -عليه السلام- يجد ما وصل اليه من كمال وسمو إيماني، لدرجةٍ سماه الله معها بصالح المؤمنين، ومع ذلك كان كل همه هو أن يبقى في حياته مستقيماً، سائراً على نهج الحق، وأن يلقى الله ثابتاً على الحق، وسليماً من الزيغ، وبعيداً عن الاعوجاج والانحراف؛ فعندما أخبره رسول الله -صلوات الله عليه وعلى آله- أنه سيستشهد، لم يتبادر إلى ذهنه السؤال عن القاتل ومتى وأين، بل كان سؤاله "**أفي سلامة من ديني يا رسول الله؟**" ما يؤكد أهمية الاستقامة لديه، ويؤكد أنه قرينٌ للقرآن، لأن هذا هو منطق القرآن نفسه، يقول الله -جل شأنه-: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾** (آل عمران:١٠٢). وفي القرآن الكريم خطاب واسع للمؤمنين، يأمرهم بالحرص على الاستقامة والثبات على نهج الحق.

يقول الشهيد القائد السيد حسين بدر الدين الحوثي -رضوان الله عليه-: " في موضوع الشهادة مثلاً، موضوع الشهادة، لقد كان الإمام علي على علم عن رسول الله -صلوات الله عليه وعلى آله-يوم أن أخبره بأن لحيته سَتُخْضَب من دم رأسه.

هذا الخبر لو يأتي لشخص منا -ربما -قد يكون مزعجاً، لو يأتي هذا الخبر لشخص منا قد ينظر إلى ما حوله، ينظر إلى أسرته، إلى أولاده، إلى ممتلكاته إلى مظاهر الحياة من حوله فيبدو متأسفاً ويودع نفسه حيناً بعد حين وينتظر متى يخضب دم رأسه لحيته، لكن عليا كان يهمه شيء واحد.

كيف أجاب على الرسول -صلوات الله عليه وعلى آل-)؟ قال: (يا رسول الله أَفِيْ

(٦) السيد حسين بدر الدين الحوثي، الإسلام وثقافة الإتباع، بتاريخ: ٢٥ جمادى الآخرة ١٤٢٣هـ الموافق: ٢ / ٩/ ٢٠٠٢م

سلامة من ديني؟) أفي سلامة من ديني يحصل هذا؟ (قال: نعم. قال: إذاً لا أبالي) مادام أن ديني سليم.

الإمام علي عندما يقول بهذه العبارة يعطينا إشارة مهمة جداً، وكأنه يلحظ من خلال ما يسمع من رسول الله -صلوات الله عليه وعلى آله- أنه سيحصل ضلال، يحصل انحراف، تحصل فتن. يهم أي إنسان حريص على سلامة نفسه أن يبحث عن سلامة دينه، وأن يحرص على سلامة دينه.

لو كانت الأمور عند الإمام علي -عليه السلام- في رؤيته -يوم قال له الرسول -صلوات الله عليه وعلى آله- بهذا الكلام -هو أن هذه الرسالة ستمشي بشكل طبيعي، وسيكون الناس كلهم هكذا بشكل صحيح يسيرون جيلاً بعد جيل لما سأل الرسول: (أفي سلامة من ديني؟) .. (أفي سلامة من ديني يا رسول الله؟) ما أحوجنا إلى هذه المشاعر!.“ [٧]

زين العابدين وحرصه على الاستقامة

التوفيق والهداية والثبات على خط الاستقامة، هي المطلب الأهم الذي ينبغي أن يطلبه الإنسان من الله على الدوام، وأن يسعى للارتقاء في إيمانه ووعيه، فلا يرضى بالتوقف عند مستوى معين، فالإنسان بحاجة مستمرة ودائمة إلى رعاية الله وهدايته، ويحتاج على الدوام إلى توفيق الله وتثبيته، حتى لا ينحرف أو يزيغ أو يخرج عن خط الاستقامة، فالله تعالى هو الذي يهدي الإنسان، ويوفقه للمواقف والأعمال التي ترضي الله تعالى، وهو من يمنح الانسان النور والحكمة عند المنعطفات الخطيرة، وعند أي خاطرة ظلامية؛ لذلك نجد أن ما تميزت به النماذج الإيمانية والقدوات على مر التاريخ، هي استقامتهم والتجاؤهم الدائم إلى الله واستمداد الهداية والتوفيق والثبات منه، وكذلك استشعارهم التقصير باستمرار، وبالتالي لا مكان في نفوسهم للغرور والعجب أو الانقطاع إلى نفوسهم والركون إليها، ومن تلك النماذج، الإمام علي بن الحسين -عليه السلام-، حيث كان ذلك بارزاً في سيرته، وفي أدعيته التي سطرها، وفي مستوى عبوديته لله، حتى سمي بالسجاد، وسمي بزين العابدين، ومع ذلك كان يدعو الله بالهداية وكمال الايمان.

يقول الشهيد القائد السيد حسين بدر الدين الحوثي-رضوان الله عليه-: “ **في دعاء مكارم الأخلاق -للإمام زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب -صلوات الله عليهم- فيه ما ينبه على أشياء كثيرة مما يجب أن يكون الإنسان**

(٧) السيد حسين بدر الدين الحوثي، ذكرى استشهاد الامام علي، اليمن صعده، بتاريخ: ١٩ رمضان ١٤٢٣هـ الموافق: ٢٣/ ١١/ ٢٠٠٢م

فيها راجعاً إلى الله يطلبها منه، يطلب الهداية إليها منه، يطلب التوفيق إليها منه.

الهداية ليس هنالك آلية مبرمجة للهداية بحيث أن الإنسان ممكن أن يوفرها، لا بد من الرجوع إلى الله، لا بد من الدعاء، أن نطلب من الله الهداية، أن نطلب من الله التوفيق، أن نطلب من الله الاستقامة، أن يوفقنا للاستقامة، أن نطلب من الله أن يثبت خطانا، أن نطلب من الله أن يسدد أقوالنا.

الإنسان لا يستطيع بنفسه، لا يستطيع من خلال الاعتماد على نفسه أن يحقق لنفسه الهداية، والتوفيق في المجالات التي ترتبط بحياته، وفيما يتعلق بآخرته.

هنا يقول الإمام زين العابدين - صلوات الله عليه- : (اللهم صل على محمد وآله وبلغ بإيماني أكمل الإيمان) هو على ما هو عليه من العبادة والتقوى لم يحدث في نفسه غرور، ولا إعجاب بحالته التي هو عليها، وهو من سُمّي -لما كان عليه من العبادة -زين العابدين، وسيد الساجدين، ما زال يطلب من الله أن يبلغ بإيمانه أكمل الإيمان.“ [٨]

الربِّيُّون والراسخون في العلم

قدَّم الله في القرآن الكريم نماذج إيمانية راقية، في مستوى وعيها ويقينها، ومستوى جهادها وتضحيتها، ومستوى التجائها الى الله، وخوفها من الزيغ والانحراف، فسطَّر الله دعاء الراسخين في العلم، في القرآن الكريم، لأهميته؛ ﴿رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ (آل عمران:٨). وهو بذلك يبصرنا ويدلنا على الحالة الإيمانية التي ينبغي أن نكون عليها.

ورغم المستوى الذي وصلوا إليه من اليقين والرسوخ في العلم والبصيرة، إلا انهم لا زالوا يطلبون من الله تعالى التوفيق والهداية، ويلتجئون إليه أن لا يزيغ قلوبهم بعد الهداية، وهذا يظهر خشيتهم من الانحراف والخروج عن خط الاستقامة بعد الهداية ومعرفة الحق، ومن جانب آخر يظهر عدم ركونهم إلى أنفسهم أو الاغترار بالمستوى الذي قد وصلوا إليه.

ويحكي القرآن -أيضا- عن الروحية الايمانية التي حملها الرِبّيُّون، ومستوى حرصهم على الثبات في خط الاستقامة، مع أنهم نوعية راقية وأصحاب مواقف عظيمة، في القتال والثبات تحت راية الأنبياء، مع ذلك يطلبون من الله أن يفرغ عليهم الصبر،

(٨)السيد حسين بدر الدين الحوثي، في ظلال دعاء مكارم الأخلاق -الدرس الأول، بتاريخ: ١٩ من ذي القعدة ١٤٢٢هـ الموافق: ١/ ٢/ ٢٠٠٢م

ويدعونه بالثبات والنصر رغم الجراح والمعاناة التي ألمت بهم، في صورة تعكس مدى اهتمامهم بالاستقامة والثبات وخشيتهم من الاعوجاج والزلل والانحراف، يقول الله -جل شانه- ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا اسْتَكَانُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أَن قَالُواْ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾[آل عمران: الآية١٤٦-١٤٧].

هذه النماذج وغيرها تعطينا الوعي عن أهمية الارتقاء، وأن نبقى على ارتباط بالله ليمنحنا التوفيق والثبات ويبعدنا عن الزيـغ.

فالإنسان في أي مستوى من مستويات المسؤولية، او أي موقع من مواقع الجهاد أو العلم والمعرفة، معرضٌ للانحراف والسقوط، فقد يغتر أو يعجب بنفسه، أو يطمئن إلى مكانته الإيمانية، ويرى استحالة تغير موقفه، أو تبدل نظرته مهما حصل، وهذا الشعور قد يعيق الارتقاء الايماني، فتحدث تطورات ومتغيرات وأحداث تمثل اختبارا للإنسان، فيسقط أمامها نتيجة ركونه إلى نفسه وانقطاعه إليها، وعدم الانقطاع إلى الله.

يقول الشهيد القائد -رضوان الله عليه-: "هذه القضية تتجلى في داخل آيات القرآن أنها قضية خطيرة على الإنسان، وأنه في نفس الوقت يُقدَم داخل القرآن ما قد يجعل الإنسان بعيداً عن ابتلاءات من هذه، منها هذه القضية: التسليم المطلق لله، والإيمان الواعي، واللجوء الدائم، والمطلق إلى الله، والا فقد تتعرض لابتلاءات وأنتْ عِنْدك أنكْ فاهم، ومؤمن تماماً، [ولو يأتي ما يأتي لن أتغير]، أليس بعض الناس قد يقول هكذا؟ [لو يجي ما يجي لما تحولت لو لو.... لما حصل كذا]!

هذه قضية لا تطمئن إلى نفسك على الإطلاق، لا تنقطع إلى نفسك، انقطع إلى الله؛ ولهذا حكى عن الراسخين في العلم في قوله حاكياً عنهم: ﴿رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾ (آل عمران: من الآية٨) عندما رأوا آخرين زائغين، قلوبهم فيها زيـغ ﴿رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾، لم يقولوا: أما نحن فنحن راسخون في العلم، ولا يمكن يزاغ لنا قلب، ولا يمكن تنزلق لنا قدم، وأشياء من هذه، لا، ﴿رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً﴾ (آل عمران:٨) ترحمنا أنت، ترعانا أنت، حتى لا تزيـغ قلوبنا، ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾، أنت الذي تهب الرحمة، أنت الذي ترعى أولياءك حتى لا تزيـغ قلوبهم." (٩)

(٩) السيد/ حسين بدر الدين الحوثي، الدرس التاسع والعشرون من دروس رمضان، بتاريخ: ٢٩ رمضان ١٤٢٤هـ الموافق: ٢٣/ ١١/ ٢٠٠٣م

والخلاصة هي أن الانسان محتاج إلى الاستقامة على منهج الله، والأخذ بعوامل الثبات والتوفيق، والحذر من عوامل الزيـغ والاعوجاج، والنماذج التي مرت بنا، وغيرها تؤكد لنا أن الإنسان سواء كان نبياً يوحى إليه، أو من السابقين للإسلام، أو كان من العبَّاد الزهّاد، أو العلماء الذين وصلوا إلى رسوخ ويقين ومعرفة كبيرة، أو من المجاهدين المقاتلين في سبيل الله، الجميع بحاجة إلى الالتجاء إلى الله وطلب الهداية والتوفيق منه، وبحاجة على الدوام إلى هدى الله.

المبحث الثاني: ضرورة الاستقامة والحاجة الملحة لها

ينطلق الأعداء من قاعدة تقوم على فصل الدين عن الحياة الاجتماعية، وإدارة شؤون الحياة المختلفة، ويستندون في ذلك إلى معتقدات إلحادية تنكر علاقة الخالق بشؤون الإنسان المخلوق، فيسوغون التحرك في أحداث الحياة ومشاكلها، وفي أداء المهام والمسؤوليات بنفسية مجردة عن القيم والأخلاق والمبادئ، ويفتحون المجال للإنسان للتحرك في تحقيق المصالح والقضايا المادية، دون الالتزام أو التقيد بأي ضوابط شرعية أو أخلاقية أو إنسانية، ويصورون كلما يحصل من صراعات وحروب، وما يجري من ظلم وجرائم وخيانة أنها مشاكل سياسية، ومجرد صراع على السلطة والمصلحة وبحكم الظروف والنزاعات التي ترافقت مع نشأت العلمانية واللبرالية في الغرب، لم تكن مفاجئة.

لكن الغريب هو تعميمها في واقع أمتنا المسلمة، بالشكل الذي ينسف أي اعتبار لمعايير أو مقاييس مستمدة من دين هذه الأمة وثقافتها؛ فنحن أمة مسلمة لنا خصوصياتنا وظروفنا المختلفة، ومنطلقاتنا المغايرة لمنطلقاتهم المادية والإلحادية والإباحية، ولدينا التزامات ومسؤوليات يجب أن نتحرك فيها وفق تعليمات الله، ونستقيم عليها حتى نحظى بنصر الله وتوفيقه.

ووفقاً للرؤية القرآنية فإن فصل حياة الناس ومسؤولياتهم، عن الارتباط بالجانب الثقافي القرآني هو فصلٌ لحياتنا عن العدل والحق والكرامة، وهو تجريد للنشاط السياسي والإداري والاجتماعي، عن القيم الفطرية والأخلاق الدينية والإنسانية، ونتيجته انحرافٌ وشذوذٌ في التعامل والسلوك والمواقف والتصرفات، والقرآن الكريم من أوله الى آخره، يؤكد على ضرورة تحكيم الإسلام في الحياة، واتخاذه مشروعاً عملياً، ومنهجاً تربوياً، وحلاً شاملاً لكل معضلات الحياة ومشاكلها.

ومن هنا تبقى الاستقامة على أساس دين الله وشرعه حاجة ملحة، وضرورة ماسة لاستقامة حياتنا، ويبقى الانحراف عن منهج الله، وتعليماته سبباً للشقاء والضلال والتيه والتخبط، وعاقبته العذاب في الدنيا

"

يقول السيد عبد الملك بدر الدين الحوثي -يحفظه الله-: أول ما في هذه الطريق، هو: الصلة الوثيقة بالله -سبحانه وتعالى-، فأنت عندما تؤمن وتعي بمدلول قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾، فتقول: ﴿رَبُّنَا اللَّهُ﴾ مؤمناً بذلك، مستوعباً لما يعنيه ذلك، ومرسِّخاً لما يعنيه ذلك في وجدانك، في نفسك، كعقيدةٍ، ومبدأ، وشعورٍ إيماني راسخٍ، وتنطلق على هذا الأساس،

والآخرة، وبقدر ما نستقيم على منهج الله وشرعه، ونعبِّد أنفسنا لله، تقوى علاقتنا بالله، ونحظى بهدايته وتوفيقه، ونكون فاعلين ومؤثرين، وننتصر في مواجهة أعدائنا، ونتغلب على جميع الشبه والمؤثرات، ونتماسك أمام التحديات والاهتزازات، وننجح أمام الاختبارات والابتلاءات في الحياة. وفي ما يلي سنتناول بعض العناوين المتعلقة بضرورة الاستقامة وحاجتنا اليها كالتالي:

١. الاستقامة صلة إيمانية تربطنا بالله تعالى، وتزكي نفوسنا، وتجعلنا محط عونه ونصره وتوفيقه، ومن خلالها نحظى بوعود الله بالنصر والتمكين والفوز العظيم.

٢. دور الاستقامة المحوري في الاندفاع والفاعلية والتأثير في ميدان العمل.

٣. أهمية الاستقامة في مواجهة أهل الكتاب.

٤. ضرورة الاستقامة أمام الشبه والمؤثرات ومتغيرات الحياة.

٥. الاستقامة سببٌ للهداية والرعاية والتوفيق والثبات، والاستمرارية على الصراط المستقيم.

٦. الاستقامة أمام سنة الابتلاءات والفتن والاهتزازات التي تحصل في ميدان الحياة.

أولاً: الاستقامة صلة إيمانية بالله

طريق الاستقامة وفق هدي الله وتوجيهاته، هي طريقٌ عظيمةٌ وجذَّابةٌ، وهي الخيار الصحيح الذي يتحرك الإنسان في مسيرة حياته على أساسه، فيها كل ما ينشدّ إليه الإنسان بفطرته، الحياة الطيِّبة والكريمة، والحياة بعزةٍ وشرف، ويحظى من خلالها بكرامته الإنسانية الحقيقية، وزكاء نفسه، ويستثمر فيها كل جهده وطاقاته، ويوظف جميع قدراته فيما فيه الخير الحقيقي له، ويؤمِّن بها مستقبله الأبدي عند الله في الآخرة.

وكلما استقام الانسان هو يراكم رصيده الإيماني، وبقدر ما يزداد رصيد الإنسان في الجانب الإيجابي، بقدر ما يحظى بالقرب من الله، وتقوى صلته بالله، فيرعاه امام كل التعقيدات والمخاوف ويهديه في مواجهة المؤثرات، ويمنحه كل ما يساعده على مواصلة المشوار بثبات واستقامة، بعيداً عن الانحراف والزيـغ، وكلما استقام قويت علاقته بالله تعالى، فتنعكس تلك العلاقة محبةً من الله ورحمة وعوناً، ويسراً وبركة، وطمأنينة، ولها نتائج وثمار كبيرة في الدنيا والآخرة، يقول الله -جل شأنه-: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ وَمَنْ أَحْسَنُ

﴿قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (فصلت٣٠-٣٣)

يقول السيد عبد الملك بدر الدين الحوثي - يحفظه الله-: " أول ما في هذه الطريق، هو: الصلة الوثيقة بالله -سبحانه وتعالى-، فأنت عندما تؤمن وتعي بمدلول قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾، فتقول: ﴿رَبُّنَا اللَّهُ﴾ مؤمناً بذلك، مستوعباً لما يعنيه ذلك، ومرسِّخاً لما يعنيه ذلك في وجدانك، في نفسك، كعقيدةٍ، ومبدأ، وشعورٍ إيماني راسخٍ، وتنطلق على هذا الأساس، وفق هديه -سبحانه وتعالى-، وفق توجيهاته، وفق تعليماته.

فقولك (رَبُّنَا اللَّهُ)، الذي يجعلك متَّجهاً إلى الله تعالى، تعتمد عليه، تخشاه وترجوه، وترغب فيما عنده، تثق به كل الثقة، وتتحرك على أساس وعيك وإيمانك وشعورك بعبوديتك المطلقة له -سبحانه وتعالى-، فهذه الصلة بالله -سبحانه وتعالى- (الصلة الإيمانية) لها أثرها الكبير عليك في مواجهة كل المؤثرات السلبية، في مواجهة المخاوف، والرغبات، والإشكالات، والتعقيدات، فلا يصرفك شيءٌ منها عن الاستمرار في مواصلة السير على هذا الطريق، على الصراط المستقيم، الموصل إلى الغاية العظيمة.

مبادئها عظيمة، ومكاسبها كبيرة، مكاسبها الفوز العظيم، ومنهجها التربوي يزكي النفوس، فيزكي نفسك من الشوائب، التي تؤثر على البعض؛ لأن البعض يحتفظ ببعضٍ من الشوائب السلبية التي تؤثر على النفس، يحتفظ بشيءٍ من الغرور، أو الكبر، أو الطمع، أو الإيثار لهوى النفس، أو أيٍّ من العوامل السلبية التي تبقى حالةً من الاعوجاج في نفسه، يكبر هذا الاعوجاج في مرحلةٍ من المراحل، فينحرف به عن الصراط المستقيم، ويؤثِّر عليه." (١٠)

وثمار الاستقامة واسعة وشاملة، تتجاوز الجوانب المعنوية والنفسية، الى الجوانب العملية والاحتياجات المادية، بما في ذلك الأمطار والبركات وسعة الرزق، وتسهيل وتيسير الأمور، جميعها ربطت بالاستقامة على هدى الله ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ [الجن: الآية ١٦] ثم ما وعدهم الله به من العزة، والتمكين، وأن يكون الله وليهم، يتولى جميع شؤونهم في الدنيا والاخرة، ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [فصلت: ٣١].

إضافة إلى ما بشرهم به في الآخرة، ﴿وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣١]. من الحياة الطيِّبة، والفوز العظيم، ووعدهم برضوانه وجنته والسَّلامة من عذابه،

(١٠) السيد/ عبدالملك بدرالدين الحوثي، المحاضرة الرمضانية الرابعة عشرة، السبت، ١٥ رمضان ١٤٤٣هـ الموافق ١٦ ابريل ٢٠٢٢م.

خصوصاً عندما تكون استقامة متكاملة في مختلف أعمال الإنسان، على مستوى التصرفات والأقوال والمواقف، فإن الله لا يخلف وعده، وهو أصدق القائلين.

يقول الشهيد القائد -رضوان الله عليه- من خلال قول الله تعالى: "﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ (فصلت: من الآية ٣٠) طريقة حق يستقيمون عليها ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (فصلت: من الآية٣٠).

أليس هذا مما وعد به من يسيرون على طريقة حق، وعلى طريقة الحق؟ أليس هذا شيئا عظيما؟ بشارة عظيمة؟ وكم. وكم مثلها في القرآن الكريم كثير ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ نُزُلاً﴾ (فصلت:٣٢) ضيافة، تكريم ﴿نُزُلاً﴾ تعني: ضيافة وتكريم ﴿نُزُلاً مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾ (فصلت:٣٢) هذا وعد لمن؟ للمستقيمين على طريقة حق.

في مقابل هذا الوعد العظيم، هذا الفضل العظيم، هذه الدرجة العالية عند الله -سبحانه وتعالى- تنطلق لتبحث عن كيف تزيغ عن هذه الطريقة، تبحث عن المبررات لكيف تنصرف عن هذا النهج!

الإنسان الخاسر وحده هو الذي يفكر في هذا؛ لأنك أنت من يعمل على ألا يكون واحدا من أولئك الذين قال الله عنهم في هذه الآية: ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا﴾ (فصلت: من الآية ٣٠) يجند لك حتى الملائكة تؤيدك، تثبتك، تنصرك ﴿أَلَّا تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ أي واحد منا، أي واحد ممن يحمل اسم إيمان يتمنى أن يكون واحدا من هؤلاء الذين يبشرون بهذا؟! ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ (فصلت: من الآية ٣١) وأن يقال لهم: ﴿وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ (فصلت: من الآية ٣١).»" (١١)

(١١) السيد حسين بدر الدين الحوثي، في ظلال دعاء مكارم الأخلاق -الدرس الثاني، بتاريخ: ٢٠ من ذي القعدة ١٤٢٢هـ الموافق: ٢/ ٢/ ٢٠٠٢م

ثانيا: الفاعلية العملية

يواجه الانسان في واقع حياته وفي مسؤولياته العملية، كثيرا من المتاعب والإشكالات التي لها ارتدادات نفسية، فتصنع لديه العقد، وتخلق لديه حالة من الاستياء، تنعكس على تصرفاته.

وكلما غرق الانسان في انشغالات الحياة، وميادين العمل، دون أن يهتم بالجوانب التربوية والروحية والثقافية، انخفضت لديه الروحية الإيمانية والحالة التربوية، حتى يفقد استشعار قيمة العمل الصالح كقربة إلى الله، ويغيب عنه قداسة الجهاد في سبيل الله -سبحانه وتعالى-.

فتكون النتيجة أن يمارس مهامه بشكلٍ روتيني، ويتعامل بطريقة منفصلة عن الشعور الإيماني، وبعيدة عن الانشداد إلى الله والإحساس بالمسئولية الإيمانية في مهامه العملية، وبالتالي ينطبع أداؤه بالطابع الجاف، ويصبح الإنسان عرضة للتأثر سلباً بكثير من مؤثرات الحياة، فالبعض منها تصنع في نفس الإنسان العقد والملل من العمل، والبعض منها تميل بالإنسان نحو الرغبات النفسية والراحة الشخصية، وتصبح اهتماماته ذاتية ومادية، وجميعها تؤثر على فاعلية العمل ونتائجه، وثماره في النفس وفي واقع الحياة.

ومن هنا يجب على الإنسان أن يحافظ على الروحية والمشاعر الإيمانية، ويبقى على الدوام منشداً إلى الله، وينظر إلى العمل كقربة إليه، ويحرص على الأخذ بعوامل الاستقامة، ونحن كمجاهدين في سبيل الله ينبغي أن نستحضر على الدوام المنطلقات الإيمانية، وحقيقة انتمائنا الايماني، فننطلق في حياتنا، ونؤدي مسؤولياتنا من واقع عبوديتنا لله تعالى، وبدافع الشعور بالمسئولية أمام الله -سبحانه وتعالى-، حتى لا تتحول إلى أعمال روتينية، ووظائف تنظيمية مجردة عن هذه المشاعر وتلك المنطلقات، وهذه هي الضمانة لتأثير العمل وفاعليته، وقبوله عند الله.

يقول الشهيد القائد -رضوان الله عليه-: "**[الاستقامة] ما أعظم، وما أشرف هذه الكلمة، وما أعلاها، ما أعلاها لدرجة أن يقول الله سبحانه وتعالى لرسوله، أن يأمره بها:** ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلاَ تَطْغَوْاْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (هود١١٢) **أمر -صلوات الله عليه وعلى آله- بالاستقامة، قد نقول بأنه فعلاً مستقيم، لا شك في ذلك، ولكن عادة ما تتوجه بعض الأوامر التي رسول الله فعلاً مطبقٌ لها؛ ليوحي هذا النوع من الخطاب للمستمعين الآخرين بأن القضية في غاية الأهمية، بحيث أنه وُجه الخطاب والأمر إلى النبي نفسه، ومن أنت بالنسبة للنبي، إذا كان القرآن يقول للرسول -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-**

على الرغم مما هو عليه . استقم، فإن الأحوج إلى هذا الخطاب هو أنا، وأنت، والكثيرون من أمثالنا، الذين نحن غير مستقيمين، وغير ثابتين.

نحن بحاجة إلى أن تتكرر على مسامعنا فاستقم، فاستقم كما أمرت، أن تتكرر على مسامعنا الأمر بالاستقامة، الحديث عن الاستقامة، أهمية الاستقامة. وفعلاً كما كررت سابقاً لا، لا ينصر الدين، ولا تبنى الأمم، ولا تربى الأجيال، إلا على أيدي المستقيمين المستبصرين."[١٢]

يتصور البعض من الناس أن باستطاعته أن يكون مؤثراً وحركياً، ويؤدي مسؤوليته ويدير مهامه دون أن يلتزم بالقيم والمبادئ الإيمانية، وهذا تصور خاطئ، لأن الايمان والعلاقة بالله ثمرتها الطاقة والاستمرارية والاندفاع الواعي القائم على أسس صحيحة، والاستقامة هي الضمانة للتحرك السليم والفاعل، الذي يثمر الخير والنفع للناس.

والمتأمل في كثير من التجارب التاريخية والمعاصرة، سواء في صدر الإسلام، أو فيما بعد ذلك مع أعلام الهدى، يجد البعض ممن انطلقوا مجاهدين في سبيل الله بجدية وتفانٍ، ثم ما يلبث البعض أن يضمحل نشاطه، ويقل تفاعله، وقد يتوقف في منتصف الطريق، والبعض يسقط ويتحول إلى خصم لدود للحق وأهله، والبعض حتى وإن استمر يتحول إلى منتج للإشكالات والأخطاء ويصبح مصدر تشويه لمسيرة الحق؛ وهذه الظواهر السلبية وغيرها تدلل على خلل نفسي أو فكري أو كلاهما، ويخفي الكثير من الأمراض والعقد، وقد تكون نفسه منطوية على الغش والخبث وانعدام الوعي، وعندها لا يوفق، ولن يكون له فاعلية، والواقع العملي عادة هو انعكاس للواقع النفسي، يقول الله جل شأنه: ﴿انَّ اللهَ لا يُصلِحُ عَمَلَ المُفسِدِينْ﴾، **ويقول-جل شأنه-** ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (المائدة: من الآية٢٧).

ومن هنا ينبغي على الإنسان أن يحافظ على زكاء نفسه، وأن يحرص على الارتقاء والوصول إلى درجة الإيمان الراسخ واليقين الذي لا يخالطه ريب، فالإنسان الذي ينطلق للعمل الجهادي وهو في حالة من الارتياب سيكون واقعه العملي ضعيفاً، وقد ينحرف أمام أي شبهة، وقد تهتز قناعته بالحق عند أبسط تثبيط او تهديد، وقد يتوقف عن العمل لأبسط الإشكاليات؛ وبالذات في عصرنا الحاضر الذي وصل الأعداء فيه إلى ذروة التضليل، ووظفوا مختلف الوسائل والآليات، فيما يصرف الناس عن موقف الحق، وفيما يصنع الارتياب، ويخلق الانحراف والاعوجاج.

(١٢)السيد حسين بدر الدين الحوثي، مع الدعاة الى الله، مصدر سابق

يقول الشهيد القائد -رضوان الله عليه- من خلال قول الله تعالى: "﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾ (فصلت٣٣) عندما أنطلق أدعو إلى الله وأنا غير مستقيم؛ غير صحيح أن باستطاعتي أن أبني أمة مستقيمة، عندما أنطلق في ميدان الدعوة إلى الله، وإيماني بعد لم يترسخ، سأنطلق وأنا مهيأ جداً لأن أرتاب أمام أي شبهة توجه نحو ما آمنت به.

لابد أن أكون مؤمناً، مؤمناً بما تعنيه الكلمة، من ذلك النوع، من الإيمان الذي لا يخالطه ارتياب ولا شك، ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ﴾، بعد أن ذكر الله -سبحانه وتعالى- عن الأعراب قولهم: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ (ال حجرات١٤) ثم قال بعدها: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ (ال حجرات١٥).

﴿قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ ثم انطلقوا في ميدان الدعوة، كان إيمانهم من هذا النوع الذي لا ارتياب معه، الإيمان من هذا النوع الذي ينطلق صاحبه في هذه الدنيا ويختلط بمن يختلط، ويسمع من يسمع، لا يزيده كل ما يرى، وكل ما يسمع إلا ثباتاً، واستقامة ورسوخاً على ما آمن به. ما أعظم هذه الصفة! ما أعلى هذه المرتبة!." (١٣)

ثالثاً: الاستقامة في صراعنا مع أهل الكتاب

يحذِّر القرآن الكريم من خطورة أهل الكتاب، وقدرتهم في التضليل والإفساد، وإخراج الكثير عن دائرة الإيمان، وبالتالي تطويعهم لتنفيذ مخططاتهم وتسخيرهم لخدمة مصالحهم.

ونرى مصاديق القرآن الكريم-اليوم- في السياسة الأمريكية والإسرائيلية القائمة على الاستغلال والاستقطاب وشراء الولاءات والذمم، وتجنيد الآخرين لخوض معاركهم، والزج بالمغفلين للقتال تحت الراية الأمريكية.

وفي صراعهم مع أمتنا الإسلامية لم يكتفوا بالسيطرة على ثرواتها وجزرها ومنافذها البحرية وأسواقها المحلية، بل يتجهون للسيطرة على البشر ويرون فيهم ثروة يمكن استغلالها لضرب المسلمين ببعض، وقد يستغلونها في صراعهم مع قوى عالمية منافسة لهم.

وعقب أحداث ١١سبتمبر ٢٠٠١م صنعت أمريكا تحالفاً عالمياً بقيادتها، لشن حرب

(١٣)السيد حسين بدر الدين الحوثي، مع الدعاة الى الله، مصدر سابق

شاملة يكون وقودها العرب والمسلمين، ولتحقيق ذلك الهدف حشرت الجميع في زاوية بقولها "من ليس معنا فهو ضدنا" بُغية استغلال الأنظمة والأحزاب والكيانات والنخب وكذلك الأفراد، والدفع بهم للتحرك ضمن أجندتها.

فجندت معظم الحكومات والأنظمة العربية، لضرب كل من ترى فيه تهديدا لمصالحها تحت عنوان مكافحة الإرهاب، فتحركوا بإخلاص وبذلوا كل جهودهم، ووظفوا جميع طاقاتهم، ومواردهم البشرية والمالية، خدمة لأمريكا فيما يهدم كيان الامة ويضرب هويتها.

كما دفعت بالكثير من الأنظمة والكيانات المنتمية للامة الإسلامية، للقتال كمرتزقة تحت الراية الأمريكية، وأبرزها المجاميع التكفيرية (داعش والقاعدة) التي تخوض حرباً بالوكالة في سوريا والعراق واليمن، حيث اعترف بذلك الرئيس الأمريكي السابق [ترامب]، ووزيرة الخارجية الأمريكية السابقة [هيلاري كلينتون].[١٤]

على صعيد آخر استدرجت آلاف الشباب، ووظفتهم كجواسيس وعيون استخباراتية يوفرون لها المعلومات، ويتعقبون المجاهدين، وينفذون عمليات إرهابية، من اختطافات واغتيالات وتفجيرات ضد كل من يناهض المشاريع الأمريكية والإسرائيلية.

وتجاوزت هجمتها الجانب العسكري والأمني، حيث امتدت إلى مختلف المجالات الفكرية والثقافية والإعلامية والسياسية، فتمكن الامريكيون من تطويع غالبية كبرى من الصحفيين والمثقفين والسياسيين، ممن وظفوا قدراتهم في الترويج لها، وسخروا مواهبهم في إذكاء الفتن وزراعة الياس والإحباط، وتعميم المفاهيم والتصورات الخاطئة، وتضليل الناس في العدو والصديق.

وترافق مع هجمتها حرب ناعمة، اتجهت إلى الإفساد الأخلاقي، والعقائدي، بهدف سلخ المسلمين عن هويتهم، وإبعادهم عن المبادئ الدينية، والقيم السامية التي

(١٤) أولا: اعترافات وزيرة الخارجية الأمريكية هيلاري كلينتون بأن القاعدة صناعة أمريكية، عندما قالت: «نحن أيضاً لنا تاريخ، بالتنقل عبر باكستان، دعونا نتذكر هنا، إن الذين نقاتلهم اليوم نحن من أوجدناهم، منذ عشرين عاماً، وفعلنا ذلك لأننا كنا عالقين في نضال ضد الاتحاد السوفييتي الذين غزوا أفغانستان، ونحن لا نريد أن نراهم يسيطرون على آسيا الوسطى، وذهبنا للعمل بواسطة الرئيس ريغان، وبمشاركة الكونغرس، بقيادة الحزب الديمقراطي، قال: أتعرفون؟ هذه فكرة جيدة جداً، دعونا نتعامل مع المخابرات الباكستانية، والعناصر الباكستانية، ودعونا نذهب لتجنيد هؤلاء المجاهدين، هذا عظيم، دعوهم يأتون من السعودية وأماكن أخرى، استوردوا هذه العلامة الوهابية للإسلام، بحيث نستطيع التفوق على الاتحاد السوفييتي، وخمنوا ماذا حصل؟ لقد انسحبوا؛ وخسروا مليارات الدولارات.»

ثانيا: التصريحات التي أدلى بها الرئيس الأمريكي ترامب أثناء حملته الانتخابية أمام حشد من أنصاره في فلوريدا ٢٠١٧م وينص التصريح الذي أدلى به على التالي: «حكومتنا لا تحمينا بشكل كافٍ، حكومتنا أطلقت العنان لتنظيم داعش، وأقول إن الرئيس أوباما وهيلاري كلينتون هما مؤسسا داعش، في الحقيقة، اعتقد أن هيلاري كلينتون.. إنْ كنتم في فريق رياضي، فإن اللاعب الأفضل سينال جائزة، وتنظيم داعش يرغب في منح كلينتون جائزة أفضل لاعبة».

تحافظ على قوة الأمة وتماسكها واستقامتها، وتحصنها من الاختراق، وتبعدها عن الهيمنة والاحتلال، يقولُ اللهُ -جل شأنه-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾ (سورة آل عمران:١٠٠) وتحكي هذه الآيةُ القرآنية حقيقةَ السياسات التي يعتمدُها اليَهُودُ والنصارى والمداخل التي ينفذون منها إلى استغلال الأمة، ونهب ثرواتها والسيطرة عليها، وتهدف إلى صناعة الانحراف عن الهوية الإيمانية.

وتبقى الاستقامة على هدى الله، هي الملاذ الآمن من تضليل أهل الكتاب وإفسادهم، ومن خلالها نحتمي من السقوط في مستنقع الخيانة والعمالة والولاء والعبودية لليهود والنصارى، التي تتنافى كلياً مع الحالة الإيمانية ومع العبودية لله تعالى.

يقول الشهيد القائد رضوان الله عليه- من خلال قول الله جل شأنه: "﴿وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (آل عمران : من الآية ١٠١) بعد أن ذكر هناك بأن هذه الفئة بني إسرائيل هكذا هم يسعون، تبغونها، يعني هو يفتش ويبحث ويعمل يطلب كيف يجعل السبل عوجاء ومعناها كيف يجعل المؤمنين كافرين، هذه تحتها. مثلما تقول . قائمة من الأعمال والمؤامرات الرهيبة عندما يكونون على هذا النحو: هم يبحثون ويطلبون أن تكون السبل عوجاء، ومعنى أن تكون السبل عوجاء أن يجعلوا الناس هم عُوجاً؛ لأنه في الأخير مسألة صراط أليس الله يذكر هناك بأنه الصراط ناس الصراط المستقيم يمثل عليه استقامة ناس يتجلى في استقامة ناس، خط يستقيم عليه السائرون عليه، سيجعل الناس هم يسيرون في الطريق العوجاء يكونون معوجين هم.

أليس الكفر يعتبر حالة اعوجاج بالنسبة للإيمان؟ إذاً فمعناه أنهم عندما تكون القضية مرغوبة لديهم ومطلوبة لديهم ويتآمرون مؤامرات كثيرة من أجل أن يصلوا بالناس إلى الحالة هذه: يطوعونهم ليجعلوهم كافرين أنه يجب على الناس أن يكونوا يبحثون عن أي شيء يلتجئون إليه، ولن يجدوا إلا الله أن يبحثوا عمن يلتجئوا إليه وهو الله -سبحانه وتعالى- يعتصمون به، كلمة: يعتصم يعني: هي توحي بخطورة في نفسها، أنتم عند حالة خطيرة لا ينجيكم منها إلا الاعتصام بالله، والاعتصام بالله العودة إليه والاهتداء بهديه هذا الذي يعصم الناس من هذه الحالة الخطيرة." (١٥)

(١٥) السيد حسين بدر الدين الحوثي، الدرس الأول من دروس سورة آل عمران، بتاريخ: ٢٤ شوال ١٤٢٢هـ الموافق: ٨/ ١/ ٢٠٠٢م

رابعا: الاستقامة أمام شبه ومتغيرات ومؤثرات الحياة

الثبات والاستمرارية على منهج الحق بروحية عملية ويقين راسخ، هو المعيار الذي يحدد مستوى الاستقامة، ومدى عبودية الانسان وتسليمه لله تعالى، والكثير ممن يستجيبون ويتفاعلون مع المشروع الإلهي، ثم ينحرفون ويخرجون عن خط الاستقامة، ويتجهون اتجاهاً سلبياً، يكون ذلك في العادة نتيجة أهواء وشبه ومؤثرات سواء ترغيبية أو مخاوف، أو نتيجة أهواء النفس بما في ذلك عشق المنصب، أو حب المال.

ومنذ انطلاقة المشروع القرآني، دخلنا في واقع متحرك، فنحن ننتقل من مرحلة إلى مرحلة، ونخرج من أزمة إلى أخرى، ونواجه التحديات والتهديدات باستمرار، وتنوعت المؤثرات والمتغيرات والشبه من وقت إلى آخر، ولا زالت، ومن الطبيعي ان يكون لها تأثيرات على نفسية الإنسان وانعكاسات في واقع الإنسان العملي.

وقد كانت الاستقامة هي صمام الأمان أمام كل ما جرى ويجري، والكثير ممن ضعفت استقامتهم وفقدوا التوفيق والرعاية الإلهية، كانوا عرضة للتراجع، واهتزت أقدامهم عند الشدائد، وبعضهم انخدع بالشبه والشائعات والدعايات، وسقط البعض أمام الإغراءات أو المخاوف.

وعن خطورة المؤثرات التي تطرأ في الواقع العملي وفي مختلف ميادين الحياة وتنحرف بالإنسان يقول السيد عبد الملك بدرالدين الحوثي -حفظه الله- : "**الإنسان في بداية الانطلاقة ينطلق وهو يشعر أنه مندفع باندفاع إيماني، يريد الله، يتوجه إلى الله، يتقرب إلى الله، يندفع من أجل الله -سبحانه وتعالى-، وقد تستمر هذه المشاعر لمرحلة معينة، أو مراحل حتى، فيما بعد يعتاد الإنسان مع الواقع العملي، ويتعرض الإنسان في الواقع العملي نفسه وهو في مجال العمل وهو في ميدان العمل يتعرض لكثير من المؤثرات، التي تؤثر على نفسه، بمختلف أنواعها، مؤثرات ترغيبية، مؤثرات تشكل عامل ضغط، مؤثرات من هنا وهناك، عوامل كثيرة تؤثر على نفسية الإنسان، ومع التقصير أيضاً في الأمور المهمة، ومنها الإكثار من ذكر الله، العناية بالهدى، الارتباط الوثيق بهدى الله -سبحانه وتعالى-، إذا قصر الإنسان في هذا الجانب قصر في التذكر والاستذكار لله -سبحانه وتعالى-، تصبح الحالة العملية حالة اعتيادية، وعملاً روتينياً، وأحياناً ليس هذا فحسب، ليس هذا فحسب؛ بل يمكن للشيطان في حالة الفراغ داخل النفس، داخل المشاعر، في حالة الفجوة ما بين الإنسان وبين هدى الله، في حالة الغفلة عن الله، يمكن للشيطان أن يؤثر في نفسية الإنسان، فيحول التوجه في داخله**

ومشاعره في واقع العمل، إلى توجهٍ مختلفٍ توجه سلبي." [١٦]

والقرآن الكريم، يحكي مواقف أشخاص ممن عاشوا في صدر الإسلام، وعايشوا الرسول وسمعوا الوحي طرياً، لكنهم انحرفوا إلى النفاق، واتخذوا موقفاً معادياً للرسول من داخل المدينة، ومن بين أوساط المسلمين، نتيجة ضعف الثقة بالله، وعدم القناعة بما جاء من عند الله؛ وتلك الأسباب مثلت حالة مرضية، في قلوبهم، لم يوفقوا معها، رغم ادعائهم الإسلام؛ وقد استطاع بعضهم أن يخادع المؤمنين، ويخفي نفاقه، وما تنطوي عليه نفسه من الخبث حتى عن رسول الله.

فكانت تأتي الكثير من المؤثرات والمتغيرات، والاهتزازات الكاشفة، التي تفرز الناس وتغربلهم، وتفضحهم، وهنا تكمن أهمية الاستقامة، والمصداقية في الإيمان، فمهما كانت المؤثرات والشبه، ومهما كان مستوى التحديات، تكون النتيجة هي الثبات وزيادة الإيمان، ونجد أن غزوة الأحزاب فرزت المسلمين إلى صنفين:

الصنف الاول هم المنافقون والذين في قلوبهم مرض، فبعد ان حاصر الأعداء المدينة المنورة بجيوش كبيرة، وأرادوا اجتياحها والسيطرة عليها، وأحاطوا بها من كل الاتجاهات يقول الله تعالى: ﴿إِذْ جَاؤُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾، كان للحدث أثره في الضغط على كثير من الناس، والتأثير النفسي والمعنوي عليهم، لدرجة الظن السيء بالله ﴿وَإِذْ زَاغَتْ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ [الأحزاب: الآية١٠]، وكانت تلك الحالة تمثل ابتلاء واختباراً لهم، وعملية فرز كما هي سنة الله تعالى، ﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً﴾ [الأحزاب: الآية١١]، والزلزلة تعبير عن مستوى ضغط الأحداث وتأثيرها.

ونتيجة لذلك حدثت غربلة كبيرة، وتحركت فئات لخلخلة الصف الداخلي، وتخذيل وتثبيط المسلمين، والتنصل عن المسؤولية، والتشكيك في الوعود الإلهية التي بلَّغه بها رسوله في النصر والفتح للأمة وللدين، واعتبروها مجرد غرور- والعياذ بالله- ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُوراً﴾ [الأحزاب: الآية١٢].

والصنف الثاني المؤمنون الذين ثبتوا وازدادوا ايماناً عندما رأوا التحالف يحاصر المدينة المنورة، فلم يتأثروا بإرجاف ولا تثبيط، ولا شبه او مخاوف يقول الله تعالى ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَاناً وَتَسْلِيماً﴾ (الأحزاب:٢٢)

(١٦) السيد عبد الملك بدر الدين الحوثي، (الرقابة الألهية)

وهذه الحالة نموذج لحالات تحدث في كل عصر، وتتكرر مع أعلام الهدى في كل زمان، سواء كانت الابتلاءات بمواقف وأحداث، أو بشكل شبه وأقوال وردود واضطرابات فكرية وتشكيك فيمن يقود الناس وفي أقواله، وقد تأتي الفتن أحياناً بشكل إغراءات ومؤثرات ترغيبية أو ترهيبية.

يقول السيد حسين بدرالدين الحوثي -رضوان الله عليه-: "الاستقامة قضية مهمة؛ لأنه في ميدان الابتلاءات يحصل اهتزازات عند تضارب الفتن، وتزاحم الأقوال، والآراء، والاختلافات، تحصل اهتزازات كثيرة للإنسان، كثير من الناس عندما يتعرض لابتلاءات يتخلى عن كل شيء، وينحرف عن خط الإستقامة، ينحرف عن خط الاستقامة، الاستقامة نفسها قضية مهمة، الله -سبحانه وتعالى- أمر رسوله -صلوات الله عليه وعلى آله- ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (هود:١١٢) استقم أنت يا محمد؛ ليقول لنا -سبحانه وتعالى- بأن كل شخص من عبيده يجب أن يستقيم كما أمر، وأنه لا يجوز له أن يطغى، إذا طغى سيعاقب، إذا طغى سيعذب سواء كان نبياً، سواء كان ابن نبي، سواء كانت زوجة نبي، سواء كان صاحب نبي، كائنا من كان، ليس هناك أحد فوق أن يكون مستقيماً لله.

محمد بن عبد الله -صلوات الله عليه وعلى آله- أفضل الأنبياء يقول الله له: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ (هود: من الآية١١٣) يهدد محمداً -صلوات الله عليه وعلى آله-." (١٧)

كثير من المسؤوليات الأساسية في الإسلام يحتاج الإنسان للقيام بها إلى دافع إيماني كبير، بالذات التي قد يواجه فيها صعوبات ومشاق وتحديات، فالكثير من المؤثرات التي تعترض الإنسان، قد تقعده وتنحرف به عن نهج الاستقامة، وفي كلا الحالتين سواء في مواجهة المؤثرات، أو في الاندفاع للقيام بالمسؤولية، يحتاج الإنسان إلى معرفة كبيرة بالله وثقة عالية ويقين راسخ، وأن تكون محبة الانسان لله فوق أي محبة، وخوفه من الله اكبر من أي مخاوف أخرى، ويجب أن يكون راغباً في ما عند الله أعظم من رغبته فيما عند الآخرين، ويكون أمله في الله، ورجاؤه فيما عند الله يفوق أطماعه وميوله إلى أي مصلحة أخرى.

وبقدر ما تغيب هذه الروحية الايمانية، بقدر ما يتأثر الإنسان ويزيغ، ويذبل نشاطه ويضعف اهتمامه، ويتضاءل اليقين في نفسه، ويصبح إيمانه اجوف، ومشاعره

(١٧) السيد حسين بدر الدين الحوثي، إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا، بتاريخ: ١٤٢٢هـ الموافق:٢٠٠١م

مفرغة من خشية الله، فتطغى المصالح الشخصية، وتتعاظم المخاوف في نفسه، عندها من السهل ان يزيغ ويتأثر سلباً بأي رغبات، ويصبح سلس الانقياد للشهوات وأهواء النفس، ويستجيب للمؤثرات التي تنحرف به وتخرجه عن خط الاستقامة، يقول الشهيد القائد -رضوان الله عليه-: " **ما أكثر ما ينحرف الناس بالترغيب والترهيب وسببه هو أنهم لم يترسخ في أنفسهم أنه لا إله إلا هو. إذا كان الله قد قال لك أنه يمكن أن يكون هواك إله. ما الذي سيعمل هواك أليس رغبات يشدك إلى رغبات معينة، هو نفسه ما يعمل الآخرون من خارج نفسك أنت تجعلهم آلهة عندما تخاف وترغب في مقابل ما خوفك الله منه ورغبك به، أليس الله هو الذي يملك الجنة، ونحن نؤمن بهذا؟ أليس هذا صحيحا؟ هو من يملك الجنة ونحن نؤمن بها، لكن متى ما أتت رغبات من آخرين من تجار، أو مسئولين، أو من أشخاص آخرين ننطلق وراءها ونترك الجنة ماذا يدل هذا عليه؟ يدل على أن إيماننا كله إيمان أجوف وسطحيات كلها هكذا، إيمان لا يتجاوز تراقينا لم ينزل إلى أعماق نفوسنا.**" (١٨)

وفي المقابل نجد النموذج الراقي للمؤمنين المستقيمين المنطلقين على أساس العبودية لله تعالى، والمدركين لمقتضاها في واقع الحياة، فعندما يقولون ربنا الله، لا تبقى مجرد إقرار بربوبيته والوهيته فحسب، وليست مجرد لقلقة لسان، بل هي قول يصدقه العمل، وتطبيقاتها تتجسد ثباتاً واستقامةً وأخذاً بأسباب التوفيق الإلهي، واستمراريةً على منهج التولي الصادق، ومؤشراتها تظهر في تجاوزهم كل المغريات والمؤثرات والتعقيدات، والشبه والاهتزازات. يقول السيد عبد الملك بدر الدين الحوثي: " **البعض يقولون: (رَبُّنَا اللَّهُ)، يعون ما تفيده هذه العبارة المهمة، ما تفيده مقولتهم هذه، فهم يقولونها عن وعي، وبإيمانٍ راسخ، ثم ينطلقون على أساسها في مسيرة حياتهم، فيستقيمون على الصراط المستقيم، يستجيبون لله -سبحانه وتعالى-، يتجهون بوعي، بصدق، باهتمام، باستجابةٍ متكاملة وفق هدي الله -سبحانه وتعالى-، فيأخذون بأسباب التوفيق من الله -سبحانه وتعالى-، ويستمرون مهما واجهوه في طريقهم من المخاوف، والتحديات، والأخطار، فهي لا تثنيهم، ففي قولهم: (رَبُّنَا اللَّهُ)، في قولهم هذا ما يُثَبِّتَهُم: عند كل المخاوف، أمام كل الأخطار، أمام كل التحديات، وعند الرغبات، عند الأهواء، في مواجهة الأهواء، في مواجهة الشهوات، سواءً على المستوى المعنوي، أو على المستوى المادي، ما يواجهه الإنسان من طموحات، من رغبات، من أهواء،**

(١٨) السيد حسين بدر الدين الحوثي، [معرفة الله، الدرس الأول، معنى لا آله الا الله، الثقة بالله، بتاريخ: ٥ من ذي القعدة ١٤٢٢هـ الموافق: ١٨/ ١/ ٢٠٠٢م

تتعلق بالجانب المعنوي، أو تتعلق بالجانب المادي.

حتى في مراحل التمكين عندما يُمَكِّنهم الله، يُمَكِّن لهم في أرضه، في مراحل النصر والتأييد لا تتغير نفسياتهم، ولا تتغير اهتماماتهم، ولا تتغير توجهاتهم، هم على ما هم عليه من قبل ذلك في إقبالهم إلى الله -سبحانه وتعالى-، في ثبات توجهاتهم الصحيحة والسليمة، واهتماماتهم الصحيحة والسليمة، لا يتغيرون.

ولا يتغيرون أيضاً تجاه المشاكل والتعقيدات التي قد يواجهونها وهم في الطريق، وهم يواصلون العمل، كم يواجه الإنسان من التعقيدات، من المشاكل، من العوائق، لكن ذلك لا يؤثر عليهم.

انطلاقتهم الصادقة الواعية على أساس قولهم: (رَبُّنَا اللَّهُ)، التي استشعروا منها بشكلٍ تام عبوديتهم المطلقة لله -سبحانه وتعالى-؛ وبالتالي إذعانهم التام لأمر الله، استجابتهم الكاملة لتوجيهات الله، ولتعليمات الله -سبحانه وتعالى-، ولذلك فهم يواصلون، لا يتغيرون، لا يخرجون عن خط الاستقامة، ولا يتغيرون عن نهج الاستقامة مهما كانت المؤثرات، مهما تنوعت المؤثرات السلبية، التي تصرف الكثير من غيرهم.

المخاوف، والتحديات، والأخطار، والصعوبات، تصرف البعض؛ الإغراءات، والأطماع، والأهواء، تصرف البعض الآخر، البعض من الناس قد يتجاوزون مرحلة الصعوبات والمخاوف والتحديات والأخطار، ولكنهم يسقطون في امتحان الأهواء، في امتحان التمكين، في امتحان الرغبات، عندما تصبح المسألة هناك ذات أهمية بالنسبة لذوي الهوى (هوى النفس)، فيما يتهيَّأ لهم من المناصب، من المقامات، من الإمكانات المادية... من غير ذلك، البعض يسقط، لا يتحمل تجاه ذلك، يصبح المنصب بالنسبة له أهم من كل شيء، يصبح هو المسألة الرئيسية الأساسية التي سيبني عليها حتى مسألة أن يواصل وأن يستمر، أو أن يتوقف.

فالذين يواصلون على أساس ما تعنيه العقيدة المهمة والمبدأ العظيم: (رَبُّنَا اللَّهُ)، ينطلقون فلا يتغيرون مهما كانت المؤثرات، هم الذين يصلون- في نهاية المطاف- لتحقيق ما وعد الله به، والفوز بما وعد الله به -سبحانه وتعالى- في الدنيا وفي الآخرة، وفي الآخرة: الفوز العظيم، ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾." [١٩]

(١٩) السيد عبد الملك بدر الدين الحوثي، المحاضرة الرمضانية الثالثة عشرة، الجمعة، ١٤ رمضان ١٤٤٣هـ الموافق ١٥ ابريل ٢٠٢٢

وهذا الايمان هو الذي يصنع الاستقامة التي تجعل الإنسان ثابتاً، مهما واجه من صعوبات، ومهما كانت الشدائد، ومهما بلغت التحديات، أو كثرت الشبه والدعايات، ومهما كانت المغريات والمؤثرات، كلها لا يمكن أن تؤثر على ثبات الانسان واستقامته، ولن تغير موقفه؛ وهنا نجد أهمية الارتقاء الايماني، وأهمية تعزيز اليقين، حتى يبقى صامداً ومتماسكاً في المنعطفات الخطيرة والمنزلقات الحساسة، وفي اللحظات الحرجة. يقول الشهيد القائد -رضوان الله عليه-: " ﴿ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ **لا تستقيم إلا بعد إيمان راسخ، ثم انطلقوا في ميدان الدعوة إلى الله، الذين تحدث الله عنهم في هذه الآيات هم من هذا النوع: آمنوا إيماناً لا ارتياب معه، ثبتوا ورسخوا، وبقوا صامدين على ما هم مؤمنين به، لا يزحزحهم عن ذلك شبهة، ولا يزحزحهم عن ذلك ترغيب، ولا يزحزحهم عن ذلك ترهيب، ولا يزحزحهم عن تلك الاستقامة تغيرات الظروف والأحوال، وتقلبات الزمان والسلطان.**" [٢٠]

خامساً: الاستقامة سبب للهداية

الهداية الإلهية مفهوم واسع يتجاوز كل التعاريف التي تحصرها في دوائر ضيقة كتعليم العبادات، والأحكام الشرعية، والهداية هي الموضوع الرئيس داخل القرآن الكريم، فالقرآن والرسول هما لهداية الناس، وكل ما أتى من توجيهات إلهية، هي لهداية الناس وإبعادهم عن الضلال، وهذا هو خلاصة القرآن، وخلاصة الدين بكله.

ثم سعة مجالات الهداية ومصاديقها تؤكد حاجة الإنسان المستمرة إليها في مختلف شؤون حياته دون استثناء، فالإنسان مفتقر الى هداية الله وتوفيقه وإرشاده حتى يلقى الله، فهو يحتاج الهداية -ابتداءً- إلى طريق الحق، ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (الفاتحة الاية ٦) ويحتاج إلى الرعاية والهداية الإلهية بأن يظل ثابتاً على الهدى لا يزيغ أو ينحرف، ويحتاج إلى الهداية الإلهية وهو يسير في طريق الحق، كتعليمات وبصائر وإرشاد يستنير بها في واقعه العملي، ويسترشد بها حتى لا يخطئ أو يتجاوز أو يتصرف وفق مزاجه وأهوائه، فينحرف عن خط الاستقامة، ويمكننا تناول ذلك وعلاقته بالاستقامة كالتالي:

(٢٠) السيد حسين بدر الدين الحوثي، مع الدعاة الى الله، مصدر سابق

أولا: الهداية إلى طريق الحق

نكرر بشكل يومي في فروض الصلاة ونوافلها، عشرين مرة تقريباً، قول الله تعالى: ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ﴾ (الفاتحة ٦)، وهذا التكرار الدائم، هو دعاء بالاستقامة، نطلب أن يهدينا إلى صراطه الذي هو صراط مستقيم؛ لنستقيم عليه، وننجو من الانحراف إلى طريق الضلال، وطريق المغضوب عليهم.

والمغضوب عليهم والضالين هما خطَّان يسيران في الحياة باستمرار، لا يخلوا عصر أو زمن ممن أنعم الله عليهم بالسير على الصراط المستقيم، وممن هم مغضوب عليهم، وضالون؛ فالأول يمثل خط الاستقامة، والخط الثاني يمثل خط الانحراف، لهذا أوجب الله علينا كمسلمين أن ندعوه دائماً: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾ (الفاتحة ٦-٨).

ولهذا التكرار دلالة توحي بأننا بحاجة دائمة وماسة إلى الله أن يهدينا في المواقف حتى نقف موقف الحق، وأن يهدينا في الولاءات، فنتولى من يريد الله أن نتولاهم، ومع تشعب الطرق وتعدد السبل يبقى التجاؤنا إلى الله ليهدينا إلى طريق الحق، من بين الطرق الضالة، وأن يرعانا ويوفقنا في جميع شؤون الحياة.

ثم إن الإنسان في حياته يمر بأحداث ومتغيرات كثيرة، ومواقف متعددة، وليس هنالك موقف أو قضية أو حدث خارجٌ عن إطار أن يكون حقاً أو باطلاً، وأن يكون فيه لله رضا أو يكون مما يؤدي بالإنسان إلى سخط الله -سبحانه وتعالى-، فيأتي دعاؤنا بالاستقامة لنؤكد أننا بحاجة إلى هداية الله في كل شئون حياتنا، إلى الصراط المستقيم، حتى لا نضل، ولا نشقى، أو ننحرف الى الباطل.

وبقدر ما يقرر الدعاء بالهداية في أنفسنا سوء الضلال وخطورته، بقدر ما يقرر نعمة الهداية وحاجتنا الملحة اليها، فنحن نتجه إلى الله، من له الحمد والثناء وهو رب العالمين وملك يوم الدين وهو الرحمن الرحيم، نريد منه أن يهدينا إلى صراطه المستقيم.

وتكراره المستمر يؤكد ضرورة الربط اليومي والمباشر بالله، ليمنحنا الهداية، ويبصرنا صراط الذين أنعم عليهم. وفيها ما يؤكد على أن خط الاستقامة صراط واحد، الله هو من يرسمه ويحدد معالمه، ويختار قادته، ومن يهدون به، وبالتالي لا نستطيع نحن أن نعدِل عنه، أو نتجاوز تعليماته، ونحن بحاجة إليه هو ليهدينا إلى هذا الصراط.

وقد أتت الآية بلفظ دعاء لتعبر عن أهمية الاستقامة، وبأسلوب يوحي بضرورة البحث عن كيف نهتدي إليها، باعتبارها قضية تهمنا، ونعمة من أعظم النعم

وأجلها، يقول الله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ (الفاتحة ٧).

كما أن من مدلولاتها الهامة: أن الله أنعم عليهم بنعمة الهداية، باعتبار الهدى من الله تعالى، وهو مصدره، كالرزق والمطر والأكل والشراب، ولا أحد يستطيع أن يهدي نفسه أو يرشدها بعيداً عن الله، والذي يستطيع أن يهدي لديه القدرة أن يضل، وهذا يشعرنا بأهمية الأخذ بأسباب الاستقامة والتوفيق، وأن تكون مشاعرنا مرتبطة بالله، ونفهم سنته وطريقته في الهداية، ونعبِّدَ أنفسنا له، ونسير على الطريقة التي توصلنا إلى الهدى، ونعرف أسباب الهدى منه، حتى لا نزيغ أو نضل.

والقرآن الكريم يؤكد باستمرار على أن يبقى الإنسان دائماً مسيطراً على شعوره بحاجته المطلقة إلى الله ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّه﴾ (فاطر١٥) فنحن فقراء في كل مجال وفي كل شيء.

وعندما ترجع إلى القرآن الكريم تجد الأنبياء ذائبين في الله، ويطلبون الهداية منه، ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾ (طه١١٤). والخلاصة أننا بحاجة دائمة إلى الهداية الإلهية، ونحن محتاجون إلى أن يعرفنا الله طريق الاستقامة وقادتها ويوفقنا لاتباع هداتها، فنطلبها من الله حتى نكون بالشكل الذي يهيئنا الله أن نكون مجاهدين في سبيله، ونتعامل معها كنعمة عظيمة لا بديل عنها سوى الانزلاق إلى طريق الضلال والانحراف.

يقول الشهيد القائد -رضوان الله عليه-: "يحتاج أولاً إلى هداية الله في كيف يكون جديراً، أن يكون ممن يتحرك في هذا المشروع أولاً، وهذا موضوع واسع جداً، وموضوع كل حديثنا [ما هو حوله]؟[٢١] هل نحن الآن في إيطاليا، أو أين نحن؟ ألسنا في اليمن ما زلنا في بيوتنا؟ لكن ترى أمامك موضوع واسع جداً جداً هو موضوع كيف يكون الناس، وكيف نكون بشكل نصلح لأن نكون مجاهدين في سبيل الله، وأن يكون معنا.

ثم ترى كم أمامك من مفاهيم مغلوطة، نظرات مغلوطة، كم أمامك من إشكاليات! كم أمامك من وسائل نحتاج نربي أنفسنا عليها، ونربي أولادنا. ميدان واسع جداً. هنا في كل قضية، في كل مجال، تحتاج إلى هداية الله فيها.

فتكون ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ﴾، التي نقولها كل يوم، اهدنا، اهدنا، توحي لك فعلاً أن الحركة في الحياة هي بهذا الشكل، الحركة المتجددة، الدائمة، هي تحتاج إلى هداية متجددة دائمة." [٢٢]

(٢١) كل حديثنا ما هو حوله؟ بمعنى ان حديثنا يدور حول ذلك الموضوع.

(٢٢) السيد حسين بدر الدين الحوثي، مديح القرآن – الدرس الأول، بتاريخ: ٢٧ ربيع الأول ١٤٢٤هـ الموافق: ٢٨/ ٥ / ٢٠٠٣م

ثانياً: الهداية في طريق الحق

عندما ينطلق الانسان في طريق الحق، ويسير باتجاه صحيح وسليم وارتباط وثيق بالله وهداه، يتدخل الله ليهديه في جميع مراحل الحياة، وكلما استقام فإنه يحظى بتوفيق الله وتثبيته أمام المتغيرات والفتن، وحالات الزلزلة، وفي مختلف أعماله، أمام المستجدات وأمام الكثير من المؤثرات والتعقيدات التي تعترض الإنسان في ميدان الحياة، وفي ميادين المسؤولية. يقول الله -سبحانه وتعالى-: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد١٧]

الشيء الاخر: أن الانسان مهما بلغت مرتبته الإيمانية، ونشاطه العملي، فإنه لا يزال مفتقراً إلى الله وإلى هدايته وتوفيقه، والآيات القرآنية تؤكد حاجة المتقين والمؤمنين إلى هداية الله، فيقول الله جل شأنه: ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة الاية٣) والمتقون ليسوا كما تصورهم الثقافة المغلوطة، بأنهم ساكتون ومتنصلون عن المسؤولية، بل على العكس من ذلك هم مجاهدون في سبيل الله، ومحاربون لأعداء الله، ويعملون على إظهار دين الله في الأرض كلها، وهذا مشروع كبير يستغرق عمر أي واحد من المتقين، ويستغرق ذهنه وتخطيطه وتحركه.

وبما ان مشروع إقامة الدين هو مشروع نهضة وبناء وعمارة للحياة وصراع مع الباطل، تبرز في طريقهم الكثير من الوسائل التي يحتاجون إلى استخدامها: كالتصنيع والزراعة والتجارة والتربية والتثقيف والتنمية الشاملة، وفي كل ذلك يحتاجون إلى هداية الله الدائمة كتعليمات وإرشادات وتوجيهات، ورعايته الشاملة في مهامهم الواسعة، ويحتاجون إلى أن يكون الله معهم ليعينهم ويهديهم ويوفقهم، ويبصرهم ويمدهم بالحكمة، وهذا يستدعي أن يكون الإنسان مستقيماً في سلوكه وواقعه العملي، حتى يحظى بالهداية والعون والتأييد والبركة والتنوير، وهنا ندرك ماذا يعني أن تكون الاستقامة سبباً للهداية، لأن الإنسان إذا عصى الله، وتجاوز وانحرف عن مقتضى عبوديته لله، يسلب الهداية والتوفيق والتنوير، فقد يغلط ويتجاوز وينحرف أو يظلم ويتجنى أو يتأثر بالمؤثرات السلبية، حتى وإن بقيت العناوين، لكنه لن يوفق وإن كان لا يزال لدى الناس يسمى بالمجاهد أو يدعى بالقائد أو المسؤول الفلاني، يقول الشهيد القائد السيد حسين بدر الدين -رضوان الله عليه-: " **المتقون هم من سيهتدون بهذا القرآن ويتعاملون مع هداه بكل جدية، بدون إهمال، بدون تقصير، بحذر، بيقظة. المتقون عمليون، عمليون دائماً، متحركون بحركة الحياة، وفي مجالات الحياة كلها، وعندما تتحرك تتلمس بأنك بحاجة دائماً إلى هدى الله، هدى متجدد، هدى، ولهذا نقول: بأن القرآن حتى فهمه لا تتصور أن بالإمكان أن تجلس في زاوية وتفسره وانتهى الموضوع. لا، بالحركة في الحياة.**

وسورة [الفاتحة] تشهد بهذا، كل يوم نقول: اهدنا، اهدنا، أليست إنشاء؟ لأن الإنسان في مسيرته في الحياة يحتاج إلى هداية الله الدائمة، الدائمة. أنت أمام المتغيرات هذه، الفتن، المواقف، الأشياء الكثيرة تحتاج إلى هدى الله فيها. لاحظ الآن ألسنا بحاجة ماسة إلى هدى الله؟ إذا أنت تتحرك في مجال في الأخير تتلمس بأنك بحاجة إلى هداية من الله داخل هذا المجال.

لكن قد هم يتصورون الهدى هناك أن معناه مثلاً التعريف بأن الله واحد لا شريك له، وتعليم العبادات. وقد هم يؤدونها، وقد وحدوا الله، قد هم يؤدونها، قد هم متقين فلماذا يقول: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ ؟!.

هو يقول: هدى للمتقين؛ لأن المتقين هم من سيهتدون به، المتقون هم أصحاب حركة دائمة، ونفوس يقظة دائماً، نفوس متحركة دائماً، دائما في الحياة كلها. فالقرآن هو حركة دائمة، وموعظة دائمة، كل يوم، كل يوم."[٢٣]

ثالثاً: الهداية في الثبات على الحق

لن يكون الإنسان في يوم ما غنياً عن الهداية الإلهية، حتى لو كان نبياً من أنبياء الله يوحى اليه، فهو يحتاج بداية الى الهدى من عند الله، ويحتاج الى رعاية إلهية، وتثبيت حتى يبقى على الهدى ويستمر في مسار الحق، فلا يزيغ أو ينحرف أو يعوج، و القرآن الكريم يقدم مجموعة من النماذج الإيمانية المتميزة، في وعيها وجهادها وفي إيمانها واستقامتها، أمثال الربيين والراسخين في العلم، ورغم ما وصلوا إليه من رسوخ في العلم وما قدموه من مواقف جهادية تحت راية الأنبياء، إلا أنهم كانوا على الدوام يدعون الله أن يوفقهم ويثبتهم، ويعيشون حالة الخشية من الزيغ والانحراف والزلل، وهكذا تجد حتى الأنبياء بما هم عليه من إيمان وتقوى واستقامة، لا زالوا يستغفرون الله تعالى ويطمعون في مغفرته، ويستشعرون التقصير والافتقار إلى هداية الله وتوفيقه.

ومن هنا ينبغي علينا كمجاهدين في سبيل الله أن نشكرَ الله الذي وفقنا لهذه النعمة، وأبعدنا عن أن نكون في صف المجرمين والظلمة. يقول السيد حسين بدرالدين الحوثي -رضوان الله عليه-: "**المؤمنون الله يحكي عنهم: ﴿رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾** (آل عمران٨) **يقول لك: الهدى هو من عنده، ثم الرعاية بأن تظل على الهدى، أن تظل على الهدى، وتبقى على الهدى، تحتاج إلى رعايته.**

(٢٣) السيد/ حسين بدر الدين الحوثي، الدرس الأول مديح القران، بتاريخ: ٢٧ ربيع الأول ١٤٢٤هـ الموافق: ٢٨/ ٥ / ٢٠٠٣م

تكون دائماً ترجو الهدى من الله، وتتخوف على الهدى الذي عندك ألا تكون عرضة لأن يفلت من بين يديك، تطلب من الله بأنه يرعاك، يحفظك ﴿رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾. ألم يأت بها في إطار الحديث عن مؤمنين نوعية راقية، لو أنه دعاء قَلَب، وغلط ما من جعله من أقوال عباد مؤمنين، ويصفهم بالإيمان بدرجة عالية.. الإنسان يحتاج إلى الله، إلى رعاية الله الدائمة، وكل المسائل هي تحتاج إلى تسليم من جانبك أنت، ضروري تكون مفتح لآذانك بشكل واعي للهدى. ثم وأنت تهتدي انطلق بجدية، ويكون عندك أيضاً في نفس الوقت التفاتة إلى الله بأنه يرعاك، يحميك، يحفظك، لا تقع في باطل، لا يزغ قلبك، لا، ...الخ. تحتاج إلى رعاية الله دائماً." [٢٤]

معايير الاهتداء

الاهتداء يمثل موضوعاً رئيساً وغاية من غايات القرآن الكريم ورسالة الأنبياء، واصطفاء أعلام الهدى، وله علاقة بالاستقامة التي نبحث عن كيفية الوصول اليها، وسنحاول التعرف على معنى الاهتداء، ومعايير الاهتداء، بحيث نستطيع من خلالها تقييم أنفسنا، وتقييم الواقع من حولنا، ومعرفة مدى ارتباطنا بالمشروع القرآني، واستقامتنا عليه. يقول الشهيد القائد السيد حسين بدرالدين الحوثي -رضوان الله عليه-: **"ما هو الاهتداء؟ أليس هو الوعي؟ أليس هو الفهم الذي يدفعك إلى الالتزام والعمل وفهم الأمور، وفهم القضايا، وفهم ما تستلزمه مسيرتك العملية على منهج القرآن؟."**[٢٥]

وفي ضوء ذلك نجد أن مفهوم الاهتداء يشتمل على جوانب متعددة، ففيه استيعاب وفهم للهدى، وكذلك التزام قيمي وأخلاقي، واستجابة كاملة لله، وإحساس عالٍ بالمسؤولية، وإذا أردنا قياس مستوى اهتداء الإنسان واستقامته، سيتجلى ذلك في مستوى التأثر في روحيته ومعنويته، وفي سلوكه ومعاملاته وأخلاقه التي يتحلى بها، وفي مستوى الوعي والبصيرة والحكمة في تصرفاته وممارساته العملية، وكذلك في مواقفه وولاءاته وتحمله الجاد والواعي للمسئولية، ومدى الانسجام التام مع هدى الله في كل ذلك.

يقول السيد عبد الملك بدر الدين الحوثي: "كيف تقدم نفسك في واقع العمل وفي إطار المسؤولية نموذجاً حياً وفعلياً وعملياً لهذا المشروع، فنرى أثر هذا المشروع في روحيتك، ونرى أثر هذا المشروع في مستوى وعيك وبصيرتك،

(٢٤) السيد حسين بدر الدين الحوثي، مديح القرآن - الدرس الأول، مصدر سابق

(٢٥) السيد حسين بدر الدين الحوثي، مسئولية طلاب العلوم الدينية، بتاريخ:٢٥ من ذي الحجة ١٤٢٢هـ الموافق: ٩/ ٣/ ٢٠٠٢م

ويتجلى أثر هذا المشروع في واقعك العملي، وفي التزامك العملي، وفي الأخلاق التي تتخلق بها وتتحلى بها، وبروح المسؤولية والتحرك في إطار المسؤولية.

فتقديم النموذج لهذا المشروع الذي يتجلى فيه أثر هذا المشروع في الروحية في السلوك في الأخلاق في القيم في الحكمة العملية في الإحساس العالي بالمسؤولية في إطار العمل، هذا جانب أساسي وجانب مهم جداً وجانب رئيسي ضمن الوظائف والمسؤوليات الكبرى للمنتمين إلى هذا المشروع، ويجب الالتفات إليه على الدوام."[٢٦]

ومن خلال النصوص التالية، نستطيع معرفة مصاديق الهداية عملياً، ومعرفة معايير الاهتداء، وكيف يجب أن يكون ارتباطنا بالمشروع القرآني، حتى نقدم النموذج القرآني للإنسان المهتدي والملتزم بهدى الله تعالى.

المعيار الاول: التأثر في الروحية

الله تعالى هو مصدر الهداية، وهو من يهدي عباده، والاهتداء ليس مجرد انتماء شكلي للحق، أو معارف ومعلومات ذهنية، وليس الاهتداء مجرد قدرات تتقنها في الحوار والخطاب أو التلاوة، وليس مجرد حفظ لعدد من الآيات أو الأحاديث النبوية، والقصص التاريخية والمواعظ؛ ثم تظن أنك أصبحت من المهتدين، بل لا بد أن تنعكس معاني الهدى ومفاهيمه في أعماق نفسك، وتتأثر في روحيتك ومعنوياتك، وله مؤشرات تدلل على هذا التأثر، تبدأ من إحساس الإنسان ومشاعره، كالخوف والخشية من الله، والمحبة لله والرغبة والامل والرجاء فيما عنده، جميعها تبقى منشدَّة إلى الله تعالى، ويمتد هذا التأثر إلى سلوك الإنسان وتصرفاته ومواقفه.

يقول السيد عبد الملك بدر الدين الحوثي -يحفظه الله-: " الهداية ليست مجرد معرفة فقط، الهداية فيها تأثر، قد تقرأ دروس معرفة الله وإذا أنت بعيد عن الهداية، قد تعرف الكلام، تستطيع تقرأه أو تُمليه أو حتى تحفظه غيباً، لكن ما مدى أثره فيك؟ هل شدك إلى الله؟ هل ترك فيك تأثيراً فيما يتعلق بمعرفة الله؟ علامات التأثير هي أشياء في وجدانك، في مشاعرك، في نفسك، ليست مجرد أشياء في ذهنك تستطيع أن تجيب إذا أحد سألك. لا!، أنت، أنت في إيمانك، في خوفك من الله، في خشيتك لله، في محبتك لله، في رجائك لله، إنشدادك نحو الله، هل هناك تأثير أم لا؟ هذا المعيار المهم." [٢٧]

(٢٦) السيد عبد الملك بدر الدين الحوثي، لقاء بمسؤولي المحافظات، ١٤٣٨هـ.

(٢٧)السيد عبد الملك بدر الدين الحوثي، محاضرة أسباب التوفيق، مصدر سابق

والمؤمن المستقيم لا تفارق روحيته التقوى لله، وحالة التذكر لله، ويعيش مخلصاً لله تعالى، ومتجهاً اليه، لا يرجو من وراء عمله أي مكاسب معنوية أو مصالح مادية، سوى رضى الله، ويتطلع إلى ما وعد الله به عباده المؤمنين، يقول الشهيد القائد -رضوان الله عليه-: "**الإنسان المؤمن بالله هو من يكون خوفه من الله أعظم من خوفه من غيره، هو من يكون رجاؤه في الله أعظم من رجائه في غيره؛ المؤمن بالله هو من يعيش دائماً حالة التذكر لله، الحرص على رضا الله، الخوف من بطش الله، الرغبة فيما عند الله. الإيمان بالله هو إيمان عملي يبعث. متى ما كان إيماناً صادقاً. هو يبعثك على العمل، يبعث في نفسك الخوف، يبعث في نفسك الرجاء، يبعث في نفسك الرغبة.**

الذي دائماً يعيش مشاعر التقوى، دائم الخوف من الله، دائماً يعمل كل ما يقيه من عذاب الله، كل ما يقيه من سخط الله، كل ما يقيه من غضب الله ومقته؛ هذا هو التقي. والتقي هو: مَنْ نفسُه يقظة، مَنْ مشاعره يقظة، كلها مليئة بالخوف من الله -سبحانه وتعالى-، بالخشية لله -سبحانه وتعالى- ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى﴾ [الليل:١٧]". (٢٨)

المعيار الثاني: الوعي والبصيرة

القرآن الكريم كتاب يصنع الوعي والبصيرة والحكمة، ويعتبر مصدراً أساسياً للوعي العالي، والفهم الصحيح، والتقييم السليم، والقراءة الدقيقة للواقع، ومصدراً للهدى والبيان.

سماه الله فرقاناً، وسماه نوراً وهدى، والانسان المهتدي بهذا النور يستطيع أن يستنير به في مواجهة كل ظلمات الفتن، وظلمات الضلال، ويسترشد به في كل المشاكل والأزمات، ومن خلاله يستطيع مواجهة جميع أساليب الأعداء، وشائعاتهم ودعاياتهم، مهما كانت لديهم من وسائل وتقنيات.

وعندما لا يرتقي المؤمنون بوعيهم وإيمانهم، ويسعون إلى الاستفادة من هدى الله، والأخذ بأسباب الهداية والتدخل الإلهي، تكون النتيجة هي الحيرة والتخبط والجهل، وبالتالي تأتي متغيرات وأحداث وفتن كبيرة تكون فوق مستوى إيمانهم، وفوق مستوى وعيهم، وفوق مستوى واقعهم النفسي في كل المجالات، فيصبحون عرضة للضلال والانخداع والانحراف عن الحق. **يقول السيد عبد الملك بدرالدين الحوثي من خلال قول الله تعالى:** "﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد : ١٧] **هذه**

(٢٨) السيد حسين بدر الدين الحوثي، محاضرة: وأنفقوا في سبيل الله، بتاريخ: ٢٥ جمادى الآخرة ١٤٢٣هـ الموافق: ٢ / ٩/ ٢٠٠٢م

كلمه مهمه جداً وءاتاهم تقواهم، والاهتداء لا يتحقق للإنسان إلا بالاستجابة لله -سبحانه وتعالى-؛ أن تكون مهتديا تستبصر بنور القرآن، وتتحرك في إطار البصيرة القرآنية، والوعي القرآني عاملا مطبقا ملتزما، هنا يمكن أن تكون في مسار الاهتداء من المهتدين ، من المهتدين ثم تحصل من الله -سبحانه وتعالى- على هداية على تزكية على تنوير نور في القلوب: ﴿إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩]." (٢٩)

المعيار الثالث: السلوك والتعامل

الانتماء الإيماني له ثمرة عملية، من أهم ما فيها زكاء النفوس وطهارة القلوب، وحسن التعامل، والتحلي بمكارم الاخلاق، وحميد الخصال، والابتعاد عن الرذائل وما يسوء الانسان، وتتجلى هذه الثمرة في سلوك الانسان، وتنعكس في اخلاقه وتعامله مع الآخرين، ولا ينسجم بحالٍ أن تكون مؤمناً مستقيماً، وأنت تمارس المعاصي وتخالف أوامر الله ونواهيه، ولا يتم للمسلم دينه دون مكارم الأخلاق التي تعد من القضايا الأساسية في الدين.

يقول الشهيد القائد -رضوان الله عليه - من خلال قول الله تعالى:"﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ (الشورى:٣٧) لاحظ كيف سلوكياتهم تكشف واقع نفسياتهم، التي ملؤها الإيمان الواعي، الإيمان الراسخ، الإيمان الذي لا ارتياب معه، هم يجتنبون كبائر الإثم حياء من الله، ولما لكبائر الإثم من أثر في جعلهم غير جديرين بتحقيق وعود الله على أيديهم ولهم.

﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ لا يتجاوزون الحق، لديهم اهتمامات كبرى، لديهم حرص على رضى الله -سبحانه وتعالى-، فسيصفح وسيغفر لأخيه إذا ما بدرت منه إساءة أو زلة، هو لا يريد أن يغرق المجتمع في مشاكل ثانوية تصرفه عن القضايا المهمة التي يجب أن يعطيها كل اهتمامه، فهم عادةً إذا ما غضبوا لا يدفعهم الغضب إلى التجاوز، ولا إلى الباطل، بل يغفرون أيضاً.

﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾ (الشورى: من الآية ٣٨) لأنهم مؤمنون بربهم فاستجابوا له في كل ما أرشدهم إليه، وكل ما أراد منهم، وطلبه منهم." (٣٠)

(٢٩)السيد/ عبدالملك بدر الدين الحوثي [الدرس السابع عشر من دروس مكارم الأخلاق].

(٣٠) السيد/ حسين بدر الدين الحوثي، الدرس الرابع من دروس آيات من سورة المائدة، بتاريخ: ٣ من ذي القعدة ١٤٢٢هـ الموافق: ١٦/ ١/ ٢٠٠٢م

المعيار الرابع: المواقف والمسؤولية

تتصدر المسؤولية معايير المصداقية في الانتماء الإيماني، لدرجة جعل الله المسؤولية في القرآن الكريم محكاً هاماً في الابتلاء الذي يفرز الصادق من الكاذب، ويميّز الخبيث من الطيب قال تعالى: ﴿**مَّا كَانَ اللّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىَ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ**﴾، فالأحداث والمواقف هي التي تغربل الناس وتجلي حقيقة ما في أنفسهم، والطيب هو الذي يستجيب لله -سبحانه وتعالى- وينهض بهذه المسؤولية ويضحي ويعاني ويصبر ويثبت ويعمل بمقتضى القيم الإيمانية وبمقتضى التوجيهات الإلهية بالجهاد والتضحية والعطاء والصبر والثبات، بينما الخبيث هو المتنصل عن المسؤولية، والرافض لتوجيهات الله، والمتهرب من الجهاد في سبيل الله.

يقول السيد عبد الملك بدر الدين الحوثي: " **الموقع الذي تحتله المسؤولية في مجالاتها المتعددة: في إقامة العدل، وإحقاق الحق، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله -سبحانه وتعالى- والمصداقية في الولاء، وعدم الانحراف في الولاء، هذه المسألة موقعها في الدين الإسلامي لدرجة أنَّ الله جعلها معيارًا لمصداقية الإنسان في انتمائه الإيماني، لهذا المستوى من الأهمية. ولذلك، عندما نتجه إلى النصوص القرآنية، والآيات المباركة، وما يقوله الله فيها؛ ندرك خطورة التفريط في هذا الجانب، ومساوئه، وما يترتب عليه.**

الله -سبحانه وتعالى- أكَّد في القرآن الكريم في آيات كثيرة على هذه النقطة: على أنَّ النهوض بهذه المسؤولية، أو التفريط فيها إنَّما يعتبر شاهدًا ومجليًا وموضحًا وكاشفًا لحقيقة مصداقية الإنسان، فالذي يحدد مصداقيتك مع الله -سبحانه وتعالى- هو ما أنت عليه في مدى تحملك لهذه المسؤولية، والتزامك بها، وتفاعلك معها." [٣١]

(٣١) السيد/ عبد الملك بدر الدين الحوثي، محاضرات الهجرة النبوية، المحاضرة السادسة ، ٦ محرم ، ١٤٤٠هـ

عوامل الاستقامة

وأسبـــاب الانحـــراف والسقوط

الفصل الثاني:

ســـنـــة الابـــتـــلاءات

﴿الٓمٓ ١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ
لَا يُفۡتَنُونَ ٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ
ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٣ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ
يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسۡبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ٤ مَن
كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٖۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ
ٱلۡعَلِيمُ ٥ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ
عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
لَنُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَحۡسَنَ ٱلَّذِي كَانُواْ
يَعۡمَلُونَ ٧﴾ (العَنكَبُوت : ١ - ٧)

مدخل عن: ضرورة الاستقامة أمام الابتلاءات والفتن

الإنتماء الإيماني هو ميثاقٌ بيننا وبين الله، على السمع والطاعة والاستقامة على ما أتانا في شريعة الله من تعليمات والتزامات وتوجيهات، وفرائض وأحكام، والاتباع للأنبياء والهداة الذين يختارهم لقيادة الامة: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ (المائدة: من الآية٧)، وثمرة هذا الانتماء هي ثمرةٌ عملية تتجسد فيها الطاعة الكاملة لله تعالى.

ويبدأ الانتماء للإسلام بالشهادتين وترك عبادة الأوثان، ثمَّ السعي للوصول إلى مرتبة الإيمان، من خلال الصفات التي وصف الله المؤمنون بها في القرآن الكريم.

وقد سطر القرآن موقف الأعراب الذين أسلموا، وفهموا أن بالإمكان الاكتفاء ببعضٍ من شعائر الإسلام لتنقلهم إلى مرتبة الإيمان، فقال عنهم: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ (الحجرات: الآية١٤)، أنتم أسلمتم بخروجكم من الشرك، لكن لم تصلوا بعد إلى مرتبة الإيمان، ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ (الحجرات: الآية١٤)، فالقلب هو الموقع الذي يحتوي الإيمان عقيدة، ويحتوي الإيمان مشاعر، ثم يتجلى ذلك في أعمال الإنسان ومواقفه وتصرفاته، فَرَدَّ عليهم رداً صحح فهمهم الخاطئ، ثم قدَّم عنواناً مهماً يوضح الانتماء الإيماني الصادق، الذي له ثمرة عملية ومواقف جهادية، فيقول -جل شأنه-: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (الحجرات: الآية١٥).

والقرآن الكريم يؤكد في آية مهمة، أن الإقرار بالإيمان لا يكفي، حيث شاءت إرادة الله تعالى أن يختبر عباده، ويكشف مصداقية انتمائهم للإيمان من خلال سنة الابتلاءات؛ قال تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ (العنكبوت:٢- ٣). وهذه الآية المباركة تؤكِّد هذه الحقيقة المهمة كسنة من سنن الله مع عباده المنتمين للإيمان في كل زمانٍ ومكان، ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ فقد جرت مع الذين من قبلنا، وستجري في كل عصر مع المنتمين لعنوان الايمان، من الذين قالوا: (آمنا)، والتزموا بشعائر معينة واهتمامات محدودة، ولكن لم تكن ثمرة انتمائهم للإيمان ثمرة عملية تتجسد فيها الطاعة الكاملة، إنما الاستجابة الجزئية والطاعة المحدودة المحكومة بالرغبات والمزاج وهوى النفس، فكانت المسألة غير مقبولة عند الله -سبحانه وتعالى-.

فالله يختبر عباده في هذه الحياة بأمور كثيرة، ويختبرهم فيما يتعلق بانتمائهم الإيماني باختبارات متعددة، في مقدمتها ومن أهمها الاختبار في الموقف من الباطل والظلم وقوى الشر والمجرمين والمحتلين، والموقف ممن يريد أن يستعبدهم ويسيطر عليهم، فيختبرك كمسلم كيف سيكون موقفك منهم؟ هل ستتخذ الموقف الذي يفرضه انتماؤك الإيماني؟ هل ستتحرك حسب توجيهات الله وتعليماته وتنطلق مجاهداً في سبيل الله بالموقف الحق؟ يختبرنا ليعلم هل نحن سننهض بالمسؤولية؟، فتتجلى تلك القيم والأخلاق والمبادئ في واقعنا، أم أننا سنتنصل عن مسؤولياتنا في الحياة ونقبل بالاستسلام والإذلال ونعرض عن أوامر الله؟ ومن هنا كان لابد للإنسان من الخضوع للاختبار، ليتبين مصداقيته في إدعائه الايمان، ومدى استقامته وفق أوامر الله.

والمجتمع المسلم يحتاج اليوم إلى استيعاب السنة الإلهية في الاختبار وكيفية التعامل معها، لأهمية المسألة وعلاقتها بالاستقامة وما يترتب عليها من نتائج مصيرية وتأثيرات تطال الانسان في الدنيا والاخرة. ومن خلال المباحث التالية سنتناول سنة الابتلاءات ومجالاتها ونتائجها بشكل مفصل، ونتناول الحلول التي تحفظ لنا استقامتنا تجاه الفتن والابتلاءات والامتحانات المتنوعة في هذه الحياة.

المبحث الأول: مفهوم سنة الابتلاءات

الابتلاءات والفتن سنة الهية تمثِّل حالة امتحان وتمحيص وفرز وغربلة وتتم من خلال اهتزازات وزلزلة وفتن وأحداث ومواقف عملية، يختبر الله بها عباده ليميز الخبيث من الطيب ويعلم الصادق من الكاذب ويظهر مصداقية الإنسان في مدى عبوديته وتسليمه وتوليه لله، ومدى التولي لرسوله وأعلام هداه، ويتجلى مدى استعداده للتضحية بالنفس والمال في سبيل الله، ومستوى ثباته على مواقف الحق، وينكشف مدى تمسك الإنسان بالقيم والمبادئ والأخلاق الإيمانية، وتماسكه أمام مؤثرات ومتغيرات الحياة، ومدى الوعي واليقين أمام الشبه والشائعات.

وقد ورد ذكر سنة الابتلاءات في آيات متعددة في القرآن الكريم، حيث يقول الله تعالى: ﴿مَّا كَانَ اللّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىَ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ﴾ (آل عمران: من الآية ١٧٩).

وفي جميع المواضع أتى الحديث عن سنة الابتلاءات بعبارات توحي بحتمية تحققها لا محالة، يقول الله -جل شأنه-: ﴿الٓمٓ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ (العنكبوت:٢-٣).

فهي سنة حتمية لا مناص منها، ومن خلالها تخرج الاضغان وتظهر ما في أعماق النفوس، وتكشف كل انسان على حقيقته، يقول الله - جل شأنه- : ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ (محمد: ٢٩-٣١) ويقول ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُواْ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ اللّهِ وَلاَ رَسُولِهِ وَلاَ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾ (التوبة: من الآية ١٦)

وجرت هذه السنة الإلهية على جميع المنتمين لرسالات الله في كل زمن وعصر، دون استثناء، وفي مقدمتهم

"

يقول الشهيد القائد -رضوان الله عليه-: العبودية المطلقة لله، وفهم معنى العبودية ماذا يعني أنني عبد لله، أطيع الله فيما أمر ونهى، أعمل على كسب رضاه، أحبه وأتولاه، أكون من حزبه، أكون من جنده، أكون من أوليائه، أستقيم، أستقيم على هذا النهج، أفهم تعامله معي -سبحانه وتعالى- كعبد له في هذه الدنيا أنه لا بد أن يبتليني بتكاليف متنوعة،

الأنبياء والصالحون وأصحاب الأنبياء، والعلماء والمجاهدون في سبيل الله، يقول الله حاكياً عن نبيه موسى -عليه السلام- ﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾ (طه: ٤٠) ويقول عن أصحاب موسى ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ﴾ (طه: من الآية٨٥). ويذكر القرآن الكريم أن نبي الله سليمان تعرض للابتلاء والفتنة، فيقول -جل شأنه- : ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾ (ص: الآية ٣٤).

واليقين بحتمية الفتنة والابتلاء والاختبار الإلهي، حالة تربوية تقودنا إلى اليقظة والحذر وتربينا على الاستقامة والأخذ بعوامل التوفيق، وتجعلنا في حالة التجاء دائم الى الله تعالى، أن يثبتنا أمام الابتلاءات، ونبني واقعنا على التسليم لله، أمام أي شيء يحدث، وأمام أي فعل أو توجيه من توجيهات الله، فنتقبل ذلك، حتى لا نسقط أو ننحرف في هذا الاختبار.

والقرآن يؤكد أن سنة الابتلاء راسخة في ثقافة الأنبياء -صلوات الله عليهم-، فنبي الله داوود -عليه السلام- استشعر قضية الابتلاء في قصة صغيرة وموضوع عادي، يتعلق بأغنام، حينما أجاب على شخص يدعي أن أخاه يريد أن يضم نعجته إلى نعاجه، مع أن جوابه معلق، ولأنه مرسخ في نفسه ثقافة الابتلاء، انتبه في اللحظة نفسها إلى أنها قد تكون فتنة ﴿وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ﴾ (سورة ص اية:٢٤)، لذلك استغفر ورجع إلى الله ﴿فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ (سورة ص الآية٢٤).

وكذلك نبي الله موسى -عليه السلام- كانت ثقافة الابتلاءات قائمة لديه، فنجده في موقف من المواقف عندما اختار سبعين رجلا من قومه، وجمعهم في موعد تلقي الألواح، فطلبوا رؤية الله جهرة، فدكَّ الجبل وأخذتهم الرجفة، فقال موسى كما حكى القرآن الكريم : ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاء مِنَّا﴾ (الأعراف:١٥٥) بمعنى لو أهلكتهم في وقت آخر غير هذا حتى وإن كنت معهم، لكنه تنبه بعد ذلك وتدارك أنها كانت فتنة له، وسلَّم لله، ودعا الله واستغفره: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾ (الأعراف: من الآية١٥٦) وحكى عنه في آية أخرى بعد أن خرَّ موسى صعقا، وبعد أن صحا قوله: ﴿سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأعراف: من الآية١٤٣)

وللاختبار نتائج إيجابية على الإنسان ونتائج تربوية تدفعه إلى تصحيح واقعه بعدها، وقد يتردى الإنسان ويسقط إذا لم يتنبه، ويتعرض لعقوبة إلهية فيضله الله ويخذله ويسلبه الهداية والتوفيق.

وعندما يتنبه الإنسان ويسيطر على نفسه ويسلِّم لله، تعتبر لحظة من أهم

اللحظات الإيمانية التي يستجاب فيها الدعاء وتقبل معه التوبة، لذلك نجد أن نبي الله سليمان دعا الله بعد ما تعرض للفتنة: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لاَّ يَنبَغِي لأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ (ص: الآية ٣٤). وكذلك نبي الله موسى بعد أن تعرض لفتنة رجع الى الله تعالى ودعاه، يقول الله – جل شأنه- : ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾ (الأعراف: من الآية١٥٦). كذلك نبي الله داوود –عليه السلام- بعد ما ظن أنها فتنة. ﴿فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ (سورة ص الآية٢٤).

وبالتالي نحتاج إلى الاستقامة وفق مبدأ العبودية لله كضمانة للنجاة والنجاح، أمام الابتلاء والاختبار الإلهي وحالات الفتن التي تحصل كسنة الهية لا تستثني أحدا، لأن الاستقامة العملية على النهج الذي رسمه الله والاستمرارية على هداه هي التجسيد الفعلي للعبودية لله تعالى والتسليم والاستجابة له، وهي المحك الذي أتى فيه الاختبار الإلهي منذ الوهلة الأولى في تاريخ البشر؛ فلا يكفي مجرد الاعتراف والتصديق بأن الله ربنا ونحن عبيده، دون استجابة كاملة لما أتى في القرآن من ألفه إلى يائه.؛ فمجرد الإقرار بالعبودية لله حالة قائمة حتى لدى غير المسلمين.

وقد يتحرك الإنسان في مشوار حياته وفي انتمائه وفي عمله، بناءً على الاعتراف بأنه عبدٌ لله ولا نقاش في ذلك نهائياً، لكنه بعيدٌ عن مقتضى عبودية الله العملية، وإقراره يبقى ادعاء إذا لم يترجم إلى واقع فعلي.

فالمحك هو في مدى استجابته للأوامر والنواهي الإلهية، حتى وإن خالفت هواه أو تصادمت مع رغباته الذاتية وشهواته النفسية ومصالحه الشخصية؛ والكثير من الناس يستجيبون لله فيما لا يخالف هواهم، ويلتزمون في حدود الرغبات والاعتبارات النفسية، ولو عدنا إلى واقع الأمة الإسلامية اليوم لوجدنا أن مستوى الالتزام الكامل بدين الله ضعيفٌ جداً، لأنها دائماً تحت سقف الهوى.

لذلك كانت سنة الله -جلّ شأنه- مع عباده هي الامتحان لهم في الواقع العملي، الذي يشكل محكاً للإنسان، ومن خلاله يتجلى صدق الانسان في إيمانه، ومدى عبوديته وتسليمه لله واستقامته على منهج الله وشرعه.

يقول الشهيد القائد-رضوان الله عليه-: "**العبودية المطلقة لله، وفهم معنى العبودية ماذا يعني أنني عبد لله، أطيع الله فيما أمر ونهى، أعمل على كسب رضاه، أحبه وأتولاه، أكون من حزبه، أكون من جنده، أكون من أوليائه، أستقيم، أستقيم على هذا النهج، أفهم تعامله معي -سبحانه وتعالى- كعبد له**

في هذه الدنيا أنه لا بد أن يبتليني بتكاليف متنوعة، ما بين شاق على نفسي، أو شاق على جسمي، وما بين سهل، ما بين صعب علي باعتباره مخالف لهواي، أو لمصالحي الشخصية، أو لأي اعتبار آخر من الاعتبارات الدنيوية، وبين ما هو بعيد عن هذا الاعتبار.

جهل كثير من الناس، بمعنى تكليف الله لهم، جهل كثير من الناس بمعنى عبوديتهم لله تخلق إشكالات كثيرة جداً جداً، تؤدي في الأخير إلى مجرد الإقرار، الذي لا يتوافق معه العمل، ولا يتوافق معه حتى الاعتقاد...أن أعلم بأنني عندما أقول: أنني عبد لله، وأقر بأن الله ربي، أن الله لا يكتفي مني بهذا، لا بد أن يمتحنني، لا بد أن يبتليني؛ ليتبين مصداق ما أدعيه، ويتبين استقامتي وثباتي على ما أدعيه.“ [1]

والابتلاءات وفق المفهوم القرآني، هي ابتلاءات عملية تنفي كثيراً من التصورات التي تحصرها في شكل أمراض أو مصائب ثقيلة الوطأة، فطبيعة الابتلاءات و الفتن تأتي في أمور ليس الالتزام بها كارثةً أو معضلة، وبعضها تأتي بشكل فرص معينة يتاح للإنسان من خلالها أن يزني أو يسرق أو يخون، فيُختبر في خوفه من الله، وكلما سيطر على نفسه نجح في الاختبار، وقد تأتي الابتلاءات بشكل شهداء وجرحى وجميعها في الإطار العملي في ميادين المسؤولية ومسيرة الحياة، وقد تأتي الاختبار بشكل معاناة وشدائد وضراء، ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ (الأنبياء٣٥) و– أحياناً- بشكل نعم معينة كنعمة النصر والفرج والتمكين ونعمة المال، وقد تأتي في شكل رخاء ورغد من العيش، ليتبين من خلال ذلك تعامل الإنسان معها هل سيطغى؟ أم أنه سيزداد تواضعا لله ومع عباده، يقول الشهيد القائد حسين بدرالدين الحوثي -رضوان الله عليه- من خلال قول الله تعالى: ”﴿وَفِي ذَلِكُم بَلاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ﴾ (البقرة من الآية: ٥٠) **ثم قال بعد:** ﴿وَفِي ذَلِكُم بَلاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ (البقرة من الآية: ٤٩) **ليس الابتلاء يعني مصائب، مصيبة، مصيبة. إلى آخره، أن يكون أحيانا بمعنى نعمة، يبلوكم بها، بمعنى يتبين عملكم فيها، ويتبين تعاملكم معها، فهي نعمة، وفي نفس الوقت محط ابتلاء لكم يتبين من هو الذي يعطي قيمة لهدى الله، ويسير على نهجه، ويتمسك، ومن الذي يعتبر شاذاً في هذه الحياة، ومن هو المؤمن، ومن هو الفاسد، ومن هو المصلح إلى آخره.“** [2]

ويأتي الاختبار بشكل أعمق في الأحداث والمواقف والمسؤوليات والولاءات، ففي

(١) السيد حسين بدر الدين الحوثي، إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا، بتاريخ: ١٤٢٢هـ الموافق:٢٠٠١م

(٢) السيد حسين بدر الدين الحوثي، الدرس الثاني والعشرون من دروس رمضان، بتاريخ: ٢٢ رمضان ١٤٢٤هـ الموافق: ١٦/ ١١/ ٢٠٠٣م

سورة آل عمران وعقب انتهاء معركة أحد والاهتزازات الكبيرة التي تعرض لها المسلمون في تلك المعركة، يقول الله تعالى: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ وَلِيُمَحِّصَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ (آل عمران: ١٤٠-١٤٢) ومن المهم جداً أن يكون لدى الإنسان فهم واضح لسنة الابتلاء والاختبار الإلهي في الحياة، وكيف تحدث، وما هي مجالاتها، وما علاقتها بالاستقامة؟ لما يترتب على ذلك من نتائج مصيرية في واقع الانسان. يقول السيد عبد الملك بدر الدين الحوثي: " **من المسائل المهمة: أن يفهم الإنسان مسألة الاختبار والفتنة: أنك في هذه الحياة، وفي ميدان العمل، في ميدان اختبار، تختبر في مدى انتمائك، مصداقيتك، ثباتك، فالمسألة مسألة مهمة، أنت ستختبر مثلاً تجاه كل الأمور، كيف أنت في حال الرضا، كيف أنت في حال السخط، كيف أنت تجاه الرغبات، كيف أنت تجاه الأهواء؛ تأتي اختبارات.**

الإنسان إذا كان ملتجئاً إلى الله، ومتنبهاً، ومستعيناً بالله، يجتاز تلك الاختبارات بنجاح، وبتوفيق عظيم من الله -سبحانه وتعالى-. [٣]

مجالات الابتلاءات العملية

الجانب العملي هو مجموعة من السلوكيات والاقوال والمواقف والتعاملات والمهام والتصرفات التي يقوم بها الإنسان في الحياة، والواقع العملي هو انعكاس للحالة النفسية وتجسيداً لما يكنُّه الإنسان في أعماق نفسه، فممارسات الإنسان وتصرفاته وأقواله لها جذور في أعماق النفوس، والأعمال التي يقوم بها الإنسان المؤمن هي انعكاس لما في نفسه من معتقدات ومبادئ ومشاعر إيمانية، كالمحبة لله والخوف من الله وتعظيم الله، وجميعها تتجلى عملياً في الممارسات والسلوكيات وفي الأعمال والمواقف والأقوال.

وحتى لو كان الإنسان متديناً وفي نفسه شيئٌ من الخبث، فإن خبثه الموجود في أعماق نفسه ينكشف في واقعه العملي من خلال سلوكياته ومواقفه وولاءاته، ويتضح في أقواله وأفعاله وفي تصرفاته، فيتجلى حقيقة ما هو عليه. كما يقول الإمام علي -عليه السلام- "**ما أضمر امرؤا شيئاً إلا أظهره الله على قسمات وجهه، وفلتات لسانه**"، وكثيراً مما يكمن في أعماق الإنسان لا يظهر إلى العلن، وينكشف

(٣) السيد/ عبدالملك بدرالدين الحوثي، المحاضرة الرمضانية الرابعة عشرة، مصدر سابق

إلا من خلال مواقف فيها تحديات ومخاطر، تتطلب البذل والتضحية، والبعض لا يعلم بما في أعماق نفسه الا بعد أن يتعرض لاختبار.

وقد شاء الله تعالى أن يختبر عباده اختباراً عملياً في جوانب معنوية ترتبط بالولاء والتسليم والقبول بتوجيهات الله تعالى، والطاعة لمن يختارهم الله قادة للأمة، وفيما يحدده بمواقفه وولاءاته وعداواته، وفيما يكتبه بأفعاله وأقواله، أين هو، وأين يتجه؟

ويختبره في مجالات عملية معنوية ومادية ترتبط بمسؤوليات الأمة في الإنفاق والبذل والعطاء، وفي الجوانب التي تحتاج إلى كلفة مالية أو تضحية بمصالح مادية، أو منصب أو تضحية بالنفس، أو الأشياء التي تصطدم مع رغبات النفس في الاستعلاء والرفعة والسمو والمطامع المعنوية، باعتبارها محكات خطيرة يتجلى من خلالها حقيقة الإيمان الصادق، ويتميز فيها الخبيث من الطيب. يقول الشهيد القائد -رضوان الله عليه-: "**تأتي الابتلاءات في مجالين: فيما نحب من الناحية المادية، وابتلاءات فيما يتعارض مع مطامعنا من الناحية المعنوية، ومع شعورنا وحب الاستعلاء لدينا من الناحية المعنوية.**

لو كان التشريـع، لو كان الابتلاء الإلهي لا يتناول هذه المجالات التي هي محك حقيقي، ودليل حقيقي على الصدق من الكذب، لكان كل الناس يدَّعون الإيمان ويدعون العبودية لله.

لكن لا ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾ (آل عمران: من الآية١٧٩) **لا بد من الابتلاء** ﴿آلَمْ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ (العنكبوت:٢ - ٣).» (٤) و المجالات العملية للابتلاءات كالتالي:

المجال الأول: الابتلاءات المادية

حينما يكون الواقع مطمئناً لا يوجد فيه تحديات ومخاطر أو تضحيات، يظهر الكثير ممن يدعون الانتماء للإيمان ويتظاهرون بالصلاح، لا سيما أن الكثير يستطيع المغالطة من خلال اهتمامه بالعبادات والمندوبات والمسنونات، وفي مثل هذه الحالات يختلط الخبيث بالطيب، فالكثير من الفرائض والأعمال العبادية لا تحتاج

(٤) السيد حسين بدر الدين الحوثي، إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا، مصدر سابق

إلى بذل وتضحية بالمال والنفس، وليس فيها تحديات ومخاوف تهدد المنازل والممتلكات، كما أن الثبات عليها لا يحتاج للتضحية بأي شيء مما هو غالٍ وعزيز على الإنسان، وأداؤها لا يتطلب دافعاً ايمانياً كبيراً، وبالتالي فالقيام بها لا يمثل فرزاً لتعرف الخبيث من الطيب والصادق من الكاذب، وليس فيها ما يجلّي حقيقة الإنسان في انتمائه الإيماني، ويخرج ما في أعماق نفسه إلى واقعه العملي.

لذلك جعل الله الاختبار والابتلاء في مجالات عملية مادية تتطلب إنفاقاً وتضحية وبذلاً للنفس والممتلكات، كمحكات تبين عمق الإنسان، وتكشف حقيقة واقعه القيمي والأخلاقي والمبدئي، ومدى استجابته لتوجيهات الله.

يقول الشهيد القائد -رضوان الله عليه-: "**ابتلانا الله -سبحانه وتعالى- فيما يتعلق بالجانب المالي بابتلاءات كثيرة، ما أوسع إطار التشريع في الجانب المالي بدءاً من الزكاة وانتهاء بالإنفاق في سبيل الله، وكم ارتبط بالمال من تشريعات وكم اتجه إلى قضية المال من آيات تحث على الإنفاق، وتعد بالأجر المضاعف على الإنفاق، وتتحدث عن الإنفاق، بأنه دليل مصداقية المؤمن، ...الخ.**

المؤمن الصادق في إيمانه يصل به الحال إلى هذه الدرجة: أن يبذل نفسه، ويبذل ماله مهما كان عزيزاً لديه، مهما كان محبوباً لديه، يبذله في سبيل الله، لماذا؟ الله طلب منا أن ننفق وله خزائن السموات والأرض، وهو القادر على أن يمول ما يريد بدون أن يطلب منا نحن أن ننفق؛ لأن القضية هي مرتبطة بنا، قضية ابتلاء، وليست قضية استعانة منه -سبحانه وتعالى- بنا.

قضية ابتلاء لنا هل نحن صادقون في إيماننا، هل نحن صادقون في عبوديتنا لله؟ إذاً سنطبق ما يريد منا حتى وإن كان فيما يعز علينا سنمتثل، سنطبق، سننفذ.

ولذلك الله خاطبنا في هذا المجال في القرآن الكريم بأسلوب عجيب سمّاه قرضاً ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً﴾ (البقرة: من الآية ٢٤٥) **... لأن المال محك ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبّاً جَمّاً﴾** (الفجر:٢٠) **ودليل على صدق العبودية، ودليل على صدق الإيمان، بل جعله صفة من صفات المؤمنين، المؤمن الذي يتصور بأن بإمكانه أن يكون مؤمناً والجانب المالي لا أحد يمسه غير صادق في إيمانه أبداً، غير صادق في دعواه للتقوى. فالابتلاء في هذا المجال كان بهذا الشكل.**" [٥] ويمكننا الغوص في آفاق الابتلاءات المادية، والوقوف عند بعض الجزئيات العملية المرتبطة بواقعنا اليوم، في ضوء ذلك التصنيف وهي كالتالي:

(٥) السيد حسين بدر الدين الحوثي، إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا، مصدر سابق

أولا: الاختبار في المواقف والمسؤوليات

١. الثبات على الحق

تأتي الاختبارات الإلهية بشكل أعمق في الموقف من الحق، والموقف من أعداء الله، وفي تحمل المسؤولية والجهاد في سبيل الله، وفي كل زمان بما فيه زمن الأنبياء، يحصل الفرز الذي يفضح المنحرفين، ويظهر من في قلوبهم مرض، فتتغير مواقفهم ويتحولون الى خصوم للحق، ويتجهون اتجاه الأعداء بعد معرفة الحق، ويتجلى المتراجعون والساكتون عن نصرة الحق، وكذلك المقصرون والمهملون في مسؤولياتهم، ممن ينتمون لأهل الحق، ويستمر الاختبار العملي سواء في حالات الشدائد أو في حالات التمكين.

فالله يختبرك في موقفك من الحق، وفي ثباتك وتمسكك به، ويختبرك في التزامك بقيم الحق ومبادئه، وفي تصرفاتك في حالة التمكين هل ستبقى مطيعاً لله ومستجيباً له؟ أم أنك ستطغى وتسرف وتظلم وتنحرف عن منهج الحق ومبادئه، وتتنكر لتعاليم المنهج الذي جاهدت من اجله وضحيت ليكون هو السائد في واقع الحياة؟ يقول السيد عبد الملك بدر الدين الحوثي: " **في الواقع العملي هناك سنَّة من سنن الله -سبحانه وتعالى- مع عباده المنتمين للحق، المتجهين على أساس الاتجاه الإيماني، هي: سُنَّة الاختبار، التي تبيِّن الصادق عن غيره، الوفي عن الخائن، والصادق عن الكاذب، الله -سبحانه وتعالى- قال: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾** (آل عمران: من الآية179) **ومن أهم ما يأتي فيه الاختبار، ويجلِّي الناس هو: في الموقف الحق، في تبني الموقف الحق، وفي الثبات على ذلك، في الثبات على ذلك، والاستمرار على ذلك.**

في مسيرة الحياة في كل زمن، يأتي الفرز، ويأتي نتيجةً لذلك الاختبار من ينكشف زيغهم، من يتجهون على نحوٍ آخر، من ينحرفون عن الموقف الحق، من ينحرفون عن الاتجاه الحق، هذا حصل حتى في عهد الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - وحصل في كل زمن، هي سنَّة الله -سبحانه وتعالى-، ﴿مَا كَانَ﴾ ، يعني: أنها سنَّة مستمرة ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾، فيأتي البعض مثلاً في مرحلة من المراحل فيزيغ ويخرج عن تبني الموقف الحق، والاتجاه الحق، ويصبح منطقه منطق الأعداء، اتجاهه اتجاه الأعداء، يتخلى نهائياً وبشكلٍ تام عن تبني الموقف الحق، والتوجه الحق، ويتبنى موقفاً مغايراً سلبياً، تجاه من؟ تجاه الذين يتبنون موقف الحق، يتحول إلى مخاصم لهم، إلى مسيء إليهم، إلى معادٍ لهم، إلى محرضٍ ضدهم، إلى مسيءٍ إليهم، إلى مفترٍ عليهم، ويتبين أنه أصبح موقفه موقفاً مغايراً، قد تخلى

عن الموقف الحق، وتخلى عن القضية الحق، وتخلى عن الاتجاه الحق، وبقي اتجاهه متماهٍ تماماً مع اتجاه الأعداء.

يحصل هذا في كل زمن؛ الزائغون الذين ينحرفون عن تبني الحق، ثم يتحول نشاطهم إلى نشاطٍ من أجل الفرقة، يكونون دعاةً للفرقة، دعاةً للخلاف، يسعون إلى خلخلة الصف الداخلي، يسعون إلى صرف اهتمام الناس عن القضايا الرئيسية، عن الموقف الحق المهم، عن القضية الأساسية، يسعون إلى صرف أنظار الناس عن ذلك نهائياً؛ حتى لا تبقى قضيةً للناس، ولا تبقى محط اهتمامهم، وأن يتجهوا بالناس إلى تبني مواقف عدائية مختلفة، تنسجم مع توجهات الأعداء، وهذا يحصل في كل زمن.“ [٦]

٢. القيام بالمسؤولية

حينما تكون الأوضاع مستقرة ولا تبرز التحديات، تكثر المزاعم ويكتفي الناس بالشكليات ليبرهنوا منها على ما هم عليه وما يدعونه، لكن مقتضى إرادة الله هي أن يكشف الواقع ويجلي حقيقة ما الإنسان عليه، ومدى مصداقيتهم مع الله في توجههم إن كان محقاً أو مغشوشاً، فأتى الاختبار الإلهي في المسؤولية،؛ لأن الأحداث والتحديات وبذل المال والنفس هي التي تكشف مصداقية الإيمان وتميّز الخبيث من الطيب، يقول الله -جل شأنه-: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ (محمد:٣١) وقد وجدنا شخصيات علمائية، واشخاص متدينين سقطوا أمام ترديد هتاف البراءة، والبعض شطب المسؤولية لدرجة ليس مستعداً أن يكون له موقف حتى من العدو الاسرائيلي.

وكثير من المنتمين للإسلام يعبد الله على طَرَفْ من الدين، ويلتزم ببعضٍ من الالتزامات الدينية والإيمانية، بحسب مزاجه ورغباته، وعندما يأتي الاختبار في التضحية والخطر والتحدي وتتطلب الظروف أن يكون له موقفاً ينقلب على وجهه، ويُعرض كلياً عن الجهاد والمسؤولية، يقول الله -سبحانه وتعالى- : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ﴾ (الحج: الآية١١) كان مطمئناً ومرتاحاً ومستمراً في التزاماته وأعماله المحدودة، ﴿وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ (الحج: الآية١١). والبعض مستعد للتضحية بالدين والأمة مقابل أن يسلم هو أو تسلم له ممتلكاته، لذلك كان لابد في سنة الله أن يختبر الإنسان في الأمور العملية التي تحتاج إلى تضحية وبذل وعطاء، لأنها المحكات الكاشفة للحقائق.

(٦)السيد/ عبدالملك بدر الدين، المحاضرة الرمضانية الخامسة والعشرون، في ٢٥رمضان ١٤٤٣هـ

يقول السيد عبد الملك بدر الدين الحوثي: "**في ظل ظروف اعتيادية ليس فيها أمور حساسة، ولا مشاكل، ولا أخطار، ولا تحديات، ولا انفعالات، (ما يثير حالة الانفعال لدى الناس)، قد يظهر الكثير من الناس: (ما شاء الله العظيم من أهل الخير، وأطيابًا ومؤمنين)، ولكن عندما تأتي مثل هذه العواصف من الأحداث المزلزلة: فيها مخاوف، فيها أخطار، فيها انفعالات، فيها عوامل تحرك هذا الركود والجمود في واقع الناس؛ فيخرج ما في نفوس الناس، وما في قلوبهم، وما في أعماق أنفسهم، ليتجلى في واقعهم العملي والسلوكي: في الأقوال، والتصرفات، والمواقف، والولاءات، والعداوات، تظهر كل الأمور، ولهذا نجد في هذه الآية المباركة: ﴿مَّا كَانَ اللّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾، آية مهمة، هذه الآية المباركة في سورة آل عمران، وهي تأتي في إطار الحديث عن هزيمة أُحد، ما ترتب عليها من: تضحيات، ومأساة، واهتزاز كبير داخل المجتمع الإسلامي آنذاك؛ المجتمع المسلم تسببت هزيمة أحد في إحداث اهتزاز كبير، وغربلة كبيرة لواقعه الداخلي، البعض ممن كانوا في الماضي يظهرون كمؤمنين، صالحين، صادقين، ثابتين، جادين، أوفياء، لو أن المسألة مجرد كلام- مثلًا- البعض يمكن أن يطلّع لك قائمة طويلة من المبادئ التي يزعم على أنه عليها، فيقول مثلًا: (أنا من الأوفياء، وأنا من الصادقين، وأنا من الثابتين، وأنا من الكذا، وأنا وأنا...)، يعبِّر عن نفسه بقائمة طويلة عريضة، يزعم أنَّه على تلك المبادئ والقيم، لكن عندما تعصف الأحداث تكشف حقيقة الناس، تغربلهم، هذه سنَّة إلهية، وما كان الله ليترك المؤمنين في كل عصر، في كل زمن، في كل جيل، إلَّا وتمضي عليهم هذه السنة، هذه سنَّة إلهية مع كل الأجيال؛ ولهذا أتى التعبير القرآني على هذا النحو: ﴿مَّا كَانَ اللّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ ما يمكن أن يترككم على ما أنتم عليه: واقع يمكن أن يدخل فيه الخبيث مع الطيب، يمكن أن يقدِّم الجميع أنفسهم على أنهم: طيبون، وصالحون، وأبرار، وأخيار، وملائكة، ومن أهل الخير... لابد؛ لأن الله لا يقبل الغش أبدًا، لا يقبل الخداع، لا يمكن للإنسان أن يخادع الله -سبحانه وتعالى-**" (٧)

٣. الجهاد والصبر

في عالمنا الإسلامي يصلي الكثير من الناس ويصومون ويؤدون العبادات وهدفهم من ذلك أن يحظوا بدخول الجنة، والبعض يتعود عليها حتى تصبح أعمالًا اعتيادية وروتيناً لا يعبِّر أداؤه لها عن دافع إيماني، خصوصاً عندما تنفصل عن المسؤولية،

(٧) السيد/ عبد الملك بدر الدين الحوثي، محاضرات الهجرة النبوية، المحاضرة السادسة ، ٦ محرم ، ١٤٤٠هـ

والقرآن يؤكد بشكل قاطع أن طريق الجنة لابدَّ فيه من الجهاد والصبر؛ لأن هذا يدلل على مصداقية الإنسان في انتمائه وإيمانه بالمعتقدات والمبادئ القرآنية، يقول الله -سبحانه وتعالى-: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ (ال عمران ١٤٢).

وحتى لو عمل البعض أن يغطّي تقصيره في المسؤوليات الكبيرة، بالالتزام الشديد بالمستحبات والنوافل، والاهتمام بالأمور البسيطة والمحدودة والسهلة، فإن ذلك لن يكون مقبولاً؛ فقد جعل الله الصبر والجهاد شرطاً أساسياً في دخول الجنة، وجعل الحد الأدنى لمن لهم عذر شرعي هو النصح، ولم يُعفهم من تحمل المسؤولية. ﴿لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاء وَلاَ عَلَى الْمَرْضَى وَلاَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلّهِ وَرَسُولِهِ﴾. (التوبة: من الآية٩١) بحيث ينصح ويشجع ويدعو ويتكلم بالكلمة الطيبة.

وعندما نأتي إلى مواصفات المؤمنين في القرآن الكريم، نجد أن الفعل هو الذي يجلي مدى الالتزام بالمبادئ والقيم والتشريعات والتوجيهات والأوامر والنواهي بالذات عندما تواجه اخطارا أو تحديات تحتاج منك الى صبر وثبات وتحمل، أو تؤثر تلك القيم والمبادئ على اعتبارات ومصالح ورغبات وهوى للنفس.

الجانب الآخر: بقدر ما يفضح الخبثاء ويكشف الكاذبين، بقدر ما يظهر الله المؤمنين الصادقين ومن يجب أن يعتمد عليهم، من خلال صبرهم وتضحياتهم وعطائهم ووفائهم وثباتهم في المهمات الكبيرة والظروف الصعبة، ولهذا تتكرر آية: ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾ (العنكبوت: ١٠-١١). وفي آية أخرى يقول - جل شأنه- : ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾.(العنكبوت: ٣)

وعندما يظهر حقيقة انتمائهم الإيماني، ليس لأنه لا يعلم من هو الصادق ومن هو الكاذب؛ لكنه يريد -جلَّ شأنه- وبمقتضى حكمته وسنته، أن يكون هذا العلم متعلّقاً بالواقع، وليس بالحالة الغيبية؛ لأن الواقع هو الذي سيُبنى عليه الجزاء؛ فالله لا يجازي عباده على حسب علمه بهم كحالة غيبية لم تتحقق، قبل أن يعملوا كحالةٍ واقعية، قد يكون عالماً بأن الإنسان في زمن كذا أو في عام كذا سيفعل كذا، ولكنه لا يعاقبه على العلم، إنما يعاقبه عندما يفعل، فأراد الله -جلَّ شأنه- أن يتعلَّق علمه بالواقع العملي الذي يترتب عليه الجزاء، وتتحول المسألة من حالة غيبية أو متوقعة إلى حالة واقعية ظاهرة يتعلَّق بها الجزاء، فيتضح المؤمنون بثباتهم وتضحيتهم وصبرهم، ويتضح المنافقون بخيانتهم وغدرهم وتثبيطهم وتخذيلهم.

يقول السيد عبد الملك بدر الدين الحوثي: "**يقول الله -سبحانه وتعالى- أيضًا وهو يؤكِّد على هذه المسألة: مسألة أنَّ الأحداث، أنَّ مدى النهوض بالمسؤولية، أنَّ**

التحرك في سبيل الله هو الذي يجلّي واقع الإنسان، أنَّ موقف الإنسان في مواجهة التحديات والأخطار، وعواصف الأحداث وزلازلها، هو الذي يبين حقيقة هذا الإنسان، ومصداقية هذا الإنسان، ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾، ﴿يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾: جيش المؤمنين وجيش الأعداء، ﴿فَبِإِذْنِ اللهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ * وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُواْ﴾ (آل عمران: ١٦٦-١٦٧)**، لاحظ، ينتج عن هذا الاختبار الإلهي فيما أصاب المؤمنين، فيما قدَّموه من تضحيات وشهداء وجرحى، فيما أحدثه ذلك من: اهتزاز وإرباك في الساحة، وتأثير في الواقع، يكون به التوضيح، والكشف، والتجلي لحقيقة المنتمين إلى الصف الإسلامي، إلى الإيمان، للانتماء الإيماني، ﴿وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، الله هو يعلمهم ابتداءً، ولكن مطلوب أن يتجلى ذلك في واقعهم العملي، لا أن يبقى حالة مخبيه في نفوس الناس، يتجلى في الواقع العملي، ﴿وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، والمؤمنون بماذا اتَّضحوا؟ بثباتهم، بصبرهم، بروحيتهم المعطاءة، وهم إنما ازدادوا إقبالًا إلى الله، واحتسابًا فيما قد قدَّموه من تضحيات عند الله -سبحانه وتعالى- أولسنا نرى هذه الحالة في بعض أسر الشهداء، فيما يظهرون عليه من: روحية العطاء والتضحية، والاحتساب عند الله -سبحانه وتعالى- لتضحياتهم؟."**[٨]

ثانياً: الاختبار في حالات التمكين

أينما وصل الانسان وكيفما بلغ ومهما أنجز، لا غنى له عن هداية الله ورعايته وتوفيقه، فهو يحتاج من الله أن يهديه إلى طريق الحق ليستقيم عليه، ويحتاج إلى هداية الله في مسيرة الجهاد وعند أداء المسؤوليات ليكون عمله مستقيماً لا أخطاء فيه ولا انحرافات، ويحتاج إلى هداية الله ورعايته في مراحل التمكين حتى لا يطغى أو يظلم او يخون أو يتجاوز حدود الله، ويحتاج هداية الله حتى يثبت على الحق فلا يزيغ أو يعوّج أو ينحرف عن الحق، فالاستقامة والهداية الإلهية مطلوبة في كل مراحل الحياة، والابتلاء والاختبار الإلهي يترافق مع الإنسان في جميع المراحل.

وفي كثير من تجارب البشر ينطلق البعض انطلاقة صافية ويقفون مواقف عظيمة، ويتحركون في ظروف صعبة، الغالب فيها الخوف والخطر والغربة، وقد يتجاوزون تلك المراحل بنجاح، حتى يصلون الى مرحلة التمكين فتأتي المناصب والشهرة والنفوذ والألقاب، فيسقط البعض أمام هذا الامتحان وتتغير نفسيته وأهدافه واهتماماته، فيصبح همه الكبير هي السمعة واللقب أو الرتبة العسكرية أو الصفة التي يوصف بها.

(٨)السيد/ عبد الملك بدر الدين الحوثي، محاضرات الهجرة النبوية، المحاضرة السادسة ، ٦ محرم ، ١٤٤٠هـ

والإنسان يتعرض للاختبار في كل ما مكنَه الله وأعطاه من القدرات والمؤهلات والمواهب والصحة أو الذكاء كلها تخضع للاختبار، وهكذا تصبح رحلة الحياة كلها اختباراً شاملاً سواءً في ميدان المسؤولية، أو ميدان الحياة، وفي كل ما مكَّن الله الإنسان من النعم بما في ذلك نعمة الفرج والإنقاذ من الأعداء.

يقول الشهيد القائد السيد حسين بدرالدين الحوثي -رضوان الله عليه- من خلال قول الله تعالى: "﴿وَفِي ذَلِكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ (البقرة: من الآية ٤٩) **وفي ذلكم، أي هذه النعمة، إنقاذكم، نجاتكم من هذا العذاب الشديد المؤلم يعتبر نعمة عظيمة من الله هي تمثل ماذا؟ ابتلاء لكم أنتم أي أنكم يجب أن تقدروا هذه النعمة، وتشكروا الله عليها، وتنطلقوا على ماذا؟ على التمسك بكتابه وتسيرون على هديه؛ لأنه عندما تعظم نعمة الله عليك هي في نفس الوقت تعتبر ابتلاءً لك، أليس نبي الله سليمان قال:** ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ (النمل: من الآية ٤٠) **لأن كل نعمة تأتي لك تكون حالتك أمامها: إما حالة أن تشكر أو أن تكفر، فعندما تكون النعمة عظيمة يكون الكفر بها سيئا جداً، لهذا الاعتبار أنها ما زالت تمثل أيضاً، مطلوب منك في مقابلتها موقف هو: أن تشكر لا أن تكفر، تعتبر عظيمة.** ﴿وَفِي ذَلِكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ (البقرة: من الآية ٤٩) **ليس معناه مصيبة عظيمة، النجاة من هذه الوضعية السيئة التي كنتم لا تتصورون بأنه يمكن أن تخرجوا منها أو يأتي يوم ترون أنفسكم وأنتم قد نجيتم منها.**" [٩]

و الإنقاذ والفرج والتمكين الإلهي، نعمة كبيرة يخضع الإنسان فيها للاختبار، فكما يبتلي الإنسان في السراء والضراء، يبتليه بالنعم بمختلف أنواعها، سواءً نعماً مادية او معنوية، ويختبره الله في مدى الشكر عليها، وكيف سيتعامل معها ﴿قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ (الأعراف:١٢٩)، وقد تنقلب نعمة التمكين إلى وسيلة للعذاب، ويصبح -بحد ذاته- عبارة عن عملية استدراج للعقوبة والمؤاخذة الإلهية، يقول الله تعالى﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ (الأنعام:٤٤)

من التجارب في واقع البشر –ايضاً- ان البعض يستمر إلى مرحلة يطرأ فيها ما يمثل محكاً له، واختباراً له يكشف خللاً كان لا يزال في نفسه، أمام جوانب معينة هي محك لإيمان الإنسان، فيصل إليها فإذا به ينحرف، فهو عندما وصل إليها خضع لهوى النفس، واستجاب لأفكار أو تصورات لا زالت طاغية عليه، ومسيطرة على

(٩) السيد حسين بدر الدين الحوثي، الدرس الرابع من دروس رمضان، بتاريخ: ٤ رمضان ١٤٢٤هـ الموافق: ٢٨/ ١٠/ ٢٠٠٣م

توجهه، فمستوى الالتزام لديه والاستجابة لله وتعبيد النفس لله محدودة في الجوانب التي لا يرى فيها ما يشكل محكاً على مصالح أو رغبات أو مخاوف معينة، فمثلاً في بعض المراحل تكون الأمور متوافقة مع هوى الإنسان فيظهر فيها وهو عبد لله سامع مطيع، ولكن عندما تطرأ متغيرات وأحداث ومستجدات فيها ما لا يتوافق مع هوى النفس ورغباتها، ينحرف ويتغير موقفه واهتمامه، فقد يطرأ في جانب الرغبة والطمع ما يسقط الإنسان، وقد يطرأ في جانب المخاوف ما يجعل الانسان يتراجع أو يتنازل عن مبادئ أو يخون، وقد يطرأ في جانب الغضب ما يستفز الإنسان ويجره إلى الردى، لأن الميدان العملي هو الذي يكشف مصداقية الانسان، ويظهر ما يدور في أعماق نفسه.

يقول السيد عبد الملك بدر الدين الحوثي -يحفظه الله-:" **الميدان الحقيقي هو الذي يتجلى فيه إيمانك واستقامتك والتزامك، الميدان بما فيه من متغيرات ومؤثرات بين حالة رخاء، وحالة شدة، وحالة مريحة، تعقيدات إشكالات صعوبات، كل ما فيه من متغيرات؛ ما تواجهه في هذا الميدان في رحلة الحياة، في واقع المسؤولية من متغيرات، يتجلى فيها إيمانك تمثل اختباراً الهياً لك كيف أنت عند الشده؟ هل أنت صبور؟ هل أنت ملتجئ الى الله -سبحانه وتعالى- ؟ هل أنت ثابت؟ هل أنت تحرص على أن تتقرب الى الله -سبحانه وتعالى-؟ بكل ما قد تعانيه في سبيله، كيف أنت أيضاً في حالة الرخاء؟ هل أنت شكور؟ هل أنت حذرٌ من الإسراف؟، حذرٌ من التبذير، حذرٌ من الخيانة؟ هل تحافظ على أمانتك؟ هل أنت تحافظ على نقائك وصفاء نفسك من الدنس المادي والانشداد المادي الذي يطغي نفسية الإنسان ويدنس مشاعره؟.**

الحالات التي تواجهها في تعقيدات الواقع العملي ومشاكله، هل كنت عندها تحرص على أن يكون تعاملك وتصرفك بالنحو الذي يرضي الله؟ هل حساباتك قائمه على أن يكون الله عندك قبل كل شيء؟ ورضاه قبل كل شيء؟ والخوف من عذابه وسخطه قبل كل شيء؟، أم أنها تؤثر عليك حسابات أخرى نفسية، وأشياء هي ضمن هوى النفس؛ عوامل نفسية تدخل ضمن هوى النفس هذا شيء مهم؛ الحياة بكلها اختبار، الميدان العملي بكله اختبار، والإنسان يعيش في واقعه في هذه الحياة، وفي رحلته في هذه الحياة، حالة اختبار أمام الله -سبحانه وتعالى-.

إذا كان الإنسان متمسكاً بالله، معتصماً بالله، ملتجئاً إلى الله، مستقيماً على نهج الحق، ذاكراً لله، ومهتماً مهتماً بهدى الله -سبحانه وتعالى-، الذي يمثل الروح والحياة للإنسان، والنور الذي يستضيءُ به في مواجهة كل الظلمات.

وإلا فالإنسان فعلاً يتأثر، والكثير يتأثرون، والكثير يسقطون، والكثير يتعثرون في

وسط الطريق، أوفي ثلث الطريق، أوفي مبتدأ الطريق، أو في آخر الطريق، في منتهى الطريق يسقط يتعثر، ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا﴾." [١٠]

المجال الثاني : الابتلاءات المعنوية

هوى النفس ونزعاتها قد تنحرف بالإنسان عن خط العبودية لله إلى عبودية الشيطان، لا سيما عندما تكون النفس غير زاكية، وفارغة من ذكر الله، والشيطان في حربه ضد الإنسان يستهدفه من خلال هذه الوسائط المتمثلة في أهواء النفس وشهواتها، ونزعة التسلط والاستعلاء ونزعة الغضب والسخط، ونزعة حب الذات وحب السمعة والظهور، فبعد ان يرصد سلوك الإنسان وميوله يستغل لحظات الغفلة لتوجيه سهامه في وقت الفراغ والخواء الروحي والنفسي.

ونتيجة لهذه النزعات نرى الكثير من المنتمين للإسلام، يسقطون في الاختبار الالهي فيأنفون من الالتزام بتوجيهاته ويتنصلون عن توجيهات من امرنا الله بالطاعة والاتباع لهم، ويجعلون من عنوان حرية الراي وحرية المعتقد وحرية التفكير، مهرباً للتنصل من الالتزامات العملية التي نحتاج القيام بها بشكل جماعي كأمة.

ويستكبر بعض الناس أن يكون عبداً لله سامعاً مطيعاً له ومسلّماً له، ويرى في ذلك ثقافة حيوانية ومصادرة للعقل لا تنسجم مع نزعات نفسه التي تكون عادة قد فارقت الفطرة ولوثتها، فيأتي الاختبار الإلهي في هذه الجوانب كمحكات يظهر فيها صادق الإيمان من الكاذب والطيب من الخبيث والمؤمن من المنافق.

يقول الشهيد القائد -رضوان الله عليه- :"**ابتلانا أيضاً فيما يتعلق بالجانب المعنوي باعتبار الإنسان يحب التعالي، والسمو، والرفعة، ولا يريد أن يرى فوقه من هو أعلى منه، لا يريد أن يرى فوقه من هو أعلى منه، ولا يريد أن يبصر فوقه من يمكن أن يدين له بالفضل عليه، أو بأنه أفضل منه، هذه تناولتها ابتلاءات كثيرة جداً، هذا المجال تركيعي، تركيعي كعبد لله -سبحانه وتعالى-، أحطم كل هذا الكبرياء ابتلاءات كثيرة منها الحج، الحج ماذا يعني؟ أليس هناك بيت من أحجار، في مكان محدد؟ أحجار، وهناك مواقف أخرى، عرفات، منى، مزدلفة، مواقع محددة، أماكن ترمي فيها أحجار، أماكن لازم أن تبيت فيها، بيت لابد أن تطوف حوله، مسعى لابد أن تتحرك فيه، من هذه الصخرة إلى هذه الصخرة.**

أيضاً هذا ابتلاء يتجلى مدى صدق ادعائي العبودية لله، أنا لا يمكن أن أقول:

(١٠)السيد عبد الملك بدر الدين الحوثي، لقاء الأمنيين ١٤٣٨هـ

لماذا يأمرني أن أطوف حول هذه الأحجار؟ ما قيمتها؟ ما فائدتها؟ ما أهميتها؟ وهكذا. إلى مجالات أوسع فيما يتعلق بهذا الجانب، جانب تحطيم الكبرياء التي تتعارض مع ما تتطلبه العبودية من تسليم لله -سبحانه وتعالى-. مع ما يقتضيه الإقرار بالعبودية لله من تسليم كامل لله -سبحانه وتعالى-.

إذا فعندما تقول: ربنا الله، ربنا الله، يجب أن أفهم بأن معنى هذا: أنني عبد له، وأنا أعلم أنه سيبتليني في مالي، وفي الأشياء المعنويات لدي، سيبتليني بالأشياء المعنويات لدي." [١١] وندرك الاختبارات المعنوية من خلال التفاصيل التالية:

أولاً: الاختبار في الولاءات

١. الاختبار في الطاعة والالتزام للقيادة

يذكر القرآن أن من أهم أسباب الزيغ ضعف الولاء وحالة المشاققة لأعلام الهدى، وعدم التسليم المطلق للأنبياء والقائمين بالقسط، وتأتي المشاققة نتيجة مرض في القلوب، سواء كان مرضاً فكريا تجاه مبدأ من المبادئ الأساسية كالتولي والتسليم؛ فينتج عنه اختلالاً في الولاء والطاعة والاتباع، أو مرضاً وخبثاً في النفس كالكبر والغرق في الذات والفساد الأخلاقي يسبب الرفض لتقبل هدى الله، ويؤسس لحالة من عدم القبول لما يأتي به هداة الأمة، وتعد هذه الحالة ضربا من الزيغ، وعندما لا يهتم الإنسان بما يقدمونه ويتفاعل معه بجدية ويستجيب استجابة تامة، تصبح النتيجة هي ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (الصف٥).

أتت هذه الآية في سياق الحديث عن بني إسرائيل وتعاملهم السلبي مع القائد العظيم الذي اصطفاه الله لهدايتهم، ومنحه المؤهلات العظيمة لقيادتهم، يقول الله - جل شأنه -: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (الصف:٥).

وقد قدم القرآن الكريم مثالاً لعالمٍ من علماء بني إسرائيل رفض اتباع نبي الله موسى واتجه لمشاققته، فكان يرى نفسه عالماً له اتباع ومكانة اجتماعية، ولديه معارف وأفكار وتنظيرات أخرى، فكان ذلك ابتلاءً له، وكانت النتيجة هي سقوطه في ذلك الامتحان، وضرب الله به مثلاً سيئاً: ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ﴾ (الأعراف: من الآية١٧٦).

وفي عصرنا الحاضر يسقط الكثير من النخب الثقافية والعلمائية والأكاديمية

(١١)السيد حسين بدر الدين الحوثي، إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا، مصدر سابق

والسياسية في نفس الاختبار، فبعضهم لا يؤمن بالاصطفاء الإلهي نتيجة معايير خاطئة يقيس من خلالها العلم والمعرفة والبحث والقيادة بنسبة الاطلاع والقراءة، وبالتالي فالأكثر اطلاعاً- في نظره- هو الاجدر بالاتباع، والأحق بالقيادة، وهي معايير غير سليمة قد تنحرف بمن يتشبث بها.

والصحيح أنك عندما ترى شخصاً وريثاً للقرآن مستنيراً وقديراً على مواجهة الأعداء، ويسير على هدى الله وكتابه، **ويحمل مواصفات الكمال**، عليك أن تطيعه وتتبعه دون تردد أو تشكك، والمعيار الذي يجب أن يكون لدى الناس، أنه بعدما تظهر الدلائل أن هذا الذي اختاره الله وهو أكمل شخص في المجتمع، تجب طاعته واتباعه، فالقائم حجة إذا ظهرت الدلائل على وجوب اتباعه، وعندما تقوم الدلائل على اتباعه يجب أن تكون هناك طاعة مطلقة، وهذه من أهم المبادئ التي يجب أن يكون الاتباع على أساسها.

وقد يسقط في هذا الاختبار المتدينون عن غير وعي، الذين يقاربون القضايا من زاوية الحلال والحرام ويقيمون الأمور وفق اجتهاداتهم الشخصية، فيريدون أن يرجحوا وينظروا في كل تفصيل، ويسعون لفهم الحكمة من وراء كل توجيه، ونتيجة لهذه الحالة يرى بعضهم تصرفاً يبدو أمامه أنه مخالف للحق فيعارضه باسم الدين، لذلك يجب أن يكون اتباع الناس حسب ما قدمه القرآن والشخص الذي يهدي الامة بالقرآن ويحمل مؤهلات الكمال التي يرشد اليها القرآن، وهذا المعيار فيه الضمانة الكافية من السقوط، وقد يحدث الاختبار مشابهاً لما حصل لدى الخوارج، عندما خرج الإمام علي يقاتل من أجل القرآن، فتعرضوا لفتنة كبيرة أظهرتهم بأنهم ليسوا بأهل القرآن، رغم أنهم كانوا عبَّاداً جباههم كأرباض الإبل، ويدعون الانتماء إلى خط الإيمان.!

فقد كانت إشكالية الخوارج مع الإمام علي -عليه السلام-، في معركة صفين انهم رأوا في مواصلة القتال ضد أصحاب معاوية ظلماً وعدواناً، بعد أن رفعوا المصاحف على الرماح، فخدعوا بذلك واتجهوا إلى مقر الإمام علي وشهروا سيوفهم في وجهه، وكأنهم أكثر تديناً منه، فألجأوا الإمام علياً -عليه السلام- إلى إيقاف المعركة وقبول التحكيم، لكنهم في ذلك المحك رفضوا التسليم له فضربوا الأمة بكلها، وأفشلوا نصراً كان هو سبيل الخلاص من معاوية وباطله إلى الأبد، وجنوا على هذه الأمة؛ لذلك لم يتوفقوا فيها ونالتهم عقوبات كبيرة، حيث تعرضوا لضربات أشد مما ضرب معاوية، فقد قتلوا جميعاً في معركة النهروان ولم يبق منهم سوى تسعة أشخاص، لأنهم ارتكبوا جريمة كبيرة، وهي مخالفة الإمام علي -عليه السلام- فهدموا كل ما كان قد بناه وما وصل إليه؛ ولذا فهذه نقطة خطيرة جداً يجب أن يكون الناس

مسلّمين في أمورهم و ملتزمين بتوجيهات القائد حرفياً مهما بدت أمامهم غير حكيمة أو غير ناجحة؛ لأن الله يتدخل ويجعلها بالشكل الذي يخدم المسلمين، وقد يخذل الانسان - نتيجة مشاققته - فلا يوفق الى الابد.

يقول السيد عبد الملك بدر الدين الحوثي: "**الله -سبحانه وتعالى- يقول في القرآن الكريم: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا.﴾** (النساء: الآية 11) **من يتبع غير سبيل المؤمنين، بعد أن قد تبين له الهدى، وكان في الاتجاه الإيماني، وكان يتبنى الموقف الحق، ثم انحرف عن ذلك، وزاغ عن ذلك، وأصبح له موقفٌ مغاير، فهو إنسانٌ مخذول، خذله الله -سبحانه وتعالى-، ويسلبه التوفيق، ﴿نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى﴾، يتركه الله في اتجاهه الخاطئ، في اتجاهه الذي انحرف إليه وزاغ إليه، ويخذله، ويسلبه أسباب التوفيق، وهو الخاسر، عاقبته جهنم ﴿وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾.**

كيف هي سبيل المؤمنين؟ سبيل المؤمنين يتبنون المواقف الحق، يثبتون عليها، مواقفهم من أعداء الله مواقف ثابتة، مبدئية، أساسية، مواقفهم الإيمانية مواقف ثابتة، لا يزيغون عنها، لا يتزحزحون عنها.

فمثل هذا النوع من الناس يجب أن نحمل الوعي تجاهه، وألَّا يلقى أي قيمة، وألَّا نكترث به، يبقى منبوذاً، لا قيمة له، لا أثر له، وننظر إليه النظرة القرآنية." [١٢]

وهكذا تأتي الابتلاءات في الولاء والاتباع والطاعة مع الأنبياء ومع أعلام الهدى في كل عصر وزمان، ليعلم الله من يتبع ويطيع أوامر الله ممن ينقلب على عقبيه، ويستكبر عن اتباعهم والطاعة لهم، ويأنف من الالتزام بتوجيهاتهم. يقول الشهيد القائد -رضوان الله عليه- : من خلال قول الله تعالى: " **﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾** (البقرة: من الآية١٤٣) **هذه سنة إلهية، سنة الابتلاءات على هذا النحو، وقد تكون الابتلاءات ليس معناها: أن القضية شديدة في وطأتها عليك، أمراض خطيرة مثلاً، أو أشياء مؤلمة جداً، قد تكون عملية معينة: تحول من هنا إلى هنا، فالنفوس المسلمة لله ستقول: أسلمت لرب العالمين كما قال إبراهيم ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾**(البقرة:١٣١) **﴿مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾** (البقرة: من الآية١٤٣) **فيتبين من هو الذي يتبع الرسول، والرسول هو أول شخص، وأعظم شخص مسلم لله ؛ ولذا تحول هو أن يصلي إلى المسجد الأقصى، إلى القدس، وهو الشخص الذي ترى فيه**

(١٢) السيد / عبدالملك بدر الدين الحوثي، المحاضرات الرمضانية، المحاضرة الخامسة والعشرون، ٢٥رمضان ١٤٤٣هـ.

أعظم شخص يرى لهذا البيت ولهذا المسجد الحرام حرمته، وعظيم في نفسه سلَّم لله، وتوجه إلى هناك.“ (١٣)

٢. الاختبار الكاشف للخونة والمنافقين

الجهاد في سبيل الله فريضة دينية، لها موقع متصدر في سلّم الالتزامات الإيمانية، و محكاً للاختبار والفرز يتبين من خلاله المؤمنين والمنافقين، وأهم ما يتصف به المنافقون انحرافهم في مسألة الولاء والموقف وفي الثقة بالله، كمبادئ رئيسة وفاصلة جعلها القرآن الكريم معايير تفرز واقع المجتمع الإسلامي، ويمتحن من خلالها المنتمين للإسلام، والكثير من الناس قد يُقدّم نفسه مؤمناً ومتديناً إذا كانت الالتزامات الإيمانية والدينية محدودة وبسيطة، ولا تلامس أشياء مهمة بالنسبة له، وبهذا حسم المسألة نهائياً، في قوله -سبحانه وتعالى-: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِن دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾ (التوبة :١٦). بمعنى لا يمكن أن تُتركوا من هذا الاختبار الذي يكشف مدى مصداقيتكم في الانتماء الإيماني، فلابد من الاختبار في مواقفكم وفي ولاءاتكم واتجاهاتكم العملية.

ففي واقعنا المعاصر يتصور بعض الناس أن مجرد الإقرار بالإيمان، يكفي في أن يكونوا مقبولين عند الله تعالى، وان يكونوا من اهل الجنة، فيقولون «آمنا» ويؤدون بعض الشعائر الإسلامية، ويقومون ببعض الالتزامات المحدودة في جوانب بحسب مزاجهم ورغباتهم، وبطريقة لا تعبِّر عن حالة تعبيد النفس لله، غير ملتفتين إلى ما يحصل بحق الشعوب من ظلم وإجرام، وما يمارسه الطغاة والاشرار وكيف يجب أن يكون الموقف منهم.

إنَّ الموقف من العدوان والظلم الذي تمارسه قوى الشر والطغيان ضد الشعب اليمني والأحداث التي تعصف بالأمة، والصراع القائم بين قوى الخير وقوى الشر، وكيانات العمالة والارتزاق كل ذلك مثَّل ابتلاءً واختباراً كبيراً، وكشف المؤمنين والمنافقين والذين في قلوبهم مرض، من جميع الفئات الموجودة في داخل المجتمع المسلم، وكشفت مستوى الثبات على نهج الحق، وللأسف فقد سقط الكثير في هذا الاختبار من المحسوبين على العنوان الإيماني.

ونجد التشابه بين منافقي هذا العصر، والمنافقين الذين عاشوا في عصر الرسول واضحاً من حيث الظن السيئ بالله تعالى، والانشداد إلى العدو، وما جرى في غزوة

(١٣) الدرس السابع من دروس رمضان، بتاريخ: ٧من رمضان ١٤٢٤هـ الموافق: ١/ ١١/ ٢٠٠٣م.

الأحزاب وغزوة أحد، كان اختباراً كبيراً للمسلمين الأوائل، كشف واقعهم وأخرج ما في نفوسهم، لدرجة أن بعضهم اتهم الرسول بأنه السبب فيما حصل وحمَّلَه مسؤولية الهزيمة، وبعضهم شكك في وعود الله وزعم أنها مجرد غرور ومخادعة، وكان ذلك واضحاً من خلال الآيات التي تحدثت عن تلك المعارك، وأشارت بوضوح إلى تجليات هامة، من أبرزها غربلة المنافقين الذين يعيشون اختلالاً في الولاء، وضعفاً في الثقة بالله، ويميلون بشكل كبير الى الأعداء.

يقول السيد عبد الملك بدر الدين الحوثي، من خلال قول الله تعالى: " ﴿وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُواْ﴾، ﴿نَافَقُواْ﴾ **ينكشفون، يفتضحون، ولا يكشفهم شيءٌ أبدًا مثلما هو الجهاد في سبيل الله والولاءات، أكبر عامل يجلّي الناس هو هذا الجانب: الجهاد والولاء.**

ولهذا يقول الله في أيةٍ أخرى في سورة التوبة: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُواْ﴾ (التوبة: من الآية ١٦)**، يخاطب مَنْ؟ هل هو يخاطب قومًا في المريـخ، أو في كوكب الزهرة، أو في عالم بعيد عن عالمنا هذا، هو يتخاطب معنا كمجتمع مسلم في كل زمن، وفي كل جيل،** ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُواْ﴾ **بمعنى: أن الله يقول لنا: أنَّه لن يتركنا من اختبار معين محدد، ما هو هذا الاختبار يا الله الذي تقول إنك لن تتركنا من دون أن تختبرنا به؟** ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ﴾**، يتبين من خلال الواقع، يختبركم الله بأحداث، بمواقف، بظروف في الواقع العملي، تحديات تتحملون فيها مسؤولية أن تجاهدوا، ويتحتم عليكم في مقابلها أن تجاهدوا،** ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ﴾**، وماذا أيضًا؟** ﴿وَلَمْ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ اللّهِ وَلاَ رَسُولِهِ وَلاَ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾**، ما هي الوليجة؟ الدخيلة في الولاء، لم يُدخِلوا في ولائهم طرفًا آخر، من هو الطرف الآخر؟ هو العدو: إما منافق، وإما كافر يتجهون بالولاء إليه، إما ظالم، إما فاسق، إما مجرم، إما طاغية يتجهون بالولاء إليه، ينحرفون ويصوِّبون ولاءهم نحوه.**

فالله -سبحانه وتعالى- قرر وأكَّد على هذا بآياته البيِّنات، الواضحات، الجليات، أنَّه لا يمكن أن يتركنا من هذا الاختبار في كل جيل، يختبرنا مَنْ مِنَّا سيجاهد، ومَنْ مِنَّا سيقعد؟ مَنْ مِنَّا سيكون وفيًا في تحمله للمسؤولية، ونهوضه بالمسؤولية، في ولائه، فلا ينحرف بولائه عن الله ورسوله، ﴿وَلَا الْمُؤْمِنِينَ﴾**، ولا يوجهه نحو أعداء الله وأعداء الأمة من: المنافقين، والكافرين، والمجرمين، والطغاة. |لا|، يستقيم في هذا الاتجاه** ﴿وَلَمْ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ اللّهِ وَلاَ رَسُولِهِ وَلاَ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾**.**

هنا يقول: ﴿وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ * وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُواْ﴾**، كيف كان موقف الذين نافقوا؟ يوضحه الله في نفس السياق للآية المباركة:** ﴿وَقِيلَ لَهُمْ﴾**، يعني: للذين**

نافقوا ﴿تَعَالَوْاْ قَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَوِ ادْفَعُواْ﴾، لا يليق بكم أن تقعدوا، هذا التحدي وهذا الخطر هو على أمتكم، على شعبكم، عليكم، على المجتمع الذي تنتمون إليه، هذا خطر على الجميع، لا يليق بكم تجاه هذا الخطر أن تقعدوا، وأن تجمدوا، وأن تتنصَّلوا عن المسؤولية؛ لأن من شأن المؤمنين أن يقاتلوا في سبيل الله كمسؤولية، وكفريضة دينية لها أهميتها الكبيرة في القرب من الله، وفي مصداقية الإنسان في انتمائه الإيماني، وفي دفع الخطر عن الأمة، ﴿أَوِ ادْفَعُواْ﴾، إذا لم تريدوا أن تقاتلوا في سبيل الله، فبالحد الأدنى دافعوا عن بلدكم، دافعوا عن شعبكم، دافعوا عن أمتكم، دافعوا عن مناطقكم، ﴿أَوِ ادْفَعُواْ﴾ ادفعوا هذا العدو الذي هو قادم ليحتل، وينتهك الأعراض، ويسيطر على كل شيء، فماذا فعل الذين نافقوا؛ هل استجابوا؟ |لا|، تميَّز نفاقهم بتنصلهم عن المسؤولية، وتهربهم منها، ولا مبالاتهم وكأنَّه لا خطر، وكأنَّه لا شر، وكأنَّ العدو الذي يهجم، والذي يهدف إلى الاجتياح والساعي للسيطرة، كأنه وليٌّ حميم، وكأنَّه صديق وكأنَّه طرف سيقيم الحق والعدل والخير، وآتٍ بمصلحة للأمة.

﴿وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَوِ ادْفَعُواْ قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لاَّتَّبَعْنَاكُمْ﴾، تهرب، يقدِّمون التبريرات للتهرب، للتنصل عن المسؤولية، وما أكثر من يفعل هذا نفسه، يتصرف على هذا النحو، يقدِّم تبريرات وعناوين وتعللات؛ حتى يتهرب من أداء هذه المسؤولية، ﴿هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ﴾، هم قد ابتعدوا عن الإيمان، لدرجة أنَّهم باتوا أقرب إلى الكفر، ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ * الَّذِينَ قَالُواْ لإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾ (آل عمران: ١٦٧-١٦٨) ، ﴿قَعَدُواْ﴾: لم ينهضوا، لم يتحركوا أبدًا، ولم يدفعهم لا وعي باستشعار الخطورة، ولا دافع إيماني بالاستجابة لتوجيهات الله وأوامره وآياته إلى أن يتحركوا ويقاتلوا."[١٤]

ثانياً: كشف حقيقة الذين في قلوبهم مرض

تحدث القرآن الكريم عن مرض القلوب وآثاره السلبية وما يترتب عليه من انحرافات ومساوئ، والمرض هو الحالة التي تخالف مقتضى الفطرة التي فطر الله الإنسان عليها، لأن الإنسان مفطور على قيم ومبادئ عظيمة، والدين إنَّما يأتي متطابقًا مع الفطرة، ويحدث المرض عندما ينحرف الانسان عن فطرته فيتربى ويتعود على أشياء تؤثر على فطرته حتى تنطبع بها نفسه، وتنمحي منها القيم الفطرية، أو تضعف مقابل تجذر وتعمق الآفات السلبية الدخيلة على نفسيته وعلى مشاعره

(١٤) السيد/ عبد الملك بدر الدين الحوثي، محاضرات الهجرة النبوية، المحاضرة السادسة ، ٦ محرم ، ١٤٤٠هـ

ووجدانه؛ والبعض قد تندثر الأمور الفطرية التي أودعها الله في أعماق نفسه.

ويتلخص المرض في جوانب معنوية أو تربوية، تتعلق بأفكار أو مشاعر أو كليهما؛ لذلك فإن كثيرا ممن ينحرفون ويزيغون ويتجهون إلى مواجهة الحق هم ممن قال الله إن في قلوبهم مرض، ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِـهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ﴾ (المائدة: من الآية٥٢)، سواء كان مرضاً فكرياً مرتبطا بالمفاهيم والأفكار والإيمان بالمبادئ الهامة التي تمثل محكا لكبرياء الإنسان وتعالي نفسه، أو مرضاً نفسياً يتعلق بالقضايا الأخلاقية والمعاصي، أو مرضاً متعلقاً بآفات أخرى، كالطمع والشح والحسد والأنانية، والحقد والضغائن، وعشق السلطة.

وللعدو دورٌ كبير في صناعة المرض في القلوب، فهو يتجه الى خلق الانحراف والتحريف، من خلال الافساد والتضليل، والقرآن الكريم يعالج هذه المسألة من خلال التزكية والوعي، وفي مقدمة مهام الأنبياء العملية هذه المسائل. يقول - جل شأنه- : ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾(الجمعة ٢) وفي سورة البقرة يقول: ﴿يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ (البقرة: من الآية١٢٩). وكثيرٌ من البشر الذين سقطوا عند الاختبار الإلهي هم في الحقيقة ضحية لغفلتهم، وعدم تقييم أنفسهم وتزكيتها والارتقاء بها على الدوام، فالكثير من المنتمين إلى الإيمان يثقون بأنفسهم، ويطمئنون لمستوى إيمانهم والمعارف التي قد حصلوا عليها، وقد يكون لديهم خللٌ رهيبٌ، ويعيشون حالة خطيرةً على أنفسهم وعلى إيمانهم، لكن هذا الخلل يستمر حتى تأتي أحداث ومؤثرات فلا يكونوا بمستوها ولا يستطيعون الصمود أمامها؛ ولهذه الحالة الكثير من الشواهد في واقعنا اليوم، ممن هم عادةً يسقطون في منتصف الطريق ولا يواصلون المشوار، والبعض قد تكون انطلاقتهم بفاعلية ملحوظة وبحماس كبير وبتفاعل بارز، ثم في مرحلة معينة يتعثرون ويقل عزمهم، والبعض ينحرفون، والبعض يسقطون ويتحولون إلى خصوم للحق.

يقول السيد القائد عبد الملك بدر الدين الحوثي: " **الذين يتجهون الاتجاه المنحرف، فيزيغون عن الموقف الحق، والاتجاه الحق، ويتحولون إلى دعاةٍ للفرقة، يصفهم الله في القرآن الكريم بـ ﴿الَّذِينَ فِي قُلُوبِـهِمْ مَرَضٌ﴾ يعني: البعض من الناس قد ينطلق في الاتجاه الحق، ويتبنى الموقف الحق، وقد يبرز في ذلك، أو يلقى شيئاً من السمعة والشهرة، ولكنه في حقيقته، في داخله، في ضميره، في وجدانه، في قلبه، بقي لديه مرض.**

ما هو المرض هذا؟ هو مرض معنوي، مرض تربوي، إمَّا أنه بقي مرتاباً تجاه شيءٍ من الحق، لم يؤمن به في الواقع، أظهر اقتناعه بالحق، لكنه بقي مرتاباً تجاه

شيءٍ من الحق، لم يؤمن به حقاً، لم يؤمن به حقيقةً، واحتفظ بحالة الريب تلك، بقيت معه، لم يتخلص منها، لم يستنر بنور الله، لم تكتمل بصيرته، ولم يتم يقينه، فبقي ذلك الريب فيه، يكبر، يعظم، يصطدم باختبارٍ معين، فيتجلى في موقفه، ويظهر مثلاً تنكره لمبدأ من مبادئ الحق، أو لمبادئ من الحق، أو لشيءٍ من الحق، أو حتى للموقف الحق بكله، وهذا يحصل للكثير من الناس على مدى التاريـخ وفي كل زمن، وسيبقى إلى قيام الساعة.

والبعض أيضاً إلى جانب ارتيابه باتجاه شيءٍ من الحق لم يؤمن به، يحتفظ أيضاً بخللٍ تربوي، لا يتزكى، لا يتزكى في طريق الحق، لا يتخلص من الشوائب الخبيثة، فهو يحتفظ في قلبه بشيءٍ من الخبث: إمَّا كبر، إمَّا حقد، إمَّا العجب والغرور، إمَّا شيءٌ من الخلل التربوي الذي لا يستقيم معه الإيمان، لا يكتمل معه الإيمان، يبقى متعارضاً مع الحالة الإيمانية، ويعظم لدى الإنسان، فيصطدم في مرحلة من المراحل باختبارٍ معين؛ فيتجلى لدى الإنسان ذلك الخبث، فيظهر ويتبين في موقفه المغاير، في زيغه وانحرافه.

وهذه أيضاً من سنن الله -سبحانه وتعالى-، وقد يتفاجأ الناس من البعض، كيف تغيَّر تماماً، كيف تبنى موقفاً معادياً، كيف أصبح موقفه منسجماً مع الأعداء، متماهياً مع الأعداء، مغايراً لما كان عليه في الماضي، فانحرافه واضحٌ عمَّا كان عليه سابقاً.

الله -سبحانه وتعالى- قال في القرآن الكريم: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ (محمد٢٩-٣٠).

فالله -سبحانه وتعالى- من سنته أن من يحتفظ في قلبه بالمرض، المرض على مستوى الارتياب والشك في شيءٍ من الحق، لا يؤمن به، يحتفظ بارتيابه ذلك، أو معه أيضاً اختلالات تربوية، لا تنسجم مع الإيمان، شيءٌ من الخبث، أن يظهر ذلك، أن يتجلى؛ لأن الله لا يقبل من عباده إلا الصدق، يريد من عباده أن يكونوا صادقين في إيمانهم، صادقين حتى في تبنيهم للموقف الحق، لا يقبل إلَّا الصدق، وإلَّا الصادقين، فمن يتمسك معه بشيءٍ من الارتياب، لا يتركه، لا يستبصر، لا يتم يقينه، لا تكتمل بصيرته، أو أنه يحمل شيئاً من الخبث ولا يتزكى، تأتيه الفرص التربوية والإيمانية والعملية، التي تساعده على أن يتزكى، فلا يتزكى، فهو يصل إلى مرحلة معينة، يصطدم فيها بالاختبار الإلهي، ويفضحه الله، ويكشفه الله، ضمن سنته في أن يميز الخبيث من الطيب في الواقع الإيماني نفسه." [١٥]

(١٥)السيد/ عبدالملك بدر الدين، المحاضرة الرمضانية الخامسة والعشرون، مصدر سابق

والوعي بهذه الأمور هام جدا حتى يكون الجميع على حذر من الاحتفاظ بشيءٍ من الريب او الخبث، فيسعى إلى أن تكتمل بصيرته، وأن يتم يقينه، وأن يكون على وعي تام، وأن يتزكى باستمرار، ويسعى دائماً للأخذ بعوامل الصلاح ويستفيد من كل الفرص التربوية.

الشيء الآخر ألَّا يتفاجأ الإنسان، أو يتأثر سلباً عندما يشاهد من يزيغ، أو ينحرف، أو رأى من يتبنى الاتجاه المعادي للحق والمنسجم مع الأعداء.

في هذه الحالة يمكن توجيه النصح والتذكير، وإذا لم يتقبل فربما قد يكون مخذولاً من قبل الله، ومسلوب التوفيق، عند ذلك لا يبالي به أو يتأثر به، ولا يهتز هو في موقفه، ولا يعطيه أي قيمة؛ يعرف أن هذه سنة الله في الأولين والآخرين، وأنها على مرِّ الزمن، وفي كل عصر، ومع كل أمة، وفي كل قومٍ مؤمنين، يأتي هذا الاختبار، ليميز الله الخبيث عن الطيب منهم؛ حتى يتجلى كُلٌّ من الصادق والكاذب.

وفي عصرنا الحاضر تجد ما يدل على هذا المرض، فطبيعة الأحداث تجلِّي كل شيء، مثلًا: في ظل صراعنا القائم مع أمريكا وإسرائيل، يحصل من جانب قوى الشر والطاغوت والإجرام جرائم وممارسات بشعة وفظيعة جداً، يندى لها جبين الإنسانية، فمثلاً، في العدوان الأمريكي السعودي الإماراتي على بلدنا، يقتلون منا الآلاف المؤلفة من الأطفال والنساء بجرائم بشعة ووحشية للغاية، وكثيرٌ من المشاهد المؤثرة، يكفي أن تكون إنساناً سليماً طبيعياً لتتأثر بذلك المشهد، المأساوي، الذي يعبِّر عن مظلومية، ومع ذلك يشاهده البعض ولا يبالي، ولا تتحرك فيه حتى المشاعر الإنسانية؛ ما يدلل على أن لديه مرضاً ولو بقي على فطرته الطبيعية، ونفسيته السليمة، التي فطر الله الأنفس عليها لتألم، وترى بعضاً ممن هم يتسمَّون بأنهم متدينون وإسلاميون، مثل بعض المنتمين لحزب الإصلاح والتكفيريين، يرتاحون لمثل تلك الجرائم، ويبررونها ويجوزونها ويشرعنونها، ويغطون عليها باسم الدين، وبالافتراء على الله، ولا يرون ضيراً- كما قال أحدهم- في أن يُقتل ولو أربعة وعشرون مليون يمني، ويبقى مليون واحد، في مقابل أن يصلوا إلى السلطة، وأن يتحقق لهم في التنكيل بهذا الشعب ما يريدونه، وما يسعون له بأحقادهم وضغائنهم وأمراضهم وعقدهم.!

إذًا، الأحداث نفسها يتجلى من خلالها ما الناس عليه، ويتضح مرضى القلوب وخبثاء النفوس، ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِـهِم مَّرَضٌ﴾، أي مرض، سواء كان شكاً أو حقداً أو نفاقاً أو أي ضغينة لابدَّ أن تخرج إلى الواقع، ﴿وَلَوْ نَشَاء لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾، حتى في تعبيرهم، في كلامهم، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾.

"يقول الله -سبحانه وتعالى- أيضًا- وهو يوضح في كتابه الكريم أنَّ سنَّته في هذه الحياة أن يكشف واقع الناس من خلال مسألة الجهاد والولاء، بالتحديد هذه المسألة، يقول -جلَّ شأنه-: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ﴾ (محمد: الآية٢٩) ﴿الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ من المنتسبين للإيمان والمدَّعين له، ولكن في قلوبهم مرض، وطبعًا هذا المرض غير المرض الجسمي، يعني: ليس مرض الشرايين ولا الصمامات... ولا من أيٍّ من هذه، هذا مرض من نوع آخر، إما شك في الحق، عدم ثقة بالله -سبحانه وتعالى- خبث متجذر بأيِّ شكل من الأشكال: بخل، حقد... أي مرض من تلك الآفات والمساوئ النفسية والأخلاقية، التي تؤثِّر على الإنسان في نفسيته وأخلاقه.

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾، حالة من الانحراف، حالة تخالف مقتضى الفطرة، المرض هو الحالة التي تخالف مقتضى الفطرة التي فطر الله الإنسان عليها، الإنسان مفطور على قيم ومبادئ عظيمة، والدين إنَّما يأتي متطابقًا مع الفطرة، ولكن الإنسان- أحيانًا- ينحرف عن فطرته هذه؛ فيؤثر حتى على فطرته، تتأثر فطرته، يتوجه نحو أشياء أخرى، ويتربى على أشياء أخرى، ويتعود على أشياء أخرى؛ حتى تنطبع بها نفسه، وتنمحي تلك القيم الفطرية، أو تضعف- إلى حدٍ كبير- مقابل تجذر وتعمق تلك الأشياء السلبية التي دخلت على نفسيته، وعلى مشاعره، وعلى وجدانه؛ فانشد إليها بأكثر من الأشياء الفطرية، وأحيانًا يصل البعض إلى أن تنتهي وتندثر بقايا تلك الأمور الفطرية التي أودعها الله في أعماق نفسه.

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ وَلَوْ نَشَاء لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ (محمد: ٢٩-٣١)، ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ من خلال الأحداث والمواقف التي يتحتم عليكم في مقابلها أن تجاهدوا، فَمَنْ جاهد أثبت مصداقيته مع الله، مَنْ جاهد وصبر أثبت مصداقيته، وتجلى ما يحمله في واقعه: من إيمانٍ راسخ، من قيم عظيمة، من أخلاق عظيمة، من مبادئ راسخة عظيمة، من التزام عملي، وصدق في الاستجابة لله -سبحانه وتعالى- ومن لم يجاهد، وتنصَّل عن المسؤولية؛ يتضح أمام الله أنَّه يعاني من ذلك المرض الذي مَثَّلَ عائقًا أمامه، مرض في مبادئه، في انتمائه، في عمق نفسه، عنده أضغان، عنده خلل معنوي كبير مَثَّلَ عائقًا ما بينه وبين أن يستجيب لله -سبحانه وتعالى-." [١٦]

(١٦)السيد/ عبد الملك بدر الدين الحوثي، محاضرات الهجرة النبوية، المحاضرة السادسة ، ٦ محرم ، ١٤٤٠هـ

و التاريـخ يروي لنا نماذج من الشخصيات البارزة ممن عاشوا في رحاب الأنبياء وجاهدوا تحت راية الأنبياء ثم ما لبثوا ان تعثروا وتغيرت مواقفهم، وهي حالةٌ واقعيةٍ؛ فالبعض حتى في صدر الإسلام، وبعد إسلامهم على يد رسول الله -صلوات الله عليه وعلى آله-، كانوا يرتدون عن الإسلام إلى الكفر، والبعض يرتدون إلى النفاق، والبعض ينحرفون على المستوى السلوكي والأخلاقي والعملي.

وفيما بعد عصر الرسول كما حدث في أيام الإمام علي -عليه السلام-، وفي أيام أئمة الهدى (عليهم السلام)، فالبعض من الشخصيات كان قد برز وسطع نجمه، وأصبح شخصية معروفة يسجل التاريخ مواقفه، ويحكي بطولاته، ويروي أدواراً متميزةً له، لكنه في الأخير أو في وسط الطريق أو في أي مرحلة من المراحل تعطَلَ نشاطه، وتغير موقفه من الحق.

لدرجة أن البعض يُمضي كل حياته ويقضي مرحلة شبابه في الجهاد، حتى يصل إلى مرحلة الشيخوخة، وفي مرحلة يُفترض أن يكون مملوءً بالإيمان، وأن تكون عوامل الاستقامة وعوامل الصلاح قد تعززت في نفسه، ولكن عادةً ما يكون قد احتفظ في داخل نفسه بخلل، هذا الخلل يتنامى ويكبر وإن كان لا يخرج إلى الواقع إلا عند اختبار معين، لأن عملية الاختبار تظل قائمة للإنسان، الله يختبر الإنسان في كل مراحل حياته، ويخرج كل ما خبأة الانسان في أعماق نفسه، فالإنسان الذي لا يلتفت إلى تقييم واقعه وإلى تصحيح وضعيته وإلى الارتقاء في الوعي والايمان، يصبح ضحيه لهذه الغفلة وهذا الغرور وحالة التهاون واللامبالاة، وقد يجد نفسه في يوم من الأيام عدوا لدودا للحق، وخصماً للمؤمنين.

وهذه حالة معروفةٌ تحدَّث عنها القرآن الكريم كثيراً وهو يفرز المجتمع المسلم آنذاك، ويُبَيِّن الحالات المختلفة، وَيُبَيِّن الاختبار الذي يكشف الحالة القائمة، الحالة الواقعية، كما قال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ (آل عمران: من الآية١٧٩). وبالتالي يجب أن تبقى هذه المسألة محط اهتمام لدى الإنسان، وإدراك الإنسان لأهميتها يساعده على الاستقامة، ويبعده عن الانحراف والزيـغ والاعوجاج.

يقول السيد عبد الملك بدرالدين الحوثي: "**نحن نلحظ في تجربة الحياة الكثير من الناس انطلقوا في مجال العمل في سبيل الله في أي ميدان كان بروحية عظيمه ومتميزة وإيجابيه واندفاع عملي، وحالة انشداد ديني نحو الله -سبحانه وتعالى-، وغير ذلك؛ لكن واجهتهم مؤثرات، واجهتهم متغيرات، واجهتهم أشياء كثيرة في الحياة، فأثرت عليهم حتى طبعوا بطابعها، حتى أصبحوا بعيدين كثيراً، حتى تغيرت نفسياتهم اهتماماتهم وتركيزهم، وكان لذلك آثار سيئة عليهم.**

هذا حصل عبر التاريخ، في من كانوا مع أنبياء الله، فيمن كانوا مع أئمة الهُدى، في من كانوا في الاتجاه الحق، حصل؛ عندما تقرأ في التاريخ الكثير من الشخصيات البعض منها تصل أو تحدث له حالة الانحراف والسقوط، بعد أن يكون قد أمضى كل شبابه في سبيل الله -سبحانه وتعالى-، بعد انتهاء مرحلة الشباب أصبح (شيبه) طاعناً في السن، فإذا به ينحرف؛ والسبب ماذا؟ انه ترسخ لديه في وجدانه وفي نفسه أشياء هي تعتبر خللاً، خللٌ يضرب إيمانه، يضرب استقامته، مؤثرات تؤثر عليه، ولذلك الله -سبحانه وتعالى- يتخاطب معنا حتى بخطاب التحذير والتنبيه كمؤمنين ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ (التحريم: من الآية ٦) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ وكثير من الآيات التي تتحدث مع المؤمنين تنبه تحذر تؤكد، آيات كثيرة في كتاب الله المجيد."[١٧]

من الامراض التي تنشأ في حالات التمكين، حب السلطة، وحب المال، والاطماع المادية والمعنوية بشكل عام؛ وتأتي بعضها نتيجة غياب الشعور بفضل الله ومنته، فتنشأ نظرة شخصية لدى البعض ويرى لنفسه استحقاقات، إما لأسبقيته أو لمواقف حققها الله على يديه، أو لتضحيات قدمها في سبيل الله؛ لذا نجد الله في القرآن الكريم يربي على الشعور بفضل الله وأنه هو الذي قتل الأعداء وسدد الضربات، وهو من صوب الرمي، يقول الله - جل شأنه- : ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى﴾ (الأنفال١٧).

ولهذه الآية وغيرها أهمية تربوية بالغة في الشد إلى الله وتذويب نزعات النفس وأهوائها، لأن الإنسان إذا تجاهل المنة الإلهية، وتجاهل فضل الله عليه، ينشأ لديه حالة غرور، وفيما بعد يرى لنفسه حقوقاً كثيرة، ويرى أن على الاخرين ان يمنحوه اعتبارات وامتيازات معنوية ومادية، وينسى مسألة التوجه إلى الله؛ وبدلا من أن يرجو الله، يتوجه برجائه إلى الناس، ويبتغي ما عند الناس بدلاً من أن يبتغي ما عند الله، وهذه حالة خطيرة تتنافى مع الروحية الإيمانية السليمة.

من الشواهد التاريخية الهامة سيرة طلحة والزبير، ففيها من الدروس والعبر الكثير مما يمكننا الاستفادة منه، خصوصاً من لهم اسبقية في الجهاد في سبيل الله، ومن لديهم رصيد في التضحية والبذل.

(١٧)السيد عبد الملك بدر الدين، لقاء الأمنيين ١٤٣٨هـ، مصدر سابق

طلحة والزبير (دروس وعبر)

طلحة والزبير كانا من جنود رسول الله -صلوات الله عليه وعلى آله-، وكانا من أبطال الإسلام الأوائل، ومن الرجال الثابتين يوم أحد عندما انهزم كثير من الصحابة، ومما يروى عن الإمام علي -عليه السلام- أنه قال عن سيف الزبير بن العوام: **(طالما جلاَّ به الكرب عن وجه رسول الله)**، اضف لذلك أنهما من السابقين الذين نالوا شرف الهجرة والسبق إلى الجهاد في سبيل الله، والمشاركة في حروب الإسلام من أول حرب إلى آخر حياة النبي -صلوات الله عليه وعلى آله-، وكانا ممن يحضر مجالس الرسول -صلوات الله عليه وعلى آله- ومسجده، ويصليان خلفه، ويسمعان توجيهاته، ويستمعان للوحي الإلهي بعد ما نزل من السماء، عندما يقرؤه عليهم الرسول -صلوات الله عليه وعلى آله-، مع كمال الرسول وعظمته وقدرته الفائقة على تربية الناس وإصلاحهم وهدايتهم والتأثير عليهم.

وعاشا ما يقارب عشرين عاما من الجهاد، والتضحية، والعمل، والسفر، حيث كانت بعض الغزوات تحتاج إلى السفر لمدة شهرين، وكان يفترض أن يترك ذلك أثراً عظيماً في نفسيهما، خصوصاً عندما يجلس عشرين سنة يتربى عند الرسول ويسمع هدى الله بعد أن يصل من السماء إلى الأرض.

أتت فيما بعد مرحلة فيها الكثير من المؤثرات، وكان الرسول قد حذرهم منها، وأخبرهم أن المرحلة المقبلة تختلف عن مرحلة الشدائد، وأنها مرحلة يكون فيها انتصارات كبيرة وتمكين، وإقبال من الدنيا.

وفي عهد أبي بكر وعمر وعثمان جاءت تغيرات ومناصب هامة وأموال كثيرة، وامتيازات خاصة، وأتت مبادرات ومقترحات مفادها أن تقدم امتيازات ضخمة، ومخصصات كبيرة، لكل من لهم سوابق ومكانة كبيرة في الإسلام، وقد أبلوا بلاءً حسناً، وتعطى لهم مناصب خاصة، وتجبى لهم مناطق محددة إلى غلولهم، وأصبح التوجه مغايراً للتوجه الإيماني القائم على أساس هدى الله، ونتيجة لذلك حدثت تغيرات نفسية خطيرة وعلقت في النفوس آفات وسلبيات كبيرة.

بعد ذلك أتت المرحلة التي تولى الإمام علي -عليه السلام- فيها أمر الأمة من جديد، وكان حريصاً على أن يعيد الناس إلى الروحية الايمانية السابقة، ويسير بهم على أساس هدى الله، فقرر حذف كل تلك الامتيازات، التي هي من الحق العام، وكان القدوة في ذلك حيث لم يأخذ لنفسه منه إلا بمثل ما يعطي خادمه، وكان راتبه كراتب أبسط فرد.

فعارض طلحة والزبير ذلك التوجه، وأصرا أن يبقى لهما ذلك، وطلبا أن تجبى لهما كل المصادر المالية في الكوفة والبصرة، لأنهما جاهدا في سبيل الله، وحضرا بدراً، وثبتا في أحد، فأرادا، البصرة والكوفة، مالها وإمرتها وكانت البصرة والكوفة تسمى أرض العراقين، (فالكوفة يلحق بها قسم كبير من العراق، والبصرة كذلك يلحق بها قسم كبير من العراق)؛ ولذلك رفض الإمام علي -عليه السلام- رفضاً قاطعاً، وأعطاهما من أمواله الخاصة ومزارعه التي كان -في تلك الفترة- قد استصلحها بكده وعمله.

وكانت النتيجة أن اتجها لمحاربة الامام علي -عليه السلام- وحملا السيوف نفسها التي قاتلا بها من أجل الإسلام وحاربا بها لإقامة الدين ونصرة الحق، وخرجا بالسيوف نفسها ليحاربا بها تعاليم الإسلام، فقادا ثورة كبيرة، تعرف بثورة الجمل قتل فيها ثمانية عشر ألف مسلم، وقتل فيها أيضاً طلحة والزبير.

بعدما بقيا مجاهدين طيلة حياتهما تحت راية الإسلام إلى أن أصبحا طاعنين في السن، ثم تكون النهاية أن يخرجا على تعاليم هذا الإسلام؛ مع أن الإمام علي -عليه السلام- لو رأى أن لهم حقاً لأعطاهما، فالرسول -صلوات الله عليه وعلى آله- يقول: «علي مع الحق والحق مع علي» وقال: «علي مع القرآن والقرآن مع علي»، وفي هذه القصة عبرة ودروس هامة عن خطورة المؤثرات التي تطرأ في واقع الناس بالذات في مراحل التمكين، وخطورة الأمراض النفسية وخطورة التجاهل والإهمال وعدم تزكية النفس والارتقاء بها بشكل مستمر.

المبحث الثاني: نتائج الابتلاءات العملية

ترتسم الكثير من الاستفهامات، والعديد من التساؤلات عن الهدف من الفرز والاختبار الإلهي، وما هي الغاية من وراء سنة الابتلاءات، ومن خلال التأمل في مجموعة من الآيات القرآنية التي تناولت سنة الابتلاء والاختبار تتضح الغاية من وراء هذه السنة الإلهية، والنتائج التي تترتب عليها، ومنها: معرفة الصادقين من الكاذبين، وتمييز الخبيث من الطيب، وفرز المؤمنين من المنافقين، ومعرفة المجاهدين الصابرين عن المتخاذلين والرافضين، وكشف المستقيمين من المنحرفين؛ فضمن تعامل الله مع عباده يحصل الاختبار الإلهي، فيكشف الإنسان على حقيقته حيث لا يمكن أن تخادع الله تعالى، ولا يمكن أن يبقى الزيف مغطياً على الحقيقة؛ وبالتالي فإن من المهم فهم سنة الابتلاء والاختبار والفتن واستيعابها، وإدراك نتائجها وطريقة التعامل معها، وهذا الفهم يشكل عاملا مساعدا على الاستقامة والثبات، والتماسك عند المزلات.

ثم إن الاختبارات الإلهية لها نتائج، حالها كحال أي اختبارات او امتحانات ينجح فيها الإنسان او «يرسب» أو يتفوق، فللابتلاءات نتائج إيجابية تربوية تزيد الإنسان هدىً، وتخلق لديه يقظة وحذراً من أن يفتن وهو في حالة غفلة، فالإنسان الصادق سيزداد إيماناً وهدىً ويرتقي في وعيه، ويستفيد من حالة الاختبار الإلهي، والإنسان الذي يوفقه الله وينجح فيها يوجد لديه فرصة لاستجابة الدعاء ومغفرة الذنوب، إضافة إلى نتائج أخرى ترتبط بالتقييم يفهم من خلالها الانسان واقعه الشخصي، ويفهم واقع المجتمع والناس من حوله، ويفهم الناس حقيقة بعضهم، فمن ايجابياتها أنها تغربل وتنقي المؤمنين، وتكشف المنحرفين والمخادعين، وتظهر الإيمان المغشوش والايمان الصادق، وتجلي المنافق على حقيقته، لأن البعض يعيش حالة الانحراف ولو على المستوى النفسي والمعنوي، وبشكل خفي وغير ظاهر، فيأتي الابتلاء ليكشفه.

في المقابل للاختبار الإلهي نتائج تمثل عقوبات، عندما لا يوفق الإنسان لاتخاذ الموقف الصحيح، فقد يتعرض معها للمؤاخذة، وهذه النتيجة العقابية، لا تحصل إلا بعد مقدمات سلبية، ورصيد تراكمي من المخالفات والمعاصي والتهاون والإهمال، فيعاقب بالخذلان والضلال والاستبدال. وندرك بعض من نتائج الابتلاءات كالتالي:

"

يقول الشهيد القائد -رضوان الله عليه- من خلال قول الله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة:١٥٥) لاحظ ما أجمل موقع هذه الآية بعد أن يجعلك بالشكل الذي تشتاق إلى أن تقتل في سبيل الله! هل ستبدو ثقيلة عليك أن تمر بأي شيء من هذه الأشياء المتعددة بعد: خوف أو جوع أو نقص في الأموال أو نقص في الأنفس؟

أولاً: التربية وتقييم الواقع

يختبر الله عباده في هذه الحياة، لكنه يريد لهم الفوز والسعادة، ويريد أن تتحقق لهم النتائج العظيمة؛ لأنه غنيٌّ عن أعمالهم وعن عبادتهم، فهو -سبحانه وتعالى- لا يجعل اختباره وسيلةً من أجل إبعادهم وإقصائهم عن النتائج العظيمة لاستقامتهم، أو أنه يسعى لعرقلتهم؛ حتى لا يواصلوا المسير الذي يوصلهم إلى رضوانه وجنته.

لكن الاختبار يأتي في هذه الحياة كجزءٍ أساس من تكليف الإنسان ومسؤولياته وظروف حياته، وهو جانب أساس في العبودية لله، بمعنى أن جزءاً من عبادتك لله، وجانباً رئيسياً فيها هو أن يختبرك، وليست حالة يستهدفك من خلالها، وإن حدثت للإنسان فهي تبنيه وتربيه وتقيّم له واقعه، أما إذا جاء هذا الامتحان والانسان في حالة من العصيان أو التقصير يحصل له تأديب ويعاقب على أعماله، وأخطر العقوبات أن يسلبه الله عونه وبركاته وتوفيقه وهدايته.

وبالتالي: فالإنسان المستقيم يحظى بمعونةٍ من الله -سبحانه وتعالى-، ويستفيد من ارتقائه الإيماني والأخلاقي في مواجهة الاختبارات، فتكون النتيجة بالنسبة له نتيجةً إيجابية، يزداد نوراً ويزداد توفيقاً، ويحظى برعايةٍ أكبر من الله، ويتجاوز كل مراحل الحياة والمسؤولية بنجاح حتى يلقى الله.

أمَّا إذا كان مُعْوَجاً، ويتعاظم الخبث في نفسه، وهو يحتفظ بالخبث، لا ينطلق انطلاقة الاستقامة السليمة المبنية على الاستجابة والإنابة إلى الله -سبحانه وتعالى- ومراجعة النفس وتصحيح الخطأ، بل يستمر في حالةٍ من الاعوجاج والاحتفاظ بما يسبب له خبث النفس؛ فسوف يسقط عند الاختبار ويزيغ عن خط الاستقامة وينحرف ويضله الله، ومن خلال التفاصيل الاتية نعي بعضاً من النتائج:

١. نتائج تربوية

إذا تعرض الانسان للابتلاء وهو متنبه ومنقطع الى الله، ومسلّم لله ورسوله وأعلام الهدى، ومستقيمٌ على هدى الله، سليمٌ من الأمراض الفكرية والنفسية، وبعيدٌ عن الفسق والمعاصي، فستكون نتائجها إيجابية مساعدة، تبني نفسيته وتجعله يستفيد من أخطائه، ويعرف نقاط ضعفه، ويقيس مدى خوفه من الله وخشيته منه، وهي عملية تربوية تجعل الانسان يقظاً حذراً من أن ينحرف أو يسقط، وتبني المجتمع في تجلده وصبره وإيثاره وعطائه، واستعداده للتضحية، وتصبح الاخطار والتحديات بالنسبة له غير مخيفة، وفوق ذلك تعتبر فرصة لاستجابة الدعاء.

يقول السيد حسين بدرالدين الحوثي -رضوان الله عليه- من خلال قول الله تعالى : "﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ﴾ (المائدة

من الآية: ٩٤) ابتلاء إلهي ﴿لِيَعْلَمَ اللهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ﴾ (المائدة من الآية: ٩٤) عندما تلقى مثلا صيدًا سمينًا، وليس هناك إلا أنت، وقد يمر من عندك، وأنت محرم، أو في الحرم وقد يمر من عندك، ولا هناك أحد تستحي منه، أو سينهاك عنه، تحاول تمسكه وتذبحه، ويحصل عليه غداء دسم، قد يأتي ابتلاءات من هذا النوع مثلما حصل لبني إسرائيل، قد يأتي. مثلا. صيد يمر من عند واحد قريب، هذا ابتلاء فعلاً فيه مشاق، التي يسمونها مشاقاً، (يتميز)، وهي عملية تربوية في الواقع، أنك متى ما أمسكت نفسك هنا تعطى هدى، ويزداد إيمانك، وفعلا يستنير قلبك، مع أن القضية سهلة، هل هو حمل ثقيل أن يمر من عندك صيد غزالة مثلا، أو أي صيد سمين؟.

﴿فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ﴾ (المائدة من الآية: ٩٤) بعدما عرف النهي من الله -سبحانه وتعالى- واعتدى ﴿فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (المائدة من الآية: ٩٤) هذه هل هي تأتي قضية مماحكة. على ما يسمونها. يجعل غزالة سمينة تمر من عندك ليقهرك، لا، ﴿لِيَعْلَمَ اللهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ﴾ فيتجلى في نفسيتك أنك تخاف الله، والإنسان بحاجة إلى الحالة هذه، وقد تأتي الابتلاءات أشياء عادية، ليست الابتلاءات معناها أحمال ثقيلة، قد يكون الابتلاء قضية بسيطة جدًا في واقعها، لكن تتعامل معها بما يدل على أنك تخاف الله، فيحصل لها أثر كبير في نفسيتك، يعني: هي قضايا تربوية في الواقع، لها أثرها، أو مثلاً تُعرِض فتكون معرضاً لعقوبة." (١٨)

ومن هنا فإن الناس أمام حالتين، إما أن يتحركوا باستجابة كاملة لله، فيتحملون مسؤوليتهم، ويستقيمون وفق توجيهات الله، فتأتي الابتلاءات العملية بالشكل الذي تساعدهم وتبنيهم، ويكون لها نتائج إيجابية، على المستوى النفسي وعلى مستوى واقع الحياة، وإما أن يعرضوا عن توجيهات الله، ويتنصلوا عن مسؤولياتهم التي ألزمهم الله بها، فتكون النتيجة أن يتعرضوا للضربات الكبيرة من جهة الله، ويسلط عليهم أعداءهم، وتأتي الكثير من الابتلاءات التأديبية، والعقابية التي تخرجهم عن دائرة الحق، وتسقطهم الى الضلال والخذلان.

يقول الشهيد القائد -رضوان الله عليه- من خلال قول الله تعالى: "﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة:١٥٥) لاحظ ما أجمل موقع هذه الآية بعد أن يجعلك بالشكل الذي تشتاق إلى أن تقتل في سبيل الله! هل ستبدو ثقيلة عليك أن تمر بأي شيء من هذه الأشياء المتعددة بعد: خوف أو جوع أو نقص في الأموال أو نقص في الأنفس؟ أنت مشتاق أن تقتل في سبيل الله هل هي مشكلة بالنسبة لك، جوع خوف نقص من

(١٨) الدرس الثالث والعشرون من دروس رمضان، بتاريخ: ٢٣ رمضان ١٤٢٤هـ الموافق: ١٧/ ١١/ ٢٠٠٣م

الثمرات وأشياء من هذه، ستبدو أمامك هينة إذا كنت قد فهمت النقطة الأولى والمقام الرفيع لمن ضحوا بأنفسهم في سبيل الله.

ثم تبدو هذه بأنها قد تمر بالناس على حسب إرادة الله -سبحانه وتعالى-، هذه القضية لا نعلم كيف هل يمكن مع جيل معين أو في سنة معينة أو متى بالتحديد، إنما يبدو أنها مشجعة باعتبارها ترويض، ربما عندما تكون المسألة باعتبارها ترويض قد يكون الناس فيما إذا أخلصوا لله، وتوجهوا إلى الله، وعزموا على أن يضحوا في سبيله، ولو قتلوا في سبيله، وأن يتحركوا في سبيل الله ولو قتلوا ربما، ربما . والله أعلم . قد تكون هذه الحالة بالشكل الذي قد لا تعد تحصل ابتلاءات من هذا النوع إلا ما كان في نفس الوقت . وهذه تبدو سنة إلهية . ابتلاءات في المقام العملي تكون إيجابية كبيرة في نفس العمل الذي أنت فيه تخدم القضية التي أنت تتحرك فيها. أليس لدينا الآن (١٥٠) سجينا من أجل الشعار؟ تبين من خلال سجنهم إيجابيات كبيرة جداً جدا، لهذه المسيرة، ولهذا العمل، وفضح كبير للأمريكيين ولغيرهم، بشكل لم يكن بالإمكان أن نحصل عليه ولا أن تصل القضية إليه لولا هذه الحالة التي مر بها كثير من الشباب فأصبح منهم حوالي (١٥٠) سجينا، أليست تبدو في الصورة قضية ابتلاء؟." [١٩]

٢ .نتائج تساعد في إصلاح الواقع

تأتي الاحداث والاهتزازات بمثابة الغربال الذي ينقي شوائب المجتمع فيفرز المؤمنين من المنافقين ومرضى القلوب، ومن خلال التمحيص يعرف المؤمنون نقاط ضعفهم، والاختلالات التي تعيقهم عن النهوض بالمسؤولية، ويكتشفون قصورهم وأخطاءهم، يقول الله تعالى : ﴿**وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ، وَلِيُمَحِّصَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ**﴾، وهذه الأمور لها نتائج تدفع المؤمنين إلى مراجعة اخطائهم، وإصلاح وضعهم، وتهذيب أنفسهم، وتصحيح علاقتهم بالله، وزيادة صبرهم والتجائهم إليه، فالمؤمن كسبيكة الذهب كلما أوقدت عليها النار ازدادت صفاء ونقاء، كما في الحديث عن رسول الله -صلوات الله عليه وعلى آله- "**مثل المؤمن كمثل سبيكة الذهب إن نفخت عليها احمرت، وإن وزنت لم تنقص**" [٢٠] فالشدائد، والآلام، والأوجاع، والنكبات والمآسي والأحزان تنقيه أكثر، وتدفعه إلى الالتجاء إلى الله أكثر، وأن يحاسب نفسه ويقيّم عمله ويصلح سلوكه وأعماله ويتلافى قصوره.

فعملية التمحيص تجعل للأحداث أثرًا إيجابيًا في نفسية الإنسان المؤمن، وفي واقعه

(١٩) السيد/ حسين بدر الدين الحوثي، الدرس الثامن من دروس شهر رمضان المبارك، بتاريخ: ٨ رمضان ١٤٢٤هـ الموافق: ٢/ ١١/ ٢٠٠٣م

(٢٠) ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ٤ - الصفحة ٢٨٢٥

وأدائه العملي، وفي تقييم أدائه في نهوضه بالمسؤولية، وأدائه الجهادي، وأدائه في العمل في أي مجال من مجالات المسؤولية.

يقول الشهيد القائد –رضوان الله عليه-: " **لاحظ هنا في معركة (أحد) كم حصل من خلالها من غربلة، غربلة كما قال بعد: ﴿وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا﴾** (آل عمران: من الآية ١٦٦-١٦٧) **وسابقاً يقول: ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾** (آل عمران:١٤١) **﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾** (آل عمران: من الآية ١٤٠) **﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾** (آل عمران: من الآية١٤٢)

وهكذا؛ لأن الأحداث مهمة جداً في غربلة النفوس، أعني مهمة حتى بالنسبة لك أنت شخصياً، بالنسبة لأي واحد منا، من خلال الأحداث قد يتلمس هو ما لديه من نقاط ضعف، ما لديه من رؤى قد تكون غير صحيحة، فيصلح نفسيته هو، ويحاول أن يصحح وضعيته.

إضافة إلى تقييم الناس لبعضهم بعض تقييم المجتمع وغربلته من خلال الأحداث؛ لأن مستقبل الأمة، أي أمة تستفيد من الأحداث على هذا النحو، تكون خططاً قائمة على معرفة، خططاً واعية قائمة على معرفة؛ تعرف أن هذا الإنسان كذا، وهذا كذا وهذا كذا، وتلك القبيلة كذا، وسكان تلك القرية كذا، وهكذا تستطيع أن تعرف فتكون خططك بالشكل الذي لا يكون فيها أخطاء متكررة، قد توكل مهمة إلى شخص أو إلى مجموعة من الناس هم في الواقع غير جديرين بأن يقوموا بتلك المهمة وهكذا."[٢١]

٣. نتائج تفضح العناوين الزائفة

يأتي هذا النوع من الابتلاءات لتحصين الداخل الإسلامي من الاختراق، وحمايته من الانخداع بطبيعة العناوين، وتربيه على اليقظة والحذر، وخصوصاً في عصرنا الحاضر الذي بات العدو يستهدفه تحت العناوين الدينية والسياسية، ويستهدفه تحت عناوين حقوقية وحضارية وانسانية، و القرآن الكريم ينبه الى خطورة الخداع بالعناوين بما في ذلك العناوين الايمانية، وأشار الى نوعيات متعددة ينتحلون العنوان الديني، النوعية الأولى: من ينتمون للاسلام، ويكتفون بالإقرار بالإيمان والعبودية لله، ويقتصرون على شعائر وعبادات محدودة، ويستجيبون استجابة جزئية، يقول الله عنهم: **﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾** (العنكبوت: ١٠-١١).

(٢١) السيد حسين بدر الدين الحوثي، الدرس السادس عشر من دروس رمضان، بتاريخ: ١٦ رمضان ١٤٢٤هـ الموافق: ١٠/ ١١/ ٢٠٠٣م

لكنه يخشى الناس كخشية الله أو أشد خشية، ويخشى مواجهة العدو بمستوى عذاب الله؛ وبالتالي يتراجع عن موقفه مع الله على أساس هذه الاعتبارات والحسابات، عند أي فتنة او ابتلاء، وهذه النوعية يسقطون عند أي أذى يمكن أن يطالهم، ولا يتحملون أي معاناة.

النوعية الثانية: يغلفون تحركاتهم بمسميات إيمانية، وهم في حقيقة الأمر غير صادقين، وواقعهم يقوم على الزيف والغش والخداع والادعاء، فيقول الله - جل شأنه- : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ (البقرة: من الآية ٩،٨).

ونوعية ينكشف في حال التمكين، ويتجلى على حقيقته عندما يصل الى السلطة، كحال حزب الإصلاح. يقول الله - جل شأنه-: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾ (البقرة:٢٠٤-٢٠٥).
ومن أهم ما في الاختبار الإلهي أنه يكشف هذه النوعيات، ويظهر حقيقتها، ويحصن المجتمع من التأثر بها، أو تصديقها.

وهنالك نوعية أخرى، يدَّعون الإيمان، ويزعمون الارتباط بالمنهج والهدى الذي أنزله الله على رسوله، لكن موقفهم في الولاء يدلل على كذب ادعائهم، لأن الإيمان ثمرته عملية، ومن أهم نتائجه أنه يفصلك عن اتباع الطاغوت، ويشدك إلى الرسول وأعلام الحق، بدلاً من الانشداد إلى المجرمين، وأهل الباطل، يقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُوداً﴾ (النساء:٦٠،٦١).

وفي عصرنا الحاضر نعاني من هذه الفئات التي ظاهرها الدين وممارساتها علمانية، وعلاقتها بالتدين مجرد تكتيك للوصول الى السلطة، وفي سنن الله وهداه ما يكشف هذه الفئات التي تنتحل العنوان الإيماني، وتستغل الدين في خداع الناس، فالله لا يقبل الزيف ولا يرضى بالغش، ولن يقبل إلا إيماناً خالصاً واستجابة كاملة.

وبالفعل سقطت هذه الفئات في الاختبار، وتحولت إلى بوابات ينفذ من خلالها العدو إلى واقع الأمة لتضليلها وإفسادها، وجعلت من العنوان الديني غطاءً لمد جسور الولاء والتطبيع مع الصهاينة، فيفترون على الله الكذب، ويخدعون الناس، ويجعلون من الدين مطيةً لارتكاب جريمة وذنبٍ ومعصيةٍ من أكبر المعاصي، وهي الموالاة لليَهُود والنصارى، التي حذر الله منها وعدَّها انسلاخاً عن منهج الإسلام،

وانضماماً إلى صف الأعداء: يقول الله - جل شأنه- ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾.

يقول الشهيد القائد -رضوان الله عليه-: "**الأحداث نفسها هي تساعد على تميز الخبيث من الطيب، وهذه لها إيجابية هامة جداً؛ لأنه بالنسبة للمجتمع من خلال أحداث معينة، يتبين من هم الخبثاء فيهم، فيكونون هناك معروفين فلا يعودون يتأثرون بهم، هو يعرف الطرف الذي مثلاً يقوم بتوجيه الناس، وقيادتهم، يعرف هو في نفس الوقت كيف يكون توجيهه بالشكل الذي يبعد الناس عن أن يكونوا كأولئك، أو أن يتأثروا بمثل تلك النوعية، وهذه نفسها قد تجدها في الإسلام بشكل عام، وقائم على أساس أنه غير قابل للاختراق، فمن اخترقوا في الصورة لأنهم قالوا: (لا إله إلا الله محمد رسول الله) ودخل، ما كان ممكن أي واحد يقولها؟ هناك حالة سيتبين فيها ويتميز الخبيث من الطيب، إذاً فلن يكون في موقع قرار حتى يكون مؤثراً، وهو في الساحة من خلال أحداث معينة ستغربل الناس فيعرفون أن ذلك خبيث فيكونون أبعد ما يكون عن التأثر به.**

﴿وَلَكِنَّ اللهَ يَجْتَبِيْ مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَآمِنُوْا بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوْا وَتَتَّقُوْا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيْمٌ﴾ (آل عمران: من الآية ١٧٩) **إن حصل إخبار من جانب رسول الله -صلوات الله عليه وعلى آله- عن أشخاص معينين فيجب أن تؤمن؛ لأنه قد يخبرنا عن أشخاص كيف ستكون نهايتهم أو كيف سيكون واقعهم أو كيف واقعهم في نفس الوقت، فيجب أن يكون إيمان بهذا وإن بدا لك وكأن ذلك الشخص بعيد في نفس الحالة الراهنة في واقعه الآن.**" [٢٢]

٤. نتائج تعرف الناس بحقيقة بعضهم

بعد النكبة التي تعرض لها المسلمون في غزوة أحد، والتي راح ضحيتها عشرات الشهداء والجرحى، اتى قول الله –جل شأنه- في ذلك السياق: **﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾** (آل عمران: من الآية ١٧٩)، حيث نتج عن تلك الهزيمة مواقف متباينة في المجتمع الإسلامي، ووجه البعض انتقادات صريحة للرسول -صلوات الله عليه وعلى آله-، تحمله مسؤولية ما حصل، فكانوا يقولون: **﴿هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ﴾** (النساء: من الآية ٧٨).

وظهر البعض بمواقف مهزوزة ومترددة، وأظهر البعض ميولاً نحو العدو، وتودداً اليه، وانتقدوا مواقف الشهداء، فكانوا يقولون: **﴿لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾** (آل عمران: من الآية١٦٨)، وأطلق البعض عبارات الارجاف والتهويل والتشكيك بإمكانية النصر، وأنه لا حل سوى مداهنة العدو، والاستسلام له، من جانب آخر تجلّت مواقف مختلفة،

(٢٢) الدرس الثالث عشر من دروس رمضان، بتاريخ: ١٣ رمضان ١٤٢٤هـ الموافق: ٧/ ١١/ ٢٠٠٣م.

قائمة على الثبات، ومستندة إلى الإيمان الصادق، اتسمت بالاستبسال في سبيل الله، والتفاني والصدق مع الله، ومواقف استجابة حتى ما بعد المعركة، في واقعة "حمراء الأسد" عندما استنفر الرسول -صلوات الله عليه وعلى آله- الناس بعد المعركة مباشرة، عندما عادوا إلى المدينة، وانطلق فيه البعض حتى من الجرحى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾ (آل عمران: من الآية١٧٢)؛ فمثلت جميع تلك المواقف عملية فرز قوية.

والسؤال هنا لماذا حدثت عملية الفرز؟

السبب أن الكثير من المنتمين للعنوان الإيماني يوجد فيهم الصالح والطالح والخبيث والطيب، وقد يهتم البعض بجوانب معينة من التدين والالتزام الإيماني والديني، لكنه ينطوي على الخبث في نفسه، ولم يصلْ في مصداقيته مع الله إلى درجة الاستجابة الكاملة، فيما يحتاج إلى تضحية، وما قد يعرّض نفسه فيه للخطر، وفيما يعبّر عن مصداقية إيمانية. فالإيمان الصادق تحكمك فيه توجيهات الله وليس رغبات نفسك، والمؤمن يتحرك في كل ما أراد الله منه بدون استثناءات.

ويمكن لبعض الناس التظاهر بالانتماء لصف الحق، والوقوف ضد الباطل، وضد الإجرام والطغيان والعدوان والظالمين والمجرمين، لكن الاهتزازات تظهر مافي اعماق النفوس،ونجد في التاريخ الإسلامي نظائر لهذه الحالات كما حدث في عهد الرسول - صلوات الله عليه وعلى آله - وفيما قبل هزيمة أحد كان بعض المسلمين يظهر وكأنه من المؤمنين والمقتنعين بمبادئ وقيم الحق، والثابتين على المواقف التي رسمها الله، فأتى الاختبار الإلهي في المواقف الصعبة، اثناء التراجعات أو الانكسارات، ومع التقدمات التي يحرزها العدو، ومع سقوط الشهداء والجرحى، وغزارة القصف، لأنها اللحظات التي يهتز عندها اهتزازًا كبيرًا، وقد يتحول إلى مرجف ومثبط؛ ويصور أهل الحق بأنهم في الموقف الخطأ، وينسى أن العدو قد خسر في المقابل خسائر باهظة، وناله هزائم كبيرة؛ ولذلك يقول الله -سبحانه وتعالى-: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ وَلِيُمَحِّصَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ (آل عمران: ١٤٠-١٤٢)؛ فأتت حالة الفرز كي يتضح الجميع أمام بعضهم؛ وتصنع وعياً صحيحاً تجاه من للفرد بهم علاقة في إطار الانتماء الإيماني، فيعرف الصادقين منهم؛ حتى لا يتأثر بالمضلين، مهما كانت مستوياتهم العبادية او درجتهم العلمية.

يقول السيد عبد الملك بدر الدين الحوثي: "**حالة الفرز هذه من فوائدها ومن ثمراتها المهمة أن تتضح الحقائق بالنسبة للناس؛ حتى لا يتأثروا بمن يُقعِدهم عمَّا هو طاعةٌ لله، بمن يثبطهم عمَّا هو مسؤولية أمام الله، بمن يخذّلهم حتى**

عن الموقف الحق الذي قد يحاسبهم الله يوم القيامة بسبب تخليهم عنه.» ويضيف "**يُستفاد من هذه الحالة من الفرز والتمييز للخبيث من الطيب في الواقع العملي، في علاقات الناس، في تأثرهم، ألَّا يتأثروا بالخبيث الذي يخذّلهم، يثبطهم، يشككهم، الذي يريد لهم ألا يقفوا مواقف الحق حتى تجاه أعدائهم الواضحين، هناك من لا يريد للأمة أن تتبنى أي موقف حتى ضد إسرائيل، يريد من الناس أن يسكتوا، يطلب من الناس أن يسكتوا، يثقف الناس ويربي الناس بطريقة تشطب جانب المسؤولية والجهاد والعمل والموقف شطباً كاملاً من الدين، وكأنها خارج الالتزامات الدينية والتوجيهات التي وجهنا الله بها في كتابه الكريم، وكأنها كانت غائبة عن حياة رسول الله -صلوات الله عليه وعلى آله- وفي سيرته.**" [٢٣]

ثانياً: ابتلاءات عقابية وتأديبية

١ .الابتلاءات التأديبية

كثير من الابتلاءات العملية هي ذات إيجابية ونتائجها مفيدة، إلا في حالة التقصير تكون نتائجها تأديباً، والسنة الإلهية تقوم على ان وراء كل تقصير تأديب، وعندما لا يفهم الإنسان هذه السنة سيرد اللوم على الله فيما قد يصيبه نتيجة تقصير منه، والقرآن يقدم الكثير من الشواهد من واقع أوليائه، كيف كانوا يعون هذه السنة الإلهية، فنبي الله يونس سبَّح الله وهو في بطن الحوت، ﴿**فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ**﴾ (الأنبياء: من الآية٨٧)

وفي غزوة احد كانت الشدائد التي حلت بالمسلمين، تأديباً على مخالفة الرسول وعصيان توجيهاته، وعندما تساءل البعض عن أسباب ما حصل، وارادوا ان يحملوا الله المسؤولية قال الله -جل شأنه-: ﴿**أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ**﴾(آل عمران: من الآية١٦٥)

مثالٌ آخر حدث في يوم حنين، فبعد فتح مكة اتجه المسلمون الى قتال هوازن، وهم يعيشون نشوة النصر، والإعجاب بكثرة العدد، فقال بعضهم: "لن نهزم اليوم من قلة" فهزموا هزيمة منكرة؛ وكان تأديباً لهم بسبب العجب بالكثرة، وضعف الاعتماد على الله، ونسيانه وعدم الالتجاء إليه، ﴿**وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ**﴾ (التوبة: من الآية٢٥)

والإيمان بهذه المسألة، يدفع الناس إلى مراجعة أنفسهم وتصحيح أخطائهم، وإصلاح تصرفاتهم، فيظلون دائماً مرتبطين بالله مهما بلغت قوتهم، فيكون هذا

(٢٣) السيد/ عبدالملك بدر الدين، المحاضرة الرمضانية الخامسة والعشرون، مصدر سابق

الارتباط وهم مائة ألف كارتباطهم بالله يوم كانوا مئات الأشخاص، ولأن الإنسان عندما ينفصل عن الله، ويرى نفسه في وضعية غير محتاج إلى نصر الله وعونه سيناله ضربات تأديبية.

وفي ضوء قول الله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة:١٥٥)

يقول الشهيد القائد –رضوان الله عليه- "الابتلاءات في المجال العملي كلها تصبح إيجابية، إيجابية كلها إلا في حالة واحدة ما كان نتيجة تقصير من الناس تفريط من الناس هذه تكون تأديبا يحصل تأديب.

في مراحل الصراع مع أعداء الله يحصل حالة خوف، أليست طبيعية في الصراع عند البشر كبشر يحصل خوف ونقص من الأموال والأنفس والثمرات أليست هذه تحصل؟ لكن المؤمنين أنفسهم عندما يمرون بأشياء من هذه تعطيهم تجلدا تعطيهم صبرا، وعندما تكون هي من جهة الله -سبحانه وتعالى- تكون إيجابية أيضاً في نفس الوقت إيجابية، فيجب هنا أن تصبر، تصبر لتنجح في هذا الابتلاء الإلهي الذي يعطيك في نفس الوقت تجلدا؛ لأن ما يمكن أن يحصل عليك وأنت في مواجهة العدو كمجتمع وكأفراد هي هذه، حالة خوف ونقص من الأموال والأنفس والثمرات. ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة: من الآية١٥٥) " (٢٤)

وبالتالي لا مناص من أن يتحمل الناس مسؤوليتهم في الحياة، بإخلاص وجد واهتمام، بعيداً عن التقصير والتفريط والإهمال، وأن يلتجئوا إلى الله أن يجنبهم الابتلاءات التي لا طاقة لهم بحملها، يقول الشهيد القائد-رضوان الله عليه- من خلال قول الله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ **حتى فيما يتعلق بالابتلاءات، الابتلاءات نفسها التي قال الله عنها:** ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الخَوْفِ وَالْجُوْعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِيْنَ﴾ **كثير من الابتلاءات -في علم الله -قد يستطيع الناس أن يتفادوها فيما إذا انطلقوا بإخلاص وجد واستجابة لله ولرسوله -في علم الله، حيث ينفع الدعاء-، ألسنا نسمع أن رسول الله -صلوات الله عليه وعلى آله يقول: (الدعاء يرد القضاء). لكن الدعاء في مرحلة لا يستجاب لا يرد قضاء، وقد يكون القضاء من جانب الله بشكل ابتلاءات بشكل عقوبات، كثيراً كثيراً يتردد ويتكرر، متى ما صحح الناس أوضاعهم مع الله ورجعوا إلى الله وانطلقوا في الأعمال التي ترضيه كاملة حينها سينفع دعاؤهم، حينها سيكف الله -سبحانه وتعالى- كثيرا من العقوبات التي كانوا يستحقونها ويستحقها أمثالهم بسبب تقصيرهم."** (٢٥)

(٢٤)الدرس الثامن من دروس شهر رمضان المبارك، بتاريخ: ٨ رمضان ١٤٢٤هـ الموافق: ٢/ ١١/ ٢٠٠٣م
(٢٥) السيد/ حسين بدر الدين الحوثي ، الهوية الإيمانية، بتاريخ: ١٨ من ذي الحجة ١٤٢٢هـ الموافق: ٣١/ ١/ ٢٠٠٢م

٢. الابتلاءات العقابية

أخذ الحديث عن العقوبات الإلهية في القرآن الكريم مساحة واسعة، حيث تحدث الله أنه يضل ويخذل ويستبدل ويصرف آياته عن نوعية معينة ويثبط البعض عن الخروج للقتال، وبشكل عام فإن الابتلاءات التي تليها عقوبات ومؤاخذة، لا تحصل دون أن يكون له أسباب من جهة الإنسان نفسه، فقد يتمادى الإنسان في تعدي حدود الله، ويتهاون بالنتائج، ويستمر في عصيانه وضلاله، ويضيّع فرصاً كبيرة تعرض عليه فيها حالات تزكية واهتداء ووعي فيعرض عن كل ذلك، أو يكون في نفسه مستكبراً ومغروراً وغارقاً في ذاته، فيتعاظم في نفسه الخبث والمرض حتى يسقطه ويغرق في الضلال؛ والقرآن الكريم يقدم العقوبات التي حلت ببني إسرائيل مثالاً واضحاً على أن الإنسان معرضٌ للمؤاخذة في الدنيا، حتى وإن بلغ يوماً ما إلى مستوى التفضيل على العالمين؛ فقد نالوا عقوبات كثيرة ومتنوعة منها أن لعنهم الله، وباءوا بغضب على غضب، ومنها قسوة القلوب والطبع عليها، ومنها أن ضربت عليهم الذلة والمسكنة؛ وبالتأمل في أسباب تلك العقوبات تجد أن سببها الأكبر هو عدم التسليم لله تعالى، وتجاوز حدوده، ورفض العمل بهداه، وما أتى به أنبياؤه وأعلام الهداية ممن يختارهم الله هداة وقادة لعباده.

نخلص من كل ذلك الى قاعدة رئيسة وهامة، هي: "أن الإنسان عندما يخرج عن خط الاستقامة، وينحرف عن خط العبودية لله، يصبحُ عرضة لابتلاءات صعبة جداً، وعقوبات متعددة، وكل شيء وارد ومتوقع وفق سنن الله تعالى، أما إذا كان لا يزال مستقيماً وثابتاً في الطريق فإن أي ابتلاءات تفيده وتبني واقعه، وتصحح أخطاءه."

يقول الشهيد القائد السيد حسين بدرالدين الحوثي -رضوان الله عليه-: "**في قصة أصحاب القرية هذه:** ﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾ (الأعراف: من الآية١٦٣)**، قرية مطلة على البحر من قرى بني إسرائيل، أو قرى فيها يسكنها بنوا إسرائيل.** ﴿إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ﴾ (الأعراف: من الآية١٦٣)**، يتعدون ما فرض عليهم في يوم السبت أن لا يصطادوا السمك،** ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً﴾ (الأعراف: من الآية١٦٣) **فوق سطح الماء، وقريبة إلى الساحل، الحوت تأتي أمامهم هكذا،** ﴿وَيَوْمَ لا يَسْبِتُونَ لا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ (الأعراف: من الآية١٦٣)**...هؤلاء حصل لهم هذا الابتلاء، وذكر في سورة (المائدة) أيضاً:** ﴿لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (المائدة: من الآية٩٤) **هؤلاء أناس لم يحصل من جانبهم تسليم لله، حصل من عندهم تعدي في السبت، ربما كانوا يتعدون في السبت، وعندهم أنه اصطياد طبيعي، أو عندهم نية أن يتعدوا في السبت، وهم ما يزالون يصطادون بالطريقة العادية، فيأتي ابتلاء إلهي، تأتي الحيتان يوم سبتهم شرعاً، أمامهم على**

سطح الماء، ﴿وَيَوْمَ لا يَسْبِتُونَ﴾، يعني: ما بعد السبت لم يعد هناك شيء، قد صار مثل باقي الوقت، يحتاج إلى اصطياد بالطريقة العادية.

﴿كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾، الله حكى عن المؤمنين في آخر سورة (البقرة): ﴿رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلانَا﴾ (البقرة: من الآية٢٨٦)، أليست مشابهة تماماً لما حكى الله عن موسى: ﴿أَنْتَ وَلِيُّنَا﴾ (الأعراف: من الآية١٥٥) يعني أنت أولى بنا من نفوسنا، لا أمر لنا في نفوسنا معك، ﴿وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: من الآية٢٨٦). هنا يذكر ماذا؟ ﴿وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ نحن بشر، ونحن ضعاف، لا نثق بأنفسنا فيما لو تأتي ابتلاءات معينة.

القضية هذه لم يجعلها الله قضية غامضة بمعنى مثلاً أن الإنسان ربما قد يصفعه الباري، وهو لا يدري، لا، هناك أساسيات، هناك أساسيات فعلاً قد تبعدك عن ابتلاءات قد تضعف أمامها فيما لو وقعت، منها هذه، تكون أنت لا تثق بنفسك على الإطلاق، مهما بلغ إيمانك، مهما بلغت أعمالك الصالحة؛ لأن الشيء الطبيعي بالنسبة للإنسان إذا كان مستشعراً التسليم لله، وأنه عبد لله، أنه كلما كثرت عبادته لله، وكلما عظمت عبادته لله -سبحانه وتعالى-، كلما ازداد تسليمه.

فالعبادة هي أساساً عمل في عمق التسليم لله، وتجليات لتسليم الإنسان لله، لا تأتي العبادة لله على نحو كلما تعبد الإنسان لله كلما كبر عند نفسه، كلما كبرت نفسه عنده إلا عبادة من؟ الجاهلين، عبادة المغرورين؛ لأن الشيء الطبيعي أنه كلما كنت أكثر عبادة لله كلما كنت أكثر تسليماً لله.

لاحظ هنا نبي الله موسى في اللحظة هذه، تلاحظ تسليماً مطلقاً، لم يلتفت لنفسه أنه نبي، أو غير نبي، نفسه كعبد لله: ﴿أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾، لم يقل في نفسه: قد أنت نبي كيف لا يغفر لك وأنت نبي! لا يوجد عنده الفكرة هذه، منقطع تماماً في التسليم لله، والذي يسيطر على مشاعره العبودية لله -سبحانه وتعالى-." (٢٦)

الإنسان بطبيعته وتكوينه ضعيفٌ جداً، ويجب ألَّا يثق بنفسه مطلقاً، وأن يكون منقطعاً إلى الله في جميع أحواله، فيسأله أن يثبته ويهديه ويوفقه، ويسعى باستمرار إلى تزكية نفسه والارتقاء بها ايمانياً ومعرفياً، حتى لا يكون عرضة للابتلاءات التي تكون نتيجتها السقوط والخذلان والاستبدال؛ فالله الرحيم بعباده والرؤوف بهم لا

(٢٦) السيد حسين بدر الدين الحوثي، الدرس التاسع والعشرون من دروس رمضان، بتاريخ: ٢٩ رمضان ١٤٢٤هـ الموافق: ٢٣/ ١١/ ٢٠٠٣م

يريد لهم أن يظلوا، ولا يريد لهم أن ينحرفوا، وقد وفر لهم كل الوسائل التي تساعدهم على زكاء أنفسهم وهدايتها، وعندما يرفض الانسان كل ذلك، يصبح عرضة للعقاب الإلهي، فيسلب النور والبصيرة والتوفيق والهداية، وبالتالي يصبح ضالا ومخذولاً، ومطروداً من رحمة الله تعالى كالشيطان الرجيم.

يقول السيد حسين بدرالدين الحوثي -رضوان الله عليه- " **لا تأتي الابتلاءات بطريقة إلا وللإنسان من جهته هو أسبابها، الابتلاء الذي هو من هذا النوع، ابتلاء كما ذكر في موضوع الصيد في سورة (المائدة):** ﴿لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ﴾ (المائدة: من الآية٩٤) **والابتلاء الذي ذكره هنا بالنسبة لأهل القرية هذه:** ﴿كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ **يفسقون، الفسق، وهذا مثلما نقول دائماً: نحن نشكو من التغيير في المصطلحات، الكفر غيروا معناه، الضلال غيروا معناه، الهدى غيروا معناه، الفسق غيروا معناه، كل شيء تغير معناه.**

الفسق معناه: الخروج عن الطريقة الإلهية التي رسمها، الخروج عن هداه، الفسق قد يأتي وأنت لا تشعر، من هو ضال فهو يعتبر فاسقاً، بمعنى خارج عن الطريقة، متى ما خرج الإنسان عن الطريقة أصبح عرضة لأشياء كثيرة جداً، أما وهو في الطريق، وأن تكون فعلاً في الطريق تعرف أن الخط . إذا هم يعملون على الزفلت مثلاً أخطاط . فالخط الرئيسي في الطريق هو التسليم لله، فتكون مشاعرك على هذا النحو الذي حكاه الله عن نبيه موسى -صلوات الله عليه-. هنا لا تأتي ابتلاءات تخرجك أبداً، ابتلاءات مساعدة، ابتلاءات إلى الأفضل، ليست ابتلاءات تخرجك مخرج أبداً." [٢٧]

وحينما يتجاوز الانسان حدود الله، ويرفض أن يعبّد نفسه لله وفق ما يريد الله لا كما يريد هو، فالنتيجة المتوقعة هي السقوط والضلال وقسوة القلب، حتى وإن كان لديه معرفة واسعة ومعتقدات صحيحة دون مصداقية، فلن تشكل له معلوماته وابحاثه ضمانة أمام أي ابتلاء قد يتعرض له. ففي القرآن الكريم دعوة للمنتمين للإيمان أن يكونوا مؤمنين صادقين في إيمانهم، يقول الله تعالى. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ (النساء: من الآية١٣٦) .

ومشكلة الكثير من المنتمين للإيمان هي ثقتهم بأنفسهم والركون إلى صحة معتقداتهم وتوجهاتهم وكثرة مقروءاتهم دون عمل بمقتضاها ودون ارتقاء، فيحصل تهاون لديهم في مسار التزكية والارتقاء الايماني، وفي مسار الوعي والبصيرة، والبعض يُعرض كلياً عن الجهاد في سبيل الله وعن تحمل المسؤولية، فيأتي الاختبار الإلهي،

(٢٧) المصدر السابق

وقد أصبح لديهم اختلالات كبيرة، فيسقطون ويزيغون؛ والبعض قد ينحرف إلى مواقف لم يخطر في باله ان يصل اليها، وربما لم يكن أحدٌ من الناس يتصور أن ينحرف إلى ذلك الحد، ولذلك لا يجوز للإنسان وأن ينقطع الى نفسه فيثق بمستوى إيماني معين قد وصل إليه، ويرضى لنفسه أن يتوقف عند خط معين، مهما رأى أنه قد بلغ في الكمال الإيماني، فالارتقاء مطلوب مدى الحياة، وهذه الثقافة هي الثقافة التي كانت سائدة لدى الأنبياء والصالحين في كل عصر.

يقول السيد حسين بدرالدين الحوثي -رضوان الله عليه-: "**قد تكون تفسق وعندك معتقدات صحيحة بأشياء في مشاعرك أنت، مشاعرك أنت، عندك قصور في التسليم لله مثلاً، هذا يعتبر خروجاً عن الطريقة التي رسمها الله لعباده كيف يكونون عليها في نظرتهم لأنفسهم، كيف يكونون هم في وجدانهم، في مشاعرهم، في وجدانهم الداخلي، كيف تكون نظرتهم إلى أنفسهم، فِسْق عنها، تكون معرضاً لابتلاءات قد تخرجك فعلاً، ليتبين لك بأنك لا تستطيع أن تشكل ضمانة لنفسك، كيفما كنت، لا تستطيع أن تشكل ضمانة لنفسك على الإطلاق.**" [٢٨]

ومن الأمراض النفسية الخطيرة التي تسقط الإنسان وتسبب له والخذلان، حالات الغرور والرياء والكبر التي تشوب عبادة الإنسان وأعماله، فهي من الآفات التي تؤثر على استقامة الانسان، وقد تسقطه وتخرجه عن خط الحق وتسبب له المؤاخذة ولا سيما مع القصور التربوي والثقافي.

وتكمن خطورتها في أنها تؤسس لحالة الرفض لأوامر الله والتسليم لما هدى إليه، وتدفع الإنسان إلى ممارسات تتنافى مع العبودية لله، فالمستكبر يرفض أوامر الله ويعترض على حكمة الله، ويبدي الكثير من الملاحظات على تعليمات الله التي لا تنسجم مع هواه، سواء في المنهج أو القيادة، ويريد أن يسلم لله بالقدر الذي لا يتعارض مع رغباته الشخصية وميوله النفسي.

وفي عصرنا الحاضر وجدنا الكثير ممن انحرفوا عن خط الاستقامة بعد علم ومعرفة، أو ممن واجهوا الحق من يومه الأول، كانت إشكاليتهم نفسية بالدرجة الأولى، في مقدمتها الكبر، فدفعهم ذلك إلى عدم الإذعان لله، ورفض التولي لمن أراد الله توليهم.

ويستهين البعض بهذه الآفة، فينسى أن الكبر هو شيطان الشيطان، وهو السبب في سقوط إبليس وتحوله من عابد لله إلى رمز للشر لدى كل فئات البشر.

والكبر هو من اشد المعاصي، وهذا ما يغفل عنه كثير من الناس، فالشيطان لم

(٢٨) المصدر السابق نفسه

يسرق ولم يزن ولم يقطع الصلاة، لكنه كان مستكبراً ورافضاً أوامر الله، ومعترضاً على توجيهات الله، حاله حال الكثير ممن يستجيبون استجابة جزئية ويرفضون معظم توجيهات الله.

والكبر والعجب ليسا منحصراً في فئة معينة من الناس، فقد يصيب الإنسان حتى وإن كان عابداً أو عالماً أو مثقفاً، عندما يعجب بعبادته، أو يغتر بكثرة استغفاره، أو يستكبر عن اتباع أعلام الهدى، نتيجة اطلاعه وكثرة مقروءاته.

والكبر داء قد يصاب به الأشخاص الذين يحقق الله على أيديهم إنجازات وانتصارات، عندما يتجاهلون فضل الله عليهم، ينسبون الفضل إلى أنفسهم، ويغرقون في أنفسهم، ويتعاظمون شخصياتهم، ومشاعر الكبر هي بوابة من أبواب النفاق؛ وبالتالي يجب أن يكون لدى الانسان حرص على أن يتزكى ويصقل نفسه ويهذبها بذكر الله، ويستحضر باستمرار أنه عبدٌ لله، ويبقى مستشعراً تقصيره على الدوام، وأن يكون في حالة النصر والانجاز ذائباً في تنزيه الله، فيزداد إذعاناً لله وشكراً له أن وفقه، ويدعوا الله أن يتقبل عمله ويغفر له تقصيره.

يقول السيد حسين بدرالدين الحوثي -رضوان الله عليه-: "**عندما تتعبد تتعبد، وكلما تعبدت لله بفرائض ونوافل، وأشياء من هذه، كلما رأيت نفسك تكبر وتكبر أنت عند نفسك هنا ستسقط إلى الحضيض، ستسقط إلى الحضيض فعلاً، تعبَّد لله وأنت في الطريق، لا يكن تعبُّد الفاسق؛ لأن كلمة فسق في اللغة العربية بمعنى: خرج عن الشيء، الخروج التلقائي، أو الخروج المتعمد، أو كيفما كان، الفسق معناه: الخروج عن الجادة، أو الخروج عن الشيء الذي كان يجب أن يكون عليه.**" [٢٩]

يتجه بعض الناس في مقام العبودية لله والطاعة لله ويتحرك على نحوٍ خاطئ، سواء من خلال تجاوزات ومخالفات لله تعالى، أو من خلال الاحتفاظ بحالة من حالات الانحراف وإن كانت لا تزال في أعماق النفس، وقد يستمر على هذه الحالة حتى يصل إلى محك يمثل ابتلاء، عند ذلك يظهر الخلل ويترجم إلى واقع عملي.

ومن أبرز الأمثلة لذلك إبليس الرجيم، عندما أمره الله أن يسجد لآدم ﴿أَبَى أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ (الحجر٣١) وأخرج ذلك الامتحان ما خبأه في نفسه من الغرور والعجب والكبر، رغم انه استمر على عبادته آلاف السنين، فكانت النتيجة أن عاقبه الله وخسر ماضيه العبادي، وطُرد من رحمة الله واصبح ملعوناً وعدواً لله تعالى.

(٢٩) المصدر السابق نفسه

ومشكلته مع طول مدة العبادة، أنه بدلاً من أن يعظُم الله في نفسه، كانت تعظم نفسه لديه، ويرى عبادته الكثيرة رصيداً تعظم به نفسه، وأصيب بحالة من الانتفاخ كالبالونة التي تكبر وتعظم حتى تنفجر.

يقول الشهيد القائد -رضوان الله عليه- : **"إبليس نفس الشيء تعرض لامتحان من هذا النوع، من هذا النوع، تجد أنه كان في صفوف الملائكة نحواً من ستة آلاف سنة، يعبد الله -سبحانه وتعالى-، لكن حتى الملائكة أنفسهم يتعرضون إلى ابتلاء من هذا النوع، وحتى الأنبياء أنفسهم يتعرضون إلى ابتلاء من هذا النوع، الابتلاء الذي ينسف التعالي، ينسف التعالي، استسلام كامل لله -سبحانه وتعالى-، الله لما خلق آدم أمر الملائكة كلهم أجمعين بالسجود لآدم، الملائكة يحملون عقولاً كبيرة، ووعياً، وفهماً، ويعرفون معنى عبوديتهم لله -سبحانه وتعالى-، استجابوا، استجابوا، لم يقولوا هذا خلق من تراب ونحن خلقنا من نور، والنور أفضل من التراب، ولا يمكن، و .. و. لا، إبليس وحده استكبر، استكبر، ورفض أن يسجد لآدم بعد أمر الله -سبحانه وتعالى- ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (ص:٧٤).**

سقط في الامتحان أيضاً وكذب في ادعائه العبودية لله التي ظل عليها ستة آلاف سنة، فترة ليست قصيرة، ليست بسيطة، تفلسف لنفسه بما يعزز لديه الشعور بالتعالي، الاحتفاظ بشعور التعالي لديه! ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ (الأعراف: من الآية١٢) لا يمكن، واقتنع بهذا المبرر! الإنسان نفسه قد يصل إلى هذه الحالة، قد تقف أمام تشريع إلهي، أو ابتلاء إلهي من هذا النوع، فتأتي لتتفلسف لنفسك، وتخترع مبرراً معيناً تكرره على ذهنيتك، وتقتنع به اقتناعاً سطحياً؛ لتحتفظ بما، توجه الابتلاء الإلهي إلى ضربه."[٣٠]

وهذا يقودنا إلى أن نلتجئ إلى الله ونسأله التوفيق والهداية، ونسعى إلى بناء واقعنا على الإذعان لله والتسليم لأمره، سواءً وافق هوانا أو لم يوافقه، وأن نستشعر التقصير باستمرار مهما قدمنا ومهما فعلنا فنحن لا نزال مقصرين، وكلما قطعنا شوطاً في مشوارنا الإيماني والعبادي لله -سبحانه وتعالى- نزداد معه شعوراً بالمزيد من الصغر أمام الله ، ويزداد الله في نفوسنا عظمة وجلالة، ونزداد خضوعاً وإذعاناً وتسليماً وطاعةً وانقياداً لله واستقامةً عملية، وهذا هو الاتجاه الصحيح الذي سار عليه الأنبياء، وهذا هو مسار أولياء الله.

ونحن نجد أن الإمام علياً -عليه السلام- وهو في آخر حياته بعد مرحلة عظيمة ومتميزة من الذوبان في الله -سبحانه وتعالى-، والتسليم لأمر الله، والجهاد في سبيل

(٣٠) السيد/ حسين بدر الدين الحوثي، إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا، مصدر سابق

الله، وبعد ما قدم المواقف الراقية والعظيمة، التي لا يساويه فيها أحدٌ من المسلمين بعد رسول الله -صلوات الله عليه وعلى آله-، نجده في أواخر عمره يقف في مقامات يبكي ويتضرع إلى الله، ويدعوه أن يغفر له، ويخاف من عقاب الله، لا يشعر بمقدار ذرة من العظمة الشخصية، والكبر والتعالي على الله وعلى عباده، ولم يعرف مطلقاً الغرق في الذات، مع أن لديه ما يفتخر به وما يتباهى به، لكنه يدرك وبتوفيق الله له، أن الغرق في الذات يؤدي إلى السقوط والخروج عن دائرة الإيمان، وخط الاستقامة، وان تلك السلوكيات تعرضه لعقوبة كبيرة.

يقول السيد حسين بدرالدين الحوثي -رضوان الله عليه-:" **أخطر شيء على الإنسان هو عندما يكون غارقاً في ذاتيته، في نفسيته، هذه هي المشكلة الكبيرة، مثلما إبليس، أخذ يتعبد، ومعارف، وأشياء من هذه، وفي مقام هناك مع الملائكة لكنه شخص غارق في ذاتيته! كل سنة، كل سنتين، وكل قرن وهو يلتفت إلى نفسه، وهذه هي التي جعلته في الأخير يسقط.**

لكن الإنسان إذا بداياته صحيحة، ونفسه هو يثبِّت نفسه بأنه هكذا، ما هناك مجال لأن يغرق في ذاتيته، يفهم واحد بأن الباري لا يأتي (يخلطف)[٣١] لأوليائه أبداً، أذا أنت تسير على طريقة صحيحة عشرات السنين بحيث أنه لم يبق بينك وبين الجنة؛ (إلا شبراً أو ذراعاً) مثلما في ذاك الحديث، وفي الأخير يمكر لك، ويخلطف لك ليدخلك جهنم هذا غير صحيح!

يأتي تثبيت إلهي، تثبيت متواصل، لكن إذا فيك خلل، إذا كان يوجد عندك بذرة خلل لا بد ما تكبر، وفي الأخير تغرق في الضلال؛ لهذا ربطت الأشياء هذه كلها أن الله يقول للناس هم يسلِّموا أنفسهم إليه، وما لهم دخل من نفوسهم، هو سيجعل في دينه رفعة لهم، عظمة لهم، مجداً لهم، سمواً لهم." [٣٢]

(٣١) يعرقل ويمكر

(٣٢)السيد/ حسين بدر الدين الحوثي، الدرس السادس من دروس مديح القرآن، تاريخ٢ ربيع الثاني ١٤٢٤هـ الموافق: ٢/ ٦/ ٢٠٠٣م

عوامل الاستقامة

وأسبـــاب الانحـراف والسقوط

الفصل الثالث:

أسـباب الانحراف والسـقوط

﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ
وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً
فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾(الجاثية : ٢٣)

مدخل

ظلت أمتنا الإسلامية على مَرِّ التاريـخ -وإلى اليوم- تعاني من الظلم والاضطهاد، حتى صار القهر والأسى حالاً ملازماً لها، وباتت الأحداث المأساوية والوحشية سمة لصيقة بها، وأصبح الإجرام والطغيان الشامل هو المتحكم فيها والمهيمن عليها، وهو من يرسم معالم واقعها.

ومن الغريب أن يحدث ذلك في أمةٍ تنتمي إلى الإسلام وتدَّعي الإيمان، الذي ينبغي أن تكون ثمرة الانتماء إليه والتمسك به، عبوديةً لله وسمعاً وطاعة وارتباطاً عملياً صحيحاً بالقدوة، والتزاماً بالأخلاق وتحلياً بالقيم، وزكاءً في النفوس وطهارة في القلوب، واستقامة في السلوك وصلاحاً في العمل وسداداً في القول؛ وبالتالي إقامة العدل ونشر الخير والأمر بالمعروف وصلاح الحياة.

فما الذي أوصل امتنا لهذا الحال؟ ولماذا حل بها الشقاء والأسى والاضطهاد؟ ولماذا طغت المأساة في ماضينا وفي حاضرنا؟

إنَّ المتأمل في الماضي والحاضر، يدرك أن مشكلة الأمة هي في الانحراف الذي شاب انتمائها للإسلام، في منهجه وفي رموزه وفي أخلاقه وقِيَمِه وفي مبادئه، واقتصارها على الشكليات وبعض العبادات المحدودة، فصار الدين شكلاً لا مضمون له، وغابت ثمرة الإسلام من حياتها، وضاعت الكثير من الأساسيات، وأُبعدت عن المنهج وعن الرموز الحقيقيين.

وبالتالي يجب أن تبدأ عملية التصحيح في الذهنية لدى الفرد المسلم بالإنتماء الصحيح للإسلام الذي يُثمر أثراً عظيماً ومختلفاً عن الأثر الذي طغى على واقع حياة أُمتنا.

إن الانتماء الصحيح إلى الإسلام هو ميثاقٌ بين الإنسانِ وربِّه على السمع والطاعة والالتزام التام بالسير على نهجه والتقبل لأمره والانتهاء عما نهى عنه، لذلك ينبغي أن يلتفت الإنسان إلى أهمية الصدق مع الله والارتباط الوثيق به، وان لا يبني الإنسان مسيرته وتوجهاته الإيمانية على الزيف، وأن لا يغش أو يخادع نفسه، من دون ارتباطٍ وثيقٍ بالله -سبحانه وتعالى-، وأن يأخذ بأسباب التوفيق تفادياً للسقوط والانحراف.

وبما أننا نعيش اليوم مرحلة خطيرة، ونواجه تحديات كبيرة، لا تقل عن الفتن التي حدثت في الماضي، بل هي أعظم وأكبر، ولا يستبعد أننا نعيش العصر الذي قال عنه الرسول -صلى الله عليه وعلى اله وسلم-: "**يكون في آخر الزمان فتن كقطع**

الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا، ويمسي مؤمنا، ويصبح كافرا." والعوامل نفسها التي أدَّت إلى سقوط الآلاف من ذلك المجتمع الذي كان يحكمه الامام علي -عليه السلام-، ومجتمع مدينة الرسول -صلوات الله عليه وعلى آله-، وبقية المجتمعات الإسلامية، هي العوامل التي نعاني منها اليوم، لا فرق سوى أن العدو امتلك وسائل وأساليب وإمكانات أضخم وأكثر وأفتك مما مضى.

من جانب آخر قد تكون الضربات علينا أشد، والعقوبات أقسى، فأمامنا رصيد تاريخي فيه من العبرة والدروس ما يجعلنا أرقى الأمم وعياً وإيماناً وثباتاً واستقامة، وقد تلقينا من الهدى والوعي والبصيرة ما لم تحصل عليه أمة من الأمم في التاريـخ البشري، وشاهدنا آيات الله تتحقق أمام أعيننا، فرأينا نصر الله وتمكينه للمستضعفين، وإهلاكه للطواغيت والمستكبرين، ولمسنا بركة هدى الله في أنفسنا، وعشنا نتائجه في واقعنا عزة وكرامة وحرية.

وامام كل ذلك يجب أن نسعى إلى بناء واقعنا الإيماني، ونحرص على الارتقاء المستمر وندرك خطورة التقصير والتهاون والتفريط، وأثره في إسقاط الإنسان أمام أي اختبارات أو تحديات قد يُفاجأ بها وهو غير مستعدٍ لها.

وبما أن عوامل السقوط في كل عصر وزمان هي نفسها لا تتغير ولا تتبدل، يمكن تلخيصها في عاملين رئيسيين، الخلل في البصيرة، والخلل في السلوك والعمل، وكما أسلفنا في بداية الفصل الأول ما قاله السيد القائد -يحفظه الله-: "**حالة الانحراف لها عاملان أساسيان: إما خلل في البصيرة، خلل في البصيرة عندما يحصل عند الإنسان فهم مغلوط، أو سوء فهم لبعض الأمور، أو عدم فهم لأمور مهمة جداً، فعنده مشكلة في الفهم، وعنده مشكلة في الوعي، وعنده مشكلة في تصوّر مغلوط أو فكرة غلط، وهذا يؤدي بالإنسان أحياناً أن ينحرف، ويتجه إتجاهاً غير صحيح.**

والعامل الثاني: خلل في السلوك والعمل ولو مع وجود البصيرة والذي يسبب عمى. فالإنسان (عندما) يعمل أشياء وهو يعرف أنها غلط أو ذنب أو معصية، ولا يتقى الله، سيفقد الهداية، (إذا فقد التقوى سيفقد حتى الهداية). ويمكن أنه حتى يضل وينحرف، وفيما بعد يتصوّر أن الغلط صواب، وأن الحق باطل، تنعكس عنده حتى المعايير نفسها، عندها ينحرف إلى درجة أن الله يخذله ويضله." [1] ومن خلال الآتيه، حاولنا الاقتراب من معرفة أهم عوامل الانحراف وأسباب السقوط كما يلي.

(١) السيد عبد الملك بدر الدين الحوثي، محاضرة أسباب التوفيق، مصدر سابق

العامل الأول: الخلل في البصيرة

يُعد الموقف السلبي من هدى الله أساس الخلل في البصيرة، حيث يترتب على التعاطي السلبي مع هدى الله وعدم التفاعل معه والاستجابة السريعة خلل كبير في الوعي والبصيرة، وفي السلوك ومستوى الاندفاع؛ ومشكلة الكثيرُ من الناس في كل زمان هي التعامل مع هدى الله بمزاج وتهاون دون تفهم والتزام وتقدير، وعدم تنبه لمخاطر تلك الحالة وما يترتب عليها من عقوبات،ونتائجَ تصل بالإنسان إلى أن يقسو قلبه، ويطبع الله عليه ويضلَّه، ثم يسلبه النور والبصيرة والتوفيق والهداية وصولاً إلى الخذلان من الله تعالى، فيعيش حالةَ العمى والضلال والغباء في نظرته للواقع وتقييمه للقضايا، وفهمه للأحداث، وتصبح الأمور مقلوبةً في نظره.

فيرى الحق باطلاً والباطل حقاً، ويصبح فاقداً للتعظيم والتقديس لهدى الله، وغير مستفيدٍ منه سواء في مشاعره أَو في وعيه، وهذا هو ما حصل لبني إسرائيل كنتيجة طبيعية لعصيانهم أنبياء الله وإعراضهم عن هداه، يقولُ اللهُ -تَعَالَى-: ﴿لَقَدْ أَخذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إسرائيل وَأَرسلنَا إِلَيْهِمْ رُسُلاً كُلَّمَا جَاءهُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أنفسهُمْ فَرِيقاً كَذَّبُواْ وَفَرِيقاً يَقْتُلُونَ﴾ (المائدة: ٧٠).

يقولُ الشهيدُ القائدُ السيد حسين بدر الدين الحوثي -رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِ-: "**هذه حالة يبدو قائمة عند الكثير من الناس، عندَه أَنَّه يمكن أن ينصرف عن هدى الله، وعن بيناته، ويعتقد (أَنَّ ما هناك خلة)** ﴿وَحَسِبُواْ أَلاَّ تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ اللّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ (المائدة: ٧١) **انتهت المسألة إلى ماذا؟** ﴿وَطَبَعَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ (التوبة من الآية: ٩٣) **فعموا وصموا منهم، ومتى ما عمي الناس وصموا.. لاحظ كيف يقدم لك هؤلاء؟ قضية خطيرة جِداً، لا يعد يهتدي الإنسان للصواب، ولا يعد لشيء من هدى الله قيمة لديه، وإن كان يفهم، انتهى الموضوع** ﴿عَمُواْ وَصَمُّواْ﴾ **تاب عليهم عسى أن.. لم ينفع** ﴿عَمُواْ وَصَمُّواْ﴾ **في الأخير قال بعد عندما قالوا** ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾: ﴿بَلْ طَبَعَ اللّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ

"

يقول السيد عبد الملك بدرالدين الحوثي: "وعوامل السقوط أمام الاختبار الإلهي، أمام الأحداث والمتغيرات، عوامل السقوط هي واحدة أمام كل حدث في كل عصر وفي أي زمن، عوامل واحدة، أساسها الموقف السلبي من هدى الله -سبحانه وتعالى- عندما يكون موقفاً سلبياً، عندما لا يرتبط الإنسان بهدى الله الارتباط الوثيق، ارتباط الاهتداء والاستبصار والتمسك، والاتباع،

﴿فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قليلًا﴾(النساء من الآية: ١٥٥)»، [٢] وعندما يصل الإنسان لهذه الحالة من العمى، يصبح قابلا للانحراف والارتباك العملي والارتياب أمام أي شبهة أو دعاية او شائعة، ويصبح من السهل تضليله واستغفاله وخداعه، ويعيش في واقعه حالة من الجهل والغباء والحيرة والسطحية، ويتفرع من هذا الخلل في البصيرة أمورٌ متعددة كالتضليل، والتأثر بالدعايات الإعلامية الكاذبة، والخوف من الإرجاف، وغيرها من المشاكل التي تحل بديلا عن الوعي والبصيرة.

أولا: التضليل

قدَّم اللهُ اليَهُودَ والنصارى في القرآنِ الكريم فئةً تمثلُ خطورةً بالغةً على البشرية من حولها وعلينا نحن المسلمين بوجه خاص، وتحدث عن مخطّطاتها وأهدافها وأسلوب تفكيرها، ومن أبرز ما تسعى لتحقيقه في مواجهة المسلمين هو الإضلال لهم واعادتهم الى الكفر، يقولُ اللهُ -جل شأنه-: ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾ (سورة النساء - الآية ٤٤).

وخطورة التضليل أنَّه يأتي في قوالبَ جذابةٍ، وتحت عناوينَ براقة، وبأساليبَ مخادعةٍ، وبوسائل وتقنيات متطورة، والنفس الإنسانية بفطرتها تتأثر بما يغزوها من المنافذ الخارجية إذا لم تكن محصنة بالوعي والإيمان، خَاصَّةً إذَا كان الغزوُ بوسائلَ ناعمة ومخادعة، ويتجه بالدرجة الأولى إلى النفوسِ، وَإلى القناعات ومتى ما فسدت النفوسُ، وتغيّرت القناعات يضيع الإنسان وينحرف ويصبح العدو هو المتحكم في مواقفه، وهو من يصنع توجهاته وولاءاته وعداواته؛ لأنَّه ينفصل عن الله وهدايته ويُدخِلُه الضلالُ في متاهات تضُرُّه في الدنيا والآخرة، وتعميه عن فهم أساليب العدو وطرق مواجهته.

والتضليل اليوم يُقدم تحت مختلف العناوين، فالأعداء يخادعون الأمة بعناوين إنسانية وخدمية، من خلال كثير من المشاريـع والمساعدات الإغاثية، ويخادعون تحت العناوين السياسية كمحاربة الإرهاب ونشر الحرية والديمقراطية، ويضلون الامة بعناوينَ ثقافية وحضارية واجتماعية، كعنوان التقدم والتطور والتمدن والرقي، وعنوان السلام والتعايش ونبذ العنف، كما هو الحال في دعواتهم لنزع السلاح ونزع الحجاب، إضافة إلى العناوين الحقوقية، كالدفاع عن الأقليات وحقوق المرأة وتخفيف النزاعات وإرساء العدالة والمساواة، فضلاً عن تضليل الأمة وخداعها بالعناوين الدينية من خلال صناعة الرموز والعقائد الإلحادية والمذاهب والجماعات الضالة، ومن خلال إصدار الفتاوى التي تهيئ للتطبيع مع العدو الإسرائيلي كعنوان

(٢) السيد حسين بدر الدين الحوثي، «الدرس الثالث والعشرون من دروس رمضان»، (مرجع سبق ذكره).

الوسطية والاعتدال والقبول بالآخر والإبراهيمية، اضف لذلك إضلالهم فيما يتعلق بالجوانب الإيمانية ومحاولة صرف الأمة عن إيمانها، وفصل شؤون حياتها عن الدين، وتصوير الإسلام أنه سبب رئيس في مشاكل الأمة ومعاناتها.

ونتيجة لانعدام الوعي لدى نسبة كبيرة من المسلمين، أمكن للعدو أن يخدعهم وأن يؤثر عليهم ويحولهم إلى أعوان وجنود، يحركهم في الاتجاه الذي يريده، دون أي منعة تحميهم، أو وقاية تحصنهم من خداعه وشائعاته.

يقول السيد عبد الملك بدرالدين الحوثي: "**وعوامل السقوط أمام الاختبار الإلهي، أمام الأحداث والمتغيرات، عوامل السقوط هي واحدة أمام كل حدث في كل عصر وفي أي زمن، عوامل واحدة، أساسها الموقف السلبي من هدى الله -سبحانه وتعالى- عندما يكون موقفاً سلبياً، عندما لا يرتبط الإنسان بهدى الله الارتباط الوثيق، ارتباط الاهتداء والاستبصار والتمسك، والاتباع، والاستفادة منه في الواقع التربوي لزكاء النفس وطهارة القلب، يتفرع عن هذا العامل الأساسي عوامل متعددة في مقدمتها التضليل.**

التضليل للإنسان عندما لا يتحصَّن الإنسان بهدى الله يكون لديه قابلية كبيرة لأن يتأثر بما يصدر من الآخرين، ما يصدر من تضليل، من أباطيل، من دعايات، فيكون عُرضةً للتأثر بهم، والسلوك في نهجهم، والاتباع لهم، والكون في معيتهم." [٣]

ثانياً:الدعايات والشائعات

تعتبر الدعايات والشائعات من أخطر أساليب التضليل، حيث تقوم وسائل إعلام الأعداء ببث الدعايات المكذوبة وتسريب المعلومات المغلوطة ونشر الأخبار الملغومة؛ بهدف إثارة البلبلة والتثبيط والتخذيل وإثارة الشك والارتياب في الموقف الحق، وبهدف صرف الناس عن التوجه الصحيح، وإخراج الكثير عن المعركة والميدان الحقيقي، وإثارة الخلافات وافتعال الأزمات وشق صفوف الجبهة الداخلية، وعادة ما تكون الشائعات مرتبطة بأسلوب الإرجاف والتهويل، لكسر الروح المعنوية ونشر حالة الضعف والإحباط، وعندما ينعدم الوعي والإيمان، تنتشر وتؤثر وتخلخل كيان الامة الداخلي، ويصبح لها مفاعيل تفوق -أحياناً- تأثير الأسلحة والجيوش العسكرية، و أغلب أعلام الهدى، لم تكن مشكلتهم في قلة الجيوش أو الإقبال عليهم، بقدر ما كانت الإشكالية في نقص الوعي وعدم التفهُّم لما يقدم من قبلهم، فتسببت في الكثير من النكبات والمآسي التي كانت تصل الى استشهاد أعلام الهدى، وينتصر العدو في نهاية

(٣) ذكرى عاشوراء ٦ محرَّم ١٤٣٤هـ للسيد عبد الملك بدرالدين الحوثي ، مصدر سابق.

المطاف، مع الفارق بين عدو الأمس واليوم، فقد أصبح المستفيد اليوم من أي قصور وعي، هم اليهود.

يقول السيد عبد الملك بدر الدين الحوثي: "**البعض تؤثر فيهم عوامل معينة، عوامل دعائية معينة، بعض المجتمعات يفعلون فيهم مشاكل أو قضايا معينة، وتكون مدخلا للتأثير عليهم، أو عقد نفسية معينة، وتكون مدخل أيضاً للتأثير. الإنسان الذي هو قاصر الوعي ناقص الإيمان المداخل عليه كثيرة، وقابل للتأثير، قابل أن يتأثر بسرعة، يعرفون أي مدخل من مداخل التأثير عليه، وبسرعة يستطيعون التأثير عليه، الكثير أيضاً يكونون عرضة للتأثر بالدعايات، دعايات معينة وبسرعة يتأثرون بها وينساقون للباطل.**

هنا يتحدث عن تجارب مهمة جداً، الذين كانوا تحت راية الإمام علي، عشرات الألاف تحت راية الإمام علي -عليه السلام- لم يستطع العدو أن يهزمهم بالقوة، لكنه هزمهم وفرقهم وشتتهم وأضعفهم بالدعاية والتأثير، خدعوا وتأثروا وتمكن من التضليل لكثير منهم، لم يستطع بالقوة بالقتل والقتال أن يهزمهم، ثبتوا، استبسلوا وقاتلوا باستبسال كبير.

من يطالع في كتب التاريخ ويعرف كيف كان ثبات جيش الإمام علي -عليه السلام- في معركة صفين، ثباتاً كبيراً وصموداً واستبسالاً ومعارك كبيرة جداً، وقتال عنيف، وتقديم الألاف من الشهداء، لكن في نهاية المطاف خدع الكثير منهم بدعاية، دعاية واحدة أثرت على الألاف منهم، فأوهنوا الجيش وأضعفوه، وفرضوا عليه أن يتراجع عند مرحلة النصر، عندما أصبح جيش الإمام علي -عليه السلام- على مقربة من النصر، انشق عنه الآلاف الذين خدعوا وتأثروا بدعاية واحدة، فأثروا على الجيش وشقوا صف الجيش، وضغطوا على أن يتراجع الجيش، كان تأثير دعاية واحدة نتيجة القصور في الوعي أكثر من تأثير معارك وقتل وقتال عنيف استمر لفترة طويلة.

تحت راية الحسن تلاشى جيش الإمام الحسن من دون معركة، من دون قتال، جيش كامل تلاشى بالدعايات، حورب بالدعايات حتى تلاشى وتفتت. أهل الكوفة في عصر الإمام الحسين -عليه السلام- الألاف الذين كانوا قد بايعوا الإمام الحسين -عليه السلام- وتخاذلوا وتفرقوا.

الواقع أيضاً في عصر الإمام زيد -عليه السلام- تجربة طويلة على مر التاريخ، أمامنا في هذا الزمن رصيد كبير من التجارب، لا يجوز لا يجوز أيها الأخوة أن نكرر تلك التجارب، لا ينبغي أبداً أن نكون أهل الكوفة رقم ثلاثة، أو رقم أربعة، أو أي رقم، نحرص على أن نكون مؤمنين واعين، مستبصرين بهدى الله، لا يتمكن العدو بكل

أساليبه الماكرة، بكل خداعة، بكل وسائل التضليل التي يمتلكها، بكل عوامل التأثير التي يتحرك بها ،لا يستطيع أن يؤثر علينا أبداً، هذا ما يشرفنا عند الله، وهذا ما سيكون عامل نجاح كبير لنا، هذا شيء مهم.

نحن في مرحلة خطيرة، الآن المرحلة أخطر من ذلك الزمان، أن يخدع الإنسان في هذا العصر يتحول إلى ألعوبة بيد اليهود والعياذ بالله."[٤]

ثالثاً: التخويف والإرجاف

يتكرر اليوم بشكل أو بآخر ما حدث في العصور الماضية، مع الفارق الكبير في الأساليب والوسائل ومستوى التأثير، حيث استطاع الأعداء تطوير أساليبهم ووسائلهم ومختلف قدراتهم التضليلية، ومن خلال تلك الأدوات والوسائل يحركون حالة اللوم والتثبيط والإرجاف ضد الامة، ويزرعون الوهن واليأس والإحباط في نفوس المسلمين، بواسطة الكثير من الأبواق والأقلام وأصحاب الفتاوى، والمؤلفين والباحثين والأكاديميين من أبناء الامة، الذين يتحركون عن طريق التثقيف والتحليل السياسي، ومن خلال المنابر الثقافية والإعلامية، وبالذات مع طفرة التكنولوجيا، وامتلاك العدو الوسائل الاعلامية من قنوات فضائية، ومواقع انترنت، ومواقع التواصل الاجتماعي، فضلاً عن أنشطته الاستخباراتية، الهادفة لنشر الدعايات والشائعات المكذوبة، والتأثير على النفوس وإخراج الكثير عن خط الاستقامة وابعادهم عن موقف الحق.

ومن خلال تلك الوسائل يوظف الأعداء مختلف العناوين لشن الدعايات وبث الشائعات، وحشد الضغط النفسي عن طريق الترغيب والترهيب، وفي مواجهة المشروع القرآني نرى ذلك بارزاً -منذ اليوم الأول- حيث اعتمد الأعداء بشكل أساس على اللوم والأكاذيب والأباطيل؛ فوجهوا للمشروع القرآني الاتهامات الباطلة، ونسبوا للمنتمين إليه أسوء الجرائم، ووزعوا آلاف الكتيبات المليئة بالأكاذيب بعضها تحت عناوين مذهبية وطائفية، وبعضها تحت عناوين سياسية، وأتى اللوم تحت عنوان الإضرار بالمصلحة الوطنية، وعنوان الإنسانية والشفقة والحرص على الناس، فهناك من يلومك بعنوان سياسي ويصور تحركك أنه خطر على النظام الجمهوري ويؤثر على مصالح اليمن، وهناك من يلومك بعنوان ديني أنك تسيء إلى الصحابة وتضر بالمذهب وتجني على الإسلام، ومن يلومك بتبخيس عملك وتقليل أهميته وتحجيم المكاسب والانجازات باعتبار أنه عمل ليس له جدوى ولا قيمة له، وقد

(٤)السيد عبد الملك بدرالدين الحوثي، الدرس السادس من دروس مكارم الأخلاق، ١٤٣٤هـ

تأثر بذلك قاصري الوعي وضعيفي الايمان.

وعندما شن التحالف الأمريكي والسعودي عدوانه على اليمن (٦جمادى الثاني ١٤٣٦هـ الموافق ٢٦مارس٢٠١٥م) كان اللوم والتخويف والارجاف مترافقاً مع العدوان العسكري منذ الضربة الأولى، وتوالت الإدانات السياسية والدينية، واختلقوا الكثير من الافتراءات المتنوعة لغرض التشويه والتشكيك، ولغرض الحرب النفسية وخلق حالة من الحيرة والارتباك، والترهيب لإبعاد الناس عن الالتفاف حول هذا المشروع، وتخويفهم وإرجافهم وكسر معنوياتهم وإيجاد حالة من الرهبة وفرض حالة الذل والاستسلام.

وقد تعرض اليمن لما يقارب نصف مليون غارة جوية، وعندما يقوم الجيش اليمني بالرد تأتي الإدانات السياسية، وعبارات الشجب والتنديد، بدءاً من وزير الخارجية الأمريكي ومن يلحق به من وزراء الخارجية في الدول العربية وبعض البلدان الإسلامية، وعلى مستوى المنظمات تأتي الإدانات من الأمم المتحدة، وبعض المنظمات العربية، كمنظمة الجامعة العربية، بشكل يستنكر رد اليمنيين ودفاعهم عن بلدهم.

أضف الى ذلك اللوم تحت عناوين دينية متعددة، ومن ضمن الأكاذيب التي اختلقوها وأصبحت عنواناً يوجهون اللوم تحته هي محاولة (استهداف الكعبة)؛ وانساقت مع هذه الأكاذيب كثير من المنظمات الدينية، فانطلقت الإدانات وتعددت التصريحات من الجهات الدينية والسياسية والإعلامية!

وبفضل الله تعالى كان الوعي والإيمان هو الجدار المنيع الذي حمى الشعب اليمني، وحصن جمهور المسيرة القرآنية من الخوف والتراجع، بينما سقط الكثير من قاصري الوعي وضعيفي الإيمان، وانحرف بعضهم عن موقف الحق، والبعض الآخر تحول الى معادٍ للموقف الحق؛ نتيجة المخاوف والرهبة والاضطراب التي صنعتها مطابخ العدو الإعلامية والسياسية والفكرية.

يقول السيد عبد الملك بدر الدين الحوثي: " **عامل الخوف أيضاً هو عامل مؤثرٌ سلباً في الكثير من الناس، فالكثير ينقصهم الخوف من الله -سبحانه وتعالى- الذي من الحق والواجب أن نخاف منه فوق كل شيء.** ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران:١٧٥) ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهَ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (التوبة:١٣) **لكن هذا العامل عند قاصري الوعي وناقصي الإيمان كان مؤثراً.**

لقد كفى هذه النوعية من الناس داخل الكُوْفَة دعاية. دعاية أخافتهم. أخافتهم وجعلهم ينطلقون بالآلاف وهم حريصون على أن يُنفِّذوا مهمتهم الإجرامية

القذرة بحق سبط رسول الله وأُسرته ومن معه من أتباعه الأبرار الأوفياء، وبكل جِدّ وحريصين أن لا يقصروا، أن لا يُتهموا بالتقصير فيعاقبوا، كفاهم دعاية واحدة.

نشر ابن زياد دعاية في الكُوْفَة: أن جيش الشام قادم، وأنكم إن لم تخرجوا لقتال الحسين فإن جيش الشام سيهدم دوركم وسيقتل وسيفعل. فانطلق الكثير منهم وبكل سرعة حذرين. حذرين من التقصير، وحريصين على أن يؤدوا مهمتهم بالشكل الذي يرضي ابن زياد.

لقد بلغ واقع الحال أن ابن زياد كان لديه ثلاثين شرطياً، والآلاف هم أولئك الذين أثّر عليهم بهذه العوامل، جمهور الكُوْفَة، الآلاف من أبناء الكُوْفَة، أثَّر عليهم البعض بعامل المال، البعض بعامل الخوف، البعض بالتضليل وزعماؤهم وكبارهم الذين هم توَّاقون إلى السلطة وعندهم النزعة التسلطية بالوعود ببعض المناصب والتي لم يصلوا إليها بما فيهم عمر ابن سعد، لم يحظ أبداً بمُلك الرَّي وكان الواقع كما أنذره الإمام الحسين -عليه السلام-."[٥]

رابعاً: التفريط في هدى الله

يثق الكثير من المنتمين لخط الإيمان بأنفسهم وبمستويات الوعي التي قد وصلوا اليها، ويركنون إلى صحة معتقداتهم، فيتوقفون عند سقف معين لا يتجاوزونه، ويتهاونون في مسار الارتقاء في الوعي والبصيرة والايمان، الذي ينبغي أن يكون مساراً مستمراً طيلة الحياة، عند ذلك يصلون إلى منزلقات خطيرة ومنعطفات حساسة، وتعترضهم شبه ومؤثرات متعددة، ويتعرضون لاهتزازات تمثل اختباراً لهم، فتبرز لديهم كثيرٌ من الانحرافات، فبعضهم قد يتعثرون ويخرجون عن نطاق الحق، والبعض يتغير موقفهم من الحق وأهله، وقد يصبح البعض ضحية بساطته وتهاونه وانقطاعه الى نفسه، فيكون عرضة للمضلين الذين يسخرون البسطاء لخدمة مصالحهم، وتكون النتيجة هي الاعوجاج والزيـغ.

لقد كانت خسارة الأمة عظيمة، ودفعت فاتورة باهظة جراء التهاون وعدم السعي للارتقاء في وعيها وإيمانها، فكان الضحية هم عظماء أهل البيت، وأعلام الهدى، الذين استشهدوا نتيجة ضعف الوعي والايمان لدى أتباعهم، فحلت بالأمة النكبات بعد رحيلهم، وتحمل المتخاذلون أوزار وآثار ذلك التخاذل، الذي كان منشؤه عدم الاهتمام بهدى الله.

(٥) السيد عبد الملك بدرالدين الحوثي، ذكرى عاشوراء ٦ محرّم ١٤٣٤هـ، مصدر سابق.

وفي هدى الله معايير مهمة للحالة الإيجابية، والوضع السليم على المستوى الإيماني والنفسي والعملي، التي يستطيع الإنسان -من خلالها- معرفة واقعه وتقييم نفسه، إذا كان معرَّضاً لحالة الاعوجاج والانحراف عن خط الاستقامة.

ومن أهم تلك المعايير هو أن يكون الانسان على علاقة ودّية بهدى الله وقلبه منشرحٌ للذكرى وصدره مفتوحٌ لمنطق الحق وأذنه سامعة للهدى، فيصغي لهدى الله من موقع الشعور بالحاجة والتقدير للهدى، والإيمان والتفاعل الإيجابي على المستوى العملي، فالإنسان المؤمن يستفيد من الذكرى،﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾(الذاريات٥٥) بينما الانسان المنحرف عن خط الاستقامة، على قطيعة مع الهدى، ويتهرب عن سماعه، وقد سَخِرَ القرآنُ ممن يتهربون من الهدى وينفرون عند سماعه؛ فشبههم بحمير الوحش عندما يفاجئها أسد، قال تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾ (المدثر:٤٩،٥١).

يقول السيد عبد الملك بدرالدين الحوثي-حفظه الله-: " كل فرد منا يجب أن يدرك جيداً أن عليه أن يتعامل بجِدِّية مع هدى الله -سبحانه وتعالى-، وأن يبني واقعه الإيماني وانطلاقته الإيمانية على أساسٍ صحيح. على أساسٍ صحيح.

لأن التهاون في مرحلة ما قبل الاختبار أحيانا تأتي حوادث كبيرة تُمثِّل اختباراً كبيراً للإنسان في توجهه واندفاعه، في هذه المرحلة التي يتهاون فيها الإنسان، ويتعامل بلا مبالاة ويُقصِّر في كثيرٍ من واجباته ومسؤولياته، ويُهمل تجاه الأشياء المهمة التي يجب أن يكون مسارعاً فيها ومبادراً إليها.

الإنسان بهذا يُسبب لنفسه أن (يَهدِن) نفسه، تأتي الأحداث الكبيرة والتطورات الخطيرة، وهو لم يحسب حسابها ولم يرتقِ إلى مستواها، وبالتالي يجد نفسه أمامها في موقف لم يكن يتوقعه، لم يكن يتوقع من نفسه أنه سينحرف إلى ذلك المستوى من الانحراف أو يسقط إلى ذلك الحدّ من السقوط.

ولربما الكثير من الجيش الذي تحرك لقتال الإمام الحسين -عليه السلام- بما فيهم الآلاف الذين كانوا من جيش الإمام علي نفسه، لم يكن يخطر ببالهم أنهم يوماً من الأيام سيكونون في ذلك الموقف، يوماً من الأيام يتحركون لقتل سبط رسول الله وهم يعلمون من هو، يعلمون مقامه العظيم في الإسلام، يعلمون أنه من يجب أن يتبعوه، أن يهتدوا به، أن يحبوه، أن يقدروه، أن يدركوا مقامه العظيم كوريث لجده المصطفى -صلوات الله عليه وعلى آله-، يعرفون فداحة الجُرم المرتكب بحقه، ومع هذا فساد النفوس والانحطاط الكبير وضياع القيم والأخلاق والمبادئ، كانت قد أوصلتهم إلى درجة لا يبالون معها بأن يرتكبوا مثل

هذا الإجرام، ومثل هذه الحماقة."[٦]

يندهش الإنسان وهو يتصفح تاريخ كربلاء، ويقرأ مستوى الوحشية وبشاعة الموقف، والملفت في القصة أن اهل الكوفة وصلوا إلى ساحة المعركة لقتال الإمام الحسين -عليه السلام- قبل أن يأتي جيش يزيد من أهل الشام؛ والشيء المؤسف عندما نعرف أن مجتمع الكُوْفَة هو مجتمع عاش بينهم الإمام علي -عليه السلام-، وكانت عاصمة دولته، وكان الكثير منهم ضمن جيش الإمام علي-عليه السلام-، وقاتلوا معه في صفين والجمل، ثم في مرحلة من المراحل تجد هذا الجيش يتحرك بقيادة ابن زياد، الذي أتى إلى الكوفة وليس معه سوى ثلاثين شرطياً فقط، لكنه استطاع أن يؤثر على أهل الكوفة، ويحركهم بأجمعهم في الإقدام على جريمةٍ فضيعةٍ وارتكابِ جنايةٍ كبيرة بحق الإسلام والرسول والأمة؛ وفي ذلك درسٌ كافٍ نفهم منه عوامل السقوط وأسباب الانحراف والتراجع بعد هدى ومعرفة، وندرك من خلاله ضرورة الارتقاء الإيماني الذي يمنح الإنسان تماسكاً عند المنزلقات، ويشكل دافعاً وعوناً للاستمرار والاستقامة والثبات، وندرك أهمية التفاعل مع هدى الله وتوجيهات أعلام الهداية، والتعامل معها بجدية بدون تفريط أو إهمال أو لا مبالاة أو اجتهاد ودون زيادة أو نقصان، فالتفريط ليس أمام الحدث، ولكن التفريط عندما يسمع الانسان التوجيهات فلا يعطيها ما تستحقه من الاهتمام.

يقول السيد حسين بدر الدين الحوثي-رضوان الله عليه-: "**ولولا تفريط أهل العراق يوم كانوا يسمعون علياً يتحدث، ومن أبلغ من على بعد القرآن وبعد الرسول! ومن أبلغ من منطقه، وأعظم أثراً -إن كان هناك ما يمكن أن يترك أثراً -بعد القرآن وبعد كلام الرسول -صلوات الله عليه وعلى آله- من مثل كلام علي؟!.**

ذلك التفريط هو الذي جعل أهل العراق قبل أهل الشام يصلون إلى كربلاء فيحاصرون الحسين -عليه السلام- وأهل بيته، وجعلهم قبل أهل الشام يوجهون النبال إلى صدره، وهم من عاش بينهم على -عليه السلام- سنين يحدثهم ويعظهم ويرشدهم؛ لماذا؟ ما الذي أوصلهم إلى هذا الحد؟

(هم فرطوا، وعندما يفرط الإنسان فيما يسمع ستأتي البدائل المغلوطة، إما أن يتلقاها من أمثاله ممن يفهمون الأمور فهماً مغلوطاً، ممن لا يعرفون عواقب الأمور، أو من جهة نفسه هو فيكون هو من يحلل، ومن يحاول أن يضع لكل قضية حداً معيناً، يظن أنها لا تتجاوزه. ربما كانوا يتصورون أن الحسين هو

(٦) ذكرى عاشوراء ٦ محرَّم ١٤٣٤هـ، مصدر سابق

المشكلة. يمكن أن يُصفى الحسين وتبقى الأجواء طبيعية!)

بعد أن قُتل الحسين. -عليه السلام- هل بقيت الأجواء طبيعية؟ هل استقر وضع أهل العراق؟ أم بدأ العراق يغلي، أم بدأت النكبات، والكوارث تتابع على أهل العراق جيلاً بعد جيل إلى هذا العصر الذي نحن فيه. لم يسلم أهل العراق، لم يسلم لهم دينهم، لم تسلم لهم دنياهم، لم تسلم أنفسهم.

ما أسوأ الإنسان أن يسمع كلمة الحق ثم يرى نفسه في يوم من الأيام يقف في وجه الحق يضربه بسيفه، إنه أسوأ من ذلك الذي تربى على الضلال من يومه الأول، إنه أسوأ من أولئك."[٧]

وفي كثير من تجارب الأمم مع أنبيائها، كان التهاون وعدم التفاعل والاستجابة للتوجيهات والتعاليم النبوية التي تأتي من قبل الله، يمثل السبب الأكبر في انحرافهم وسقوطهم، وتَغيُّر مواقفهم من الحق، ومن أبرز الشواهد واقع الصحابة الذين عاشوا مع نبي الله موسى -عليه السلام- فكانوا يتعاملون مع ما يقدمه من البينات والتوجيهات ببساطة ولا مبالاة، ودون تفاعل او إصغاء باهتمام، فأتت بعد ذلك مراحل تعرضوا فيها للفتن والابتلاءات، وسقطوا سقوطاً مروعاً، فقد أشرك بعضهم بالله، وانقلبوا على كل ما جاء به نبي الله موسى وأخوه هارون -عليهما السلام-.

يقول الشهيد القائد -رضوان الله عليه- من خلال قول الله تعالى: "﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٌ﴾، **احتاجوا يساهموا كلهم يصلحون لهم رباً، الحلي التي كانت معهم جمعوها.**

﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لا يُكَلِّمُهُمْ وَلا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾ (الأعراف: من الآية١٤٨) **هنا يبين للإنسان كيف أنه فعلاً في موضوع هدى الله يحتاج إلى إصغاء، واهتمام، ويكون مبنياً على إيمان، والتزام، والذين لا يكونون بهذا الشكل يكونون عرضة لأي تضليل؛ قوم موسى، يعني ليسوا أناساً من مجاهيل أفريقيا، أو نحوها. قوم موسى الذين حررهم وهم في مصر، حررهم مما كانوا فيه، وفلق الله لهم البحر، وآيات عجيبة يشاهدونها، ومع هذا ماذا؟ كانت عندهم قابلية أن يضلَلوا، هو قال:** ﴿وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ (طه: من الآية٨٥) **ألم يقل وأضلهم السامري؟ لاحظ هنا في القضية هذه ألم يحصل لهم مؤاخذة شديدة؟ يوم قالوا:** ﴿يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً.﴾ **عندما خرجوا من البحر كانت نفسياتهم ما زالت ثانية، وجههم موسى، وما حصل لهم شيء. هنا قاموا هم بتضليل السامري، وهم يعرفون بأن موسى ما زال حياً وإنما ذهب إلى الجبل، ذهب في ميعاد حدده الله له.**

لهذا عندما يكون الإنسان غير مهتم، ولو كان في عصر مليء بالأنبياء، ولو كانت

(٧) السيد/ حسين بدر الدين الحوثي، دروس من وحي عاشوراء، بتاريخ: ١٠/ محرم/ ١٤٢٣هـ الموافق: ٢٠٠٢/٣/٢٣م

آيات الله تتنزل، ولو يشاهد عصا موسى تتحول إلى ثعبان، إذا لم تبن عليها قاعدة أساسية عندك: التزام، وفهم، ووعي، ستكون عرضة للتضليل، هؤلاء ناس ضُللوا وموسى ما زال حياً، وضللوا بعد أن قضى موسى معهم فترة طويلة في التبيين، وبعدما قد رأوا الآيات الكثيرة." (٨)

لم تكن تلك الحالة مقتصرة على أصحاب موسى، فالتاريخ الإسلامي يحكي لنا حالات ضلال، ومواقف سلبية حدثت داخل المسلمين الأوائل، بعد موت الرسول -صلوات الله عليه وعلى آله-، وتكررت مع أتباع أعلام الهدى من بعده ولا تزال قائمة في كل زمن، وفي عصرنا الحاضر نرى الكثير من مظاهر الانحراف والسقوط التي تحصل بعد علم ومعرفة، حيث وجدنا اشخاصاً توقفوا عن الجهاد في سبيل الله، وبعضهم تأثر بالشبه والدعايات، وبعضهم سقط في مستنقع الفساد الأخلاقي والمالي، وبعضهم سقط في وحل العمالة والخيانة، وهم كانوا في يوم من الأيام محسوبين على جانب الحق، وبعضهم يدعي انتماءه للمسيرة القرآنية، وسقط بعض من لهم أعمال ومهام كبيرة، والبعض كانت أسماؤهم قد لمعت في وسائل الاعلام ومواقع التواصل الاجتماعي، والأسباب هي نفسها التي أساسها الموقف السلبي من هدى الله.

يقول الشهيد القائد-رضوان الله عليه-: "**عندما يقول البعض: إنه كيف يمكن أن يكونوا ضلوا ناس من الصحابة بعد رسول الله! أليس هؤلاء صحابة ضلوا وما زال موسى حياً، إنما ذهب لفترة أربعين يوماً منهم، صحابة من داخل بني إسرائيل، من الذين اصطفاهم الله على العالمين، أمكن أن يضلوا مع وجود النبي، ثم تقول لي: كيف أنه يمكن أن يضل ناس من بعد النبي؟! أليس احتمال أن يضلوا بعد نبي أكثر من احتمال أن يضلوا في وقته؟ هذه الآيات نفسها كانت هي هامة جداً بالنسبة للصحابة أيام رسول الله -صلوات الله عليه وعلى آله-، أن يكون كل واحد منهم منتبهاً عندما يعرف أنه أمكن أن يضل ناس وما زال نبيهم موجوداً، وآيات قاهرة معه، عصا تتحول إلى ثعبان، يده تتحول إلى عمود من النور، وأمكن أن يضلوا، وقال لهم: إنه أضلهم السامري. هذه الآية ألم يقرأها الصحابة؟ لكن أي ناس كائنا من كان إذا لم يتفهموا، ويعوا، سيكونون عرضة للضلال.**

فهي تعتبر حالة خطيرة في حد ذاتها، إذا ما هناك تفاعل بإيجابية مع هدى الله، قد يكون الناس في حالة، قد فعلاً يضلهم فعلاً، من يتأمل موقف الإمام علي في تلك الحالة يعرف المسألة. مثلما قلنا سابقاً. يعرف الإمام علياً، أشياء كثيرة من

(٨) السيد/ حسين بدر الدين الحوثي، الدرس الثامن والعشرون من دروس رمضان، بتاريخ: ٢٨/ رمضان/ ١٤٢٤هـ الموافق: ٢٠٠٣/١١/٢٢م

سنن الله، عندما لا يكون هناك اهتمام أثناء تقديمه، وهو يقدم على أرقى صورة، ويبين على أحسن تبيين، ويقدم على أجمل صورة، وأيضاً يعطى في نفس الوقت، يعطى الناس حتى وإن كانوا بسطاء أشياء واضحة للالتزام، واضحة مثل: اتبعوا، أطيعوا. أليست عبارات واضحة؟

لكن في الأخير، عندما لا يكون هناك اهتمام بالشكل المطلوب، هذه النوعية تكون عرضة لأن تضل، وأن تكون ضحية المضلين. قوم موسى أضلهم واحد، السامري، وجعلهم يعبدون عجلاً!

ألا يمكن أن يأتي من بعد رسول الله -صلوات الله عليه وعلى آله- من يضلهم، ويجعلهم يعملون خليفة آخر، قد أمكن شخص يجعلهم يعبدون إلهاً آخر. أين أكبر؟ ألم يستطع أن يضلهم حتى يجعلوا لهم صنماً؟ إذاً بالتأكيد يستطيع أي شخص أن يضلهم فيتخذون لهم شخصاً آخر خليفة بدل ذلك الشخص الذي أعلنه على مرأى، ومسمع منهم. لكن إذا ما هناك اهتمام فهي في حد ذاتها حالة خطيرة.

كذلك في أي زمان لا يتصور واحد، مثلاً تتصور بأنه كأنك لا تسمع شيئاً، الناس إذا لم يكن عندهم اهتمام أن يصغوا بجدية، ويتفهموا، قد تأتي في مسيرة الناس أشياء كثيرة يكون من لا يهتمون عرضة لأن يضلوا فعلاً، ليست قضية سهلة. هنا يبين لنا أشياء، بين للناس في أيام رسول الله -صلوات الله عليه وعلى آله- بهذه الأشياء، ولم يأخذوها على محمل الجد فضلوا فعلاً! هنا قال: ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ﴾ (طه: من الآية٨٥) فتنهم.

كل المسألة تقدم على أساس أن الإنسان يتعامل بجدية مع ما يقدم من عند الله، وأن يتعامل بجدية مع ما قدم من عند الله هو بالشكل الذي يكون له إيجابية كبيرة في حياته؛ لأن حالة اللامبالاة هذه معناها في حد ذاتها: أن ما لله قيمة عندك، وليس لهداه قيمة عندك، إنما فقط اتغصَّاب! إذا لم يكن (إلا اتغصاب يغصبه) فلن يغصبه، سيجعله يضل." [٩]

(٩) المصدر السابق نفسه

العامل: الخلل في السلوك والأداء العملي

أولا: الخلل النفسي

حينما يفقد الانسان التقوى والشعور بالعبودية لله، ويفقد قداسة هدى الله في نفسه، يصبح البديل عن كل ذلك هو اتباع هوى النفس وميولها ورغباتها، سواءً في حالة الرضى أو في حالة الطمع أو الخوف أو الشهوة، عند ذلك يتحول الانسان أسيراً لميول النفس، ورغباتها فيصبح عاصياً لله ومتمرداً عليه.

وفي القرآن الكريم يحذر الله من اتباع هوى النفس، ومن نتائجه السيئة التي تنحرف بالإنسان عن طريق الحق، لأن اتباع الهوى يترتب عليها ضلال وفساد وخروج عن سبيل الله.

يقول السيد عبد الملك بدر الدين الحوثي: " **فيما يتعلق بعوامل الانحراف، وعوامل الاعوجاج والزيغ، ففي أولها: هوى النفس: هوى النفس عنوان يشمل الكثير من التفاصيل، وهو عنوانٌ مهمٌ جداً، القرآن ركَّز على هذا الموضوع، تحدث عن هوى النفس كثيراً، عن مخاطره، عن آثاره السيئة، والله "جلَّ شأنه" قال لنبيه داوود -عليه السلام-؛ ليكون ذلك ذكرى لكل إنسانٍ مؤمن: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾** (ص: من الآية٢٦)**، الإنسان إذا اتَّبع هوى نفسه، مال به عن سبيل الله، عن طريق الحق، عن منهج الحق، وزاغ به عن ذلك، مسألةٌ خطيرةٌ جدا؛ من التفاصيل التي تندرج في إطار هوى النفس، هي: الأطماع المعنوية.**" (١٠)

١. الاطماع المعنوية

يقول السيد عبد الملك بدر الدين الحوثي: "عند التمكين، عند النصر تتحرك الأطماع المعنوية لدى البعض، فيصبح طامعاً في أن يحصل على المناصب الكبيرة، وأن يكون له سمعته الكبيرة، وأن يكون له نفوذه الكبير، وتأثيره الكبير، ومقامه الكبير في أوساط

"

يقول السيد حسين بدرالدين الحوثي-رضوان الله عليه-: "عندما نسمع -أيها الإخوة -زعماء العرب، زعماء المسلمين كلهم يسرعون إلى الموافقة على أن تكون أمريكا حليفة، على أن تكون أمريكا هي من يتزعم الحلف لمحاربة ما يسمى بالإرهاب، وعندما نراهم جميعاً يعلنون وقوفهم مع أمريكا في مكافحة ما يسمونه بالإرهاب؛

(١٠) السيد عبدالملك بدرالدين الحوثي، المحاضرة الرمضانية الرابعة عشرة، السبت، ١٥ رمضان ١٤٤٣هـ الموافق ١٦ ابريل ٢٠٢٢م.

الناس، فيكون له صفة معينة، ومنصب معين، فيكون له أيضاً موقع مهم جداً، ونفوذ، وتأثير، وتصبح هذه المسألة بالنسبة له مسألةً أساسية، إلى درجة أنه لو لم يحصل عليها؛ فسيترك طريق الحق بكله، تدخل هي فتكون هي هدفه الرئيسي.

قد يكون انطلق في البداية بنيةٍ خالصةٍ من أجل الله -سبحانه وتعالى-، يبتغي مرضاة الله، عاشقاً لموقف الحق، لطريق الحق، ولكن يحصل الانحراف في داخل نفسه، على مستوى الهدف، على مستوى مبتغاه، وعلى مستوى وجهته التي يتحرك من أجلها، فبدلاً من أن يبقى الهدف هو: مرضاة الله -سبحانه وتعالى-، والمنزلة العالية عند الله - جلَّ شأنه- ، والمقام الكبير عند الله -سبحانه وتعالى-، يتحول الموقع والمنصب والسمعة والهالة، هي المسألة المهمة، وحتى اللقب، وحتى الصفة، تتحول هي المسألة المهمة، التي يبني عليها توجهه، موقفه، رضاه، إذا لم يحصل عليها، سيتحول إلى إنسانٍ ساخط، حاقد، متذمر، معقد، يتخذ موقفه من الحق وأهل الحق، يقعد، يقعد، ويتخاذل، ويتنصَّل عن المسؤولية؛ لأن الموضوع المهم الذي أصبح بالنسبة له هو الأساس في أن يواصل مسيره، في أن يتحرك، في أن ينطلق، هو ذلك المبتغى، هو ذلك الموقع، هو ذلك المنصب، هي تلك السمعة والهالة، هو ذلك اللقب حتى.

البعض على مستوى الرتبة، إذا كان لا يحصل على رتبة معينة، أو موقع معين، فهو سيتراجع عن طريق الحق، وسيتغير، ويغيِّر موقفه بشكلٍ تام، ويتنصَّل عن مسؤولياته، ثم لا يرغب في طريق الحق أصلاً، اختزل كل آماله، كل اهتماماته في ذلك، وانفصل في آماله عن الله -سبحانه وتعالى-، وعمَّا عند الله، ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ (القصص: من الآية٦٠)." (١١)

كان ولا يزال حب السلطة من الأسباب التي انحرفت بالكثير ممن يحسبون على جانب الحق، وأخرجتهم عن نهج الله، وأدخلتهم في جرائم ومواقف سيئة للغاية، من بعد موت الرسول -صلوات الله عليه وعلى اله- مروراً بمأساة عاشوراء، وصولاً إلى عصرنا الحاضر؛ ولعل أبرز المواقف السلبية التي تدلل على سوء العشق للمنصب، موقف عمر بن سعد بن أبي وقاص، الذي قاد جيش يزيد في معركة كربلاء، ونفذ جريمة قتل الإمام الحسين -عليه السلام- ومن معه من أبنائه وأبناء إخوته وأقاربه وأصحابه الشرفاء والأتقياء الأبرار، مقابل وعود بأن يحكم الري، فارتكب أبشع جريمة في التاريـخ، نتيجة طمعه في المنصب وحب السلطة.

(١١) المحاضرة الرمضانية الرابعة عشرة للسيد عبدالملك بدرالدين الحوثي ١٤٤٣ هـ، السبت، ١٥ رمضان ١٤٤٣هـ الموافق ١٦ ابريل ٢٠٢٢

" كان عمر ابن سعد طامعاً في الحصول على ولاية الرَّيّ، والرَّيّ منطقة معروفة في إِيْرَان، وحُبِّه للسلطة وهوسه بها ونزوع نفسه إليها جعلته مستعداً أن يعمل أي شيء، أن يعمل أي شيء، مستعدٌ لارتكاب أي جريمة حتى جريمة بهذا الحجم، جريمة بهذا المستوى، قتل سبط رسول الله سيد شباب أهل الجنَّة، وريث النبي الأكرم -صلوات الله عليه وعلى آله- ، هادي الأمة والذي يجب أن تلتف حوله الأمة في عصره لتهتدي به لتسير على نهجه، ليكون هو من يبني واقعها، من يصلحُ واقعها، الرجل العظيم لم يكن هناك من ممانعة لدى عمر ابن سعد أن يرتكب هذا الجُرم بحق هذا الرجل العظيم. واشتهر عنه وهو يراجع نفسه بين اتخاذ هذا الموقف والإقدام على هذا الجُرم، أو النكوص عنه فيخسر مثلما يتصور أنها خسارة ولاية الرَّيّ، وبقي يراجع نفسه -كما يقولون في الروايات -ليلة كاملة، ويُردِّد شعره المشهور:

فَوَ ٱللَّهِ مَا أَدْرِي وَإِنِّيْ لَحَائِرٌ	أُفَكِّرُ فِيْ أَمْرِي عَلَى خَطَرَيْنِ
أَأَتْرُكُ مُلْكَ الرَّيّ، وَالرَّيّ مَنِيَّتِيْ؟	أَم ارْجِعُ مَأْثُوْماً بِقَتْلِ حُسَيْنِ!؟
وَفِيْ قَتْلِهِ النَّارُ الَّتِيْ لَيْسَ دُوْنَهَا	حِجَابٌ وَمُلْكُ الرَّيّ قُرَّةُ عَيْنِيْ

الهوس الشديد لحب السلطة والنزوع الشديد إليها، جعله يرجِّح ملك الرَّي وهو يدرك أن في قتل الإمام الحسين -عليه السلام- عذاب الله والمصير إلى جهنم. ثم يتخذ الخيار الأحمق والأسوأ مُلك الرَّي ولو كان بعده النار، ولو كان بعده الخُسران الدائم، ولو تورَّط في سبيل ذلك لارتكاب الجرم الأكبر والأفظع والأقبح لم يكن لديه تردُّد.

على مدى تاريـخ أُمتنا في الماضي، وأيضاً في الحاضر نرى أثر هذه الآفة وضررها الكبير الذي لحق بالأمة، هذه النوعية من الناس في أوساط الأمة المهووسون بالسلطة، الذين يمكن أن يعملوا أي شيء بأمتهم، أن يرتكبوا أي جرم، وأن يَقدُمُوا على أي حماقة أن يفعلوا أي شيء في مقابل الوصول للسلطة، هم كثر. كثر في تاريـخ أمتنا، وفي حاضر أمتنا.

والبلاء الشديد الذي ألحقوه بالأمة، والضرر البالغ الذي لحق بالأمة من خلال هوسهم ونتيجةً لطمعهم وجشعهم، هو ملحوظ طال كل شيء في واقع الأمة في دينها ودنياها، في أخلاقها، في قيمها، في عزتها، في كرامتها.

وللأسف الشديد؛ مما ساعد هذه النوعية داخل أوساط الأمة: هو التفاف الكثير من الناس حولهم. عندما يلتف حولهم الكثير من الناس لقصور وعيهم وضعف

إيمانهم تحل الكارثة الحقيقة بالأمة، وتكون النتائج السلبية التي لا حدود لها تطال كل شيء، وهذا أمرٌ ملحوظاً في واقع الأمة.“ (١٢)

إن المآسي والكوارث التي حلت بأمتنا اليوم، ما كانت لتحدث لو لا أن قادة الأنظمة العربية يعشقون السلطة، فحولوها الى بوابات تنفذ منها مؤامرات الأعداء ومكرهم إلى داخل الشعوب، وأكثر من ذلك سارعت معظمها إلى التطبيع مع كيان العدو الصهيوني، ووظفت جميع إمكاناتها في ما يخدم مصالح الأمريكيين والصهاينة، بكل ما لتلك السياسات من تبعات ونتائج مضرة بأمتنا في حاضرها ومستقبلها، لأنها تريد البقاء في السلطة ولو على حساب الكرامة والهوية والمبادئ. يقول السيد حسين بدرالدين الحوثي-رضوان الله عليه-: ”**عندما نسمع -أيها الإخوة -زعماء العرب، زعماء المسلمين كلهم يسرعون إلى الموافقة على أن تكون أمريكا حليفة، على أن تكون أمريكا هي من يتزعم الحلف لمحاربة ما يسمى بالإرهاب، وعندما نراهم جميعاً يعلنون وقوفهم مع أمريكا في مكافحة ما يسمونه بالإرهاب؛ لأنهم جميعاً يعشقون السلطة؛ لأنهم جميعاً يحرصون على البقاء في مناصبهم مهما كان الثمن، لكنهم لا يمكن أن يصرحوا بهذا، هم يقولون: من أجل الحفاظ على الأمن والاستقرار، من أجل الحفاظ على مصلحة الوطن! أو يقولون: خوفاً من العصا الغليظة، العبارة الجديدة التي سمعناها من البعض: الخوف من العصا الغليظة! وأي عصا أغلظ من عصا الله، من جهنم، ومن الخزي في الدنيا؟ هل هناك أغلظ من هذه العصا؟ الإمام علي -عليه السلام- أراد أن يعلم كل من يمكن أن يصل إلى موقع السلطة في هذه الأمة أنه لا يجوز بحال أن تكون ممن يعشق المنصب؛ لأنك إذا عشقت المنصب ستضحي بكل شيء في سبيله، وألا تخاف من شيء أبداً فإذا ما خفت من غير الله فسترى كل شيء مهما كان صغيراً أو كبيراً يبدو عصا غليظة أمامك.“** (١٣)

وهنا نموذج آخر لأحد زعماء العشائر العربية، ويدعى عبدالله بن أبي بن سلول، فقد تحول إلى زعيم للمنافقين، وعاش حياته مشاققاً للرسول وصاداً عن سبيل الله، ومتحالفاً مع أعداء الإسلام من اليهود والنصارى، والسبب في ذلك أن الرسول -صلوات الله عليه وعلى آله- هاجر إلى المدينة في وقتٍ كان الأوس والخزرج قد اتفقوا على أن يتوجوا عبدالله بن أُبي زعيماً عليهم، ومع وصول الرسول إلى المدينة المنورة، تغيرت الأوضاع ولم يتم له ما كان يصبوا إليه، فتزعَّم حركة النفاق داخل المجتمع الاسلامي، نتيجة عشق السلطة وحب الزعامة، وأضاع فرصة الجهاد

(١٢)ذكرى عاشوراء ٦ محرَّم ١٤٣٤هـ، مصدر سابق.

(١٣)السيد/ حسين بدر الدين الحوثي، دروس من وحي عاشوراء، مصدر سابق

تحت راية خاتم الأنبياء والمرسلين، وخسر شرف النصرة وشرف السبق إلى الإسلام.

يقول الشهيد القائد -رضوان الله عليه-: "**عبد الله بن أُبي، لماذا تحول إلى منافق، وزعيم للمنافقين أيضاً لماذا؟ ابتلي من هذا النوع من الابتلاء، كان قبل أن يَصِلَ رسول الله -صلوات الله عليه وعلى آله-، ويتفق مع مجموعة كبيرة من سكان المدينة ممن أسلموا على أن يهاجر لديهم -كانوا قد اتفقوا قبل وفي وقت من الأوقات على أن يتوِّجُوه ملكاً عليهم، على الأوس والخزرج، جاء محمد بن عبد الله -صلوات الله عليه وعلى آله- وأخذ الوجاهة كلها، واتجه الناس نحوه، نبي يوحى إليه تجب طاعته، طاعته من طاعة الله.**

هذا الشخص كان قد أحب الكبرياء والملك والعظمة، وأن يتوج كملك على قبيلتين كبيرتين: الأوس والخزرج، ماذا عمل؟ لو أنه أدرك المسألة، واستسلم لله، وآمن؛ لأنه ما قيمة هذا المُلك الذي كنت أطمع فيه، وهذا التاج الذي كنت أرغب فيه، وهذه الكبرياء التي كنت أريد أن أصل إليها، ما قيمتها مع نعمة بين يديَّ نبي أعيش معه، نبي أطيعه، نبي ألتزم بأوامره، يوحى إليه مباشرة من الله -سبحانه وتعالى-، لكنه أيضاً سقط في الامتحان، ونسي أنه عبدٌ لله، وتحول إلى شخص يكيد، ويمكر، ويعمل بكل وسيلة لمحاربة رسول الله -صلوات الله عليه وعلى آله- والدعوة الإسلامية، فاعتبر منافقاً بل كبير المنافقين، وأصبح مذموماً عند المسلمين جميعاً." (١٤)

٢. الاطماع المادية

الطمع والجشع والتوجه المادي مرض خطيرٌ وداء عضال، يُصاب به الإنسان حينما يفقد روحيته الإيمانية وتتحول إلى روحية مادية، وعندما يربيها على الاخذ بدلاً عن العطاء، عندها يصبح الانسان عاشقا للمال ويريد الحصول عليه حتى لو كانت الطرق غير مشروعة، لأن الروحية المادية الجشعة لا يبقى معها قيم أو مبادئ أو أخلاق؛ وبالتالي يدخل في باطل فيسرق أو يقتل أو يظلم أو يتاجر في الحرام، وقد ينهب المال العام عندما يتاح له ان يتولى أي منصب، وبعض الناس يسقط في وحل العمالة والارتزاق والخيانة، ويدخل في مواقف باطلة نتيجة طمعه ونهمه وجشعه، كما هو حال الكثير من المرتزقة الذين باعوا أنفسهم بالريال السعودي والإماراتي، وخانوا شعبهم وبلدهم ليحصلوا على المال الحرام، وبدلاً من أن تكون مواقفهم محكومة بالقيم والمبادئ، يصبح المعيار في مواقفهم ونظرتهم هي المال، وبدلاً من أن يكونوا عبيداً لله، يتحولون إلى عبيدٍ للطواغيت نتيجة حبهم للمال.

(١٤) إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا، مصدر سابق

يقول السيد عبد الملك بدر الدين الحوثي: " النزعة المادية التي هي قائمة وموجودة لدى الكثير من الناس، فمقابل الحصول على شيء من المال هو مستعد أن يعمل أي شيء، أن يرتكب أي جرم، أن يكون في صف أي مبطلين أو مجرمين أو مضلين، لا معيار لديه في موقفه لا الحق ولا رضا الله -سبحانه وتعالى-، ولا القيم، ولا الأخلاق ولا المبادئ، المعيار هو المال، هو كل شيء عبادة. عبادة للمال هو كل شيء، من يدفع له أكثر ويُقدِّم له المال فسيعمل له أي شيء مهما كان جُرماً وذنباً ومسيئاً ومخالفاً لنهج الإسلام، ولا ينسجم لا مع قيم ولا مع أخلاق.

هذه الآفة نرى أيضاً ضررها في عصرنا هذا، ربما الملايين من الناس داخل شعوب أمتنا لا يزال المؤثِّر الأكبر عليهم في توجههم، في مواقفهم، في خياراتهم التي يحسمونها في أي صفٍ يكونون، ومع أي طرف هو هذا المؤثر المال. المال، ودوره السلبي في واقع الأمة معروف. معروف.

وللأسف الشديد؛ يمكن للأمة أن تنال ما منحها الله من البركات والرزق والخير، بعزة وشرف واستقامة، بدون أن تُعَبِّد أنفسها للطواغيت، وبدون أن تسترزق لدى مجرمين ولدى سيئين.

هذا العامل كان عاملاً مؤثراً في أحداث كربلاء، في مأساة عاشوراء، والكثير من الناس الآلاف ممن تحركوا لقتال الإمام الحسين -عليه السلام- تحركوا لهذا السبب مقابل المال، وعندما هُدِّدُوا بمحو أسمائهم من الديوان، والديوان عبارة عن السجلات الرسمية التي فيها أسماء من لهم مقرَرات من المال العام، ومعاشات من المال العام، عندما هُدِّدُوا بمحو أسمائهم من الديوان انطلق الكثير منهم ليقف في وجه الإمام الحسين، في وجه سبط رسول الله -صلوات الله عليه وعلى آله- ضد الحق، ضد العدل، ضد القرآن، في جناية على الإسلام ،كانوا مستعدين لفعل أي شيء وبشكل فضيع وبدون أي قيم أو مبادئ، تجاوزوا حتى الواقع الإنساني، وحشية فضيعة جداً، هذا العامل المؤثر الموجود هو من العوامل البارزة التي تتحكم في موقف الكثير من الناس على مستوى الحاضر والماضي."[١٥]

وفي واقع الجهاد والمسؤولية، ينطلق الكثير بتفانٍ وبذل وبروحية معطاءة، ويستمر في ذلك، فتتغير المراحل وتدخل مستجدات ومؤثرات في واقع الحياة، كالسمعة والرتب العسكرية والألقاب، والحقائب الوزارية، وقد يصبح بحوزته أموال وممتلكات،

(١٥) ذكرى عاشوراء ٦ محرَّم ١٤٣٤هـ، مصدر سابق

فيرسَب البعض في هذا الامتحان، ويتغير سلوكه واهتمامه، وتصبح أهدافه حيازة أكبر نسبة من المال والممتلكات، ويصبح همه تحقيق الحياة المرفهة، ويتحول من إنسان ورع ومتعفف إلى مترفٍ وعابثٍ ومسرفٍ في الحق العام، وتترسخ بدلاً عن روحيته السابقة روحية الأخذ على حساب روحية العطاء والسخاء والإنفاق، وتتغير دوافعه الإيمانية، فيصبح المحرِّك له والدافع المؤثِّر في أدائه وأعماله واهتماماته، هي الأطماع والرغبات، والأسوأ من ذلك عندما يرى أن له استحقاقات ورصيداً عملياً ينبغي مكافأته عليه.

يقول السيد عبد الملك بدر الدين الحوثي: "**الأطماع المادية خطيرةٌ على الإنسان، إذا أصبح الإنسان يحمل التوجه المادي، منشداً إلى الإمكانات المادية، يريد الكثير من الأموال، يريد الحياة المرفهة بأي ثمن، بأي ثمن، فهو سيندفع من وراء ذلك ليجعل كل اهتمامه، كل آماله، كل انطلاقته مبنيةً على الحصول على ذلك، فإذا حصل على ذلك؛ كان راضياً، ومتفاعلاً، وإيجابياً، ومنطلقاً، وإذا لم يحصل على ذلك؛ تغيَّرت نفسيته، إلى إنسانٍ متذمر، وحاقد، وساخط، وغاضب، ومنفعل، ومستاء جداً، ثم يتبنَّى المواقف السلبية، ثم يبحث عن كل العناوين التي يجعل منها ذريعةً للإساءة، ذريعةً لإطلاق المواقف السلبية، للصد عن سبيل الله -سبحانه وتعالى-، للتخريب، للتثبيط، لخلخلة الصف من الداخل، والموضوع الرئيسي هو في واقع الحال، مهما كثرة العناوين التي يطلقها، والكلمات، والأشياء التي يجعل منها ذريعةً لإساءاته، ومواقفه الساخطة، يكون الموضوع في أساسه هو الدافع المادي، هو الطمع، هو الهوى.**

كما يدفع البعض أيضاً للخيانة، للخيانة في المال، في الحق العام، في المال الذي ليس خاصاً به، يتعلق بمسؤولياته، أو إلى الظلم في أن يحصل على أموال محرَّمة عن طريقٍ فيها ظلمٌ لعباد الله، فيها أخذٌ للحرام، لحقوق الناس، فتمثل حالة اعوجاجٍ خطيرٍ جداً عن خط الاستقامة، يسبب للإنسان سخط الله، وغضب الله، وعذاب الله، ويحبط الإنسان كل ما قد سبق منه من الأعمال الصالحة، ثم لا يوفق فيما بقي، والذي سيخسره هو الكثير؛ لأن الإنسان لو حاز الدنيا بحذافيرها، لو ملك الأرض بكل ما فيها، أو كان له ما يعادل الأرض ذهباً لافتدى به يوم القيامة من سوء العذاب، من عذاب الله الشديد، لو أن لهم ما في الأرض ومثله معه لافتدوا به.

الذي ستحصل عليه وأنت ستعوج عن طريق الحق، وأنت ستخالف قيمك، ومبادئك، واتجاهك الصحيح، شيءٌ تافه، شيءٌ لا يساوي شيئاً أبداً في مقابل ما خسرته، خسرت الجنة، خسرت السعادة الأبدية خسرت سمو نفسك، كرامة نفسك، قيم إيمانك، شرفك في موقف الحق؛ لأن الطمع دناءة، الطمع انحطاط، هو يحط من مرتبة الإنسان، من كرامته، خطيرٌ على النفس، وهو خطيرٌ جداً على شرف الإنسان، وعلى كرامته.

فحالة الأطماع المادية هي من ضمن هوى النفس، والإنسان عندما ينطلق فيها ينطلق أحياناً بنظرة الاستحقاق، يعتبر نفسه مستحقاً لأن تُلَبِّى كل طلباته المادية، وأن تتوفر له كل رغباته المادية؛ لأنه قد وقف موقف الحق، فيريد ثمنه من الناس، أو من حقوق الناس، أو من الحق العام، فتفتتح شهية الطمع والجشع إلى أقصى حد، ويحمل معها هذه النظرة (نظرة الاستحقاق)، أنه أصبح يحق له أن يحصل على كذا وكذا وكذا، وأصبح يتمنن، يتمنن بموقفه، ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ (الحجرات: من الآية١٧)، يصبح الإنسان كثير التمنن: (أنا وقفت في موقف كذا، وأنا فعلت كذا، فلماذا لا تعطوني كذا؟!)، يصبح أمامه هناك قائمة طويلة من المطالب الشخصية، والرغبات الشخصية، التي يرى لزاماً على الآخرين أن يوفِّروها له، وأن يؤدوها إليه وفق ما يرغب به، وبأسرع وقت، وألَّا يتأخروا عن ذلك، حالة خطيرة جداً حالة الطمع." [١٦]

٣. الفساد الأخلاقي والمالي

حينما يستجيب الانسان لهوى النفس ويفقد حالة التقوى والخوف من الله، ويبتعد عن هدى الله، تكون النتيجة هي قسوة القلب والجرأة على المعاصي، ويصبح منحطاً ومهيئاً للسقوط في مستنقع الفساد الأخلاقي، وعند أقرب فرصة تَعرِضُ له قد يرتكب الفواحش والمحرمات، فيزني أو يسرق أو يشرب الخمر أو يقطع الصلاة، أو يفطر صيام رمضان، أو يتخابر مع العدو، وهذه المخالفات تمثل جرائم أخلاقية تخبث بها النفس ويذهب زكاؤها، وتتأثر اهتمامات الإنسان سلباً، فينصرف عن المسؤولية والتفاني، ويفقد قابلية العمل وتأثيره في الواقع وقبوله عند الله.

"مما يتفرع عن هوى النفس، من عوامل الانحراف والاعوجاج عن خط الاستقامة والزيـغ عنه: الفساد الأخلاقي، والفساد المالي، الفساد الأخلاقي هو رذيلة، وهو- في نفس الوقت- جريمة، ومعصية، وهو من أخطر الأشياء آثاراً

(١٦)المحاضرة الرمضانية الرابعة عشرة للسيد عبدالملك بدرالدين الحوثي ١٤٤٣ هـ، السبت، ١٥ رمضان ١٤٤٣هـ الموافق ١٦ ابريل ٢٠٢٢

سيئةً على نفسية الإنسان، تخبث به النفس، الفساد الأخلاقي تخبث به النفس بكل أشكاله، الفساد الأخلاقي بكل أشكاله تخبث به النفس، تنحط به النفس؛ وبالتالي تتغير نفسية الإنسان، فتتحول إلى نفسية خبيثة، لم تعد تنسجم مع القيم الإيمانية، مع الاتجاه الحق، مع العمل الصالح كما كانت سابقاً، وتصبح ميالةً إلى الأشياء السيئة؛ فيخبث الإنسان، ويخبث كلامه، يخبث لسانه، تخبث تعبيراته، يخبث ويسوء سلوكه، وتتغير اهتماماته، ويفرِّط في مسؤولياته، فهي مسألة خطيرة جداً على الإنسان ويجب الحذر منها.

الفساد المالي- كذلك- هو خيانة، وهو معصية، وهو رذيلة، وهو إساءة، وله تأثيراته السيئة، وهو ظلم، والله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (الأنفال: الآية٢٧)، هذه مسألة خطيرة جداً على الإنسان، يجب الحذر منها، وهي تعود أيضاً إلى هوى النفس." [١٧]

٤. ارتكاب الذنوب والمعاصي

عُرف بنو إسرائيل بقسوة القلوب والغلظة، وعرفوا بجرأتهم على المعصية ومخالفة توجيهات الله، و القرآن الكريم يوضح أسباباً متعددةً لهذه الحالة، منها عدمُ الاستجابة لله، وعدم التفاعل مع هدى الله، حيث كانت تتكرّر عليهم المواعظُ والتذكيرُ، وحصل لهم من الآيات الكثير والكثير، ولكنهم أمام تلك المواعظ والآيات، لم يزدادوا إلَّا تعنتاً وعصياناً، ووفق سنن الله تعالى فَإنَّ النتيجة الحتمية لذلك هي أن تخبث النفس، ويقسو القلب حتى يصبحَ كالحجر أَو أشدَّ قسوة، فالقلب بطبيعته يقسو إذَا لم يخشع لذكر الله ويتفاعل مع هداه، قال تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَو أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ (البقرة: من الآية٧٤) وعندما يقسو القلب يصبح الإنسان جريئا على المعصية، ويسهل أمامه ارتكاب الذنب مهما كانت فضاعته، وبدلا من أن يكون عبدا لله تعالى يصبح عبدا لأهوائه وشهواته ورغباته، فيتعرض حتماً للمؤاخذة والعقاب في الدنيا والآخرة يقول الله - جل شأنه- : ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ (النساء:١٤).

يقول الشهيد القائد –رضوان الله عليه-: **"تاريخ بني إسرائيل هو رصيدٌ مهمٌ حافل بالعبر والدروس قدمه لنا ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظّاً مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ (المائدة: من الآية١٣). هكذا الإنسان قد يقترف معاصي، أو قد يعرض عن هدى، أو قد يقصر في عمل مما عليه أن يعمله فتكون النتيجة هو أن يقسو قلبه، وقسوة القلب ليست قضية هينة،**

(١٧)المحاضرة الرمضانية الرابعة عشرة للسيد عبدالملك بدرالدين الحوثي ١٤٤٣ هـ، مصدر سابق

قسوة القلب ماذا وراءها؟ وراءها كل الشقاء في الدنيا، وراءها جهنم، بل عندما يقسو قلبك بسبب معصية واحدة معينة ستنطلق أنت إلى المعاصي؛ لأنك قد خذلت من جانب الله ولم تعد تحظى برعايته، ستنطلق أنت في معاصي كبيرة، ومعاصي كثيرة تضل وتزداد ضلالا، وتتحول إلى إنسان يحمل نفسا خبيثة يتراكم الخبث داخلها.

قسيت قلوبهم فانطلقوا يحرفون الكلم عن مواضعه، وحصل أن نسوا حظاً كثيراً مما ذكروا به، ثم كما قال الله: ﴿وَلا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ﴾ (المائدة: من الآية١٣) **خيانة، خداع، مكر، إذا ما قسى القلب انطلق الإنسان شرا في هذه الحياة، انطلق إلى عمل المعاصي بكل جرأة، بلغ بهم الحال إلى أن يحرفوا الكلم عن مواضعه فيفترون على الله الكذب؛ لأن قلوبهم قد قست .. لماذا؟ وبماذا قست؟ ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ﴾؛ لأنهم لم يفوا بالميثاق الذي بينهم وبين الله، لأنهم لم يفوا بالمواثيق التي بينهم وبين الآخرين، فنقض الميثاق معصية تأتي بعده هذه العقوبة: أن يقسو القلب."**[١٨]

٥ .اتباع خطوات الشيطان

يرتكز الأُسلُوب الشيطاني في إضلال البشر وإفسادهم على الاستدراج الى الجريمة والترويض وتزيين الجريمة، حيث يزين للإنسان الفاحشة ويبسط له المعصية، ويستدرجه وفق خطوات متدرجة كُلّ خطوة تمهد للأُخرى، تبدأ من التهاون بالأشياء الصغيرة والتبسيط للأشياء الكبيرة، ثم يتطور إلى ما هو أكبر، حتى يصل إلى مستوى القابلية لارتكاب الفواحش التي -ربما- لم يكن يتوقع أن يرتكبها.

ونجد التحذيرُ القرآني المتكرِّرُ من اتِّباع خطوات الشيطان، في سياقات مختلفة ما يوحي بأَنَّ الاستدراجَ أُسلُوبٌ ثابتٌ يمكن فهمُه حسب السياق الذي ورد فيه، سواء استدراج إلى الفحشاء والانحراف الأخلاقي، أَو استدراج إلى الضلال الثقافي وغيره، كما يوحي بأَنَّ دوافع الاستدراج عدائية، يقول -الله تعالى-: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾** (سورة النور٢١) وقوله تعالى: **﴿وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ، إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾** (البقرة: من الآية١٦٨ -١٦٩)

(١٨)((السيد/ حسين بدر الدين الحوثي، الدرس الرابع عشر من دروس شهر رمضان، بتاريخ: ١٤/ رمضان/ ١٤٢٤هـ الموافق: ٢٠٠٣/١١/٨م

ويعتمد الموساد الإسرائيلي نفس الأسلوب الشيطاني في تجنيد العملاء، واستقطاب المجندين، من خلال ترويضهم على الفساد، ومخالفة الدين، ويتدرج بالأشخاص الذين يريد تجنيدهم ضمن صفوفه حتى يوصلهم إلى المسخ، وقبل أن يتم تكليف أي عميل بأي مهمة تجسسية، يبدأ الموساد بترويضه على مخالفة الدين والقوانين والأخلاق؛ فالصهاينة ينطلقون من قاعدة أن الشخص الراسخ الإيمان والوعي لن يقدمَ المساعدة، ولا يمكن استخدامُه، لذلك يتعامل جهاز الموساد مع أردأ أنواع البشر.[١٩] ويلعب الإنترنت ومواقعُ التواصل الاجتماعي دوراً سلبياً، حيث نشطت المخابراتُ الأجنبية في استدراج بعض الشباب والفتيات لوحلِ التخابر، مستغلةً غيابَ الثقافة الإيمانية والوعي والاعتزاز بالهوية والرقابة الحكومية.

وقد أخذت طرق وصيغ الاستدراج بُعداً واسعاً، وأساليب متقنة ومدروسة في تقديم صور الإغراء والجذب، وإفساد أخلاق البنين والبنات، من خلال المواقع الإباحية وغرف الدردشة، وغيرها من الأساليب التي تمثل شِراكاً لاستدراج الإنسان وتحويله إلى مدمن لمشاهدتها، وقد توسعت دائرةُ الاستدراج حتى أضحى الإنسانُ ومع كُلّ وقت ضحيةً لعملياتِ استدراجٍ لا تتوقفُ، تغزوه في غرفة نومه.

وفي السنوات الأخيرة تضاعفت نسبة الاستقطاب في بعض الدول العربية، حيث سقط العديد من الشباب في وَحْلِ التخابر في مواقع التواصل الاجتماعي، من خلال تكليفِ فتيات بالتواصل معهم، وتصويرهم في أوضاعٍ مخلة بالأدب، ثم تهديدهم وابتزازهم، وأحياناً إغراؤهم للالتقاء مع الفتاة شخصيّاً في مكان ما، وهناك يتم اعتقالهم والتعامل معهم.

ومهما يكُنْ ذكاءُ الإنسان ونباهتُه ومستوى ثقته بنفسه، وهو غيرُ محصَّن بالوعي والبصيرة القرآنية، وغير محميٍّ بالتوفيق الإلهي والرعاية الإلهية، فبالتأكيد سيصبحُ عُرضةً لأن يضِلَّ وينزلقَ، ويُستدرج إلى الرذيلة، ومن أخطر ما يُبعِدُ الإنسانَ عن الرعاية الإلهية فقدانُ التقوى والخشية من الله، وعدم استشعار رقابته، فالإنسان إذَا فقد التقوى فقد الهداية، قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (الجاثية : ٢٣)، إضافة لانعدام الوعي والبصيرة التي يقدمها القرآن الكريم.

إن غياب تلك العوامل - حتماً- تسبب للإنسان السقوطَ والانحراف والضلال، وتجعله صيداً سهلاً للعمالة والخيانة، وسيجد نفسه ضعيفاً أمام العاطفة والهوى

(١٩) راجع: حمادة إمام، «الموساد اغتيال زعماء وعلماء»، كنوز للنشر والتوزيع، ص١٨

وعمليات الإغراء الموجهة، وبالتالي يغرق في برك الإدمان السلبي درجةً فدرجةً، إدمان المنتج بأنواعه، وإدمان الإباحية وإدمان المسكنات والمخدرات والموديلات والثقافات الهدامة والفكر الاستهلاكي الخاطئ، التي تتحكم في حياة الإنسان وفي قراراته وتحوله إلى منقادٍ تابعٍ لقيمها ومعادلاتها، وتجرده من قيمه الإنسانية، ومن مبادئه وخصوصياته الإيمانيةً، التي تحفظ له شخصيته وثقافته وهُوِيَّته.

"ولندرك أن الأسلوب الشيطاني لاستدراج الإنسان هو قائمٌ على أساس الخطوات، خطوات الخطوة تلو الخطوة وبتدرج حتى يوصل الإنسان إلى مستوى سيء نتيجة تهاونه، نتيجة لا مبالاته، نتيجة غفلته، ولذلك حذرنا الله -سبحانه وتعالى- من اتباع خطوات الشيطان.

خطوات الشيطان تسير بالإنسان في أحد اتجاهين: إما اتجاه الإقدام على الآثام، الإقدام في الباطل، عندما يدفعه إلى أن يقف في صف الباطل نتيجة مال، أو نتيجة وظيفة، أو نتيجة مصلحة آنية يخسر بسببها مستقبله الكبير مع الله -سبحانه وتعالى- في الدنيا والآخرة.

أو خطوات أخرى باتجاه التراجع فيستدرجه ليخرجه عما هو عليه من حق وتوجهٍ سليمٍ وصادق، ويفسد نفسيته ليهيئه للسقوط أكثر فأكثر حتى يصل إلى الموقف والحال الأخطر."[٢٠]

عندما تحدث المنظِّرُ الأمريكي، (جوزيف ناي) [٢١]، عن تغير سياق القوة، أشار إلى أَنَّ هذا العصر قد تقلصت فيه الحروب العسكرية لكسب الأراضي لأسباب كثيرة، وأَنَّه بات يشهد حروباً من نوع آخر وهي الحرب لكسب الشرعية، وحرب كسب العقول والقلوب -حسب تعبيره- في عصر الحروب النفسية والإلكترونية وما شابه ذلك، وأضاف أن القوة الناعمة تحقق اهم هدف يسعون اليه وهو التأثير في سلوك الاخرين حتى يريدون ما تريد.

ما يؤكّد أَنَّ أساليبَهم الناعمة تتجه إلى القلوب وَإلى النفوس لكسبها والتأثير عليها، فاليَهُود لديهم خبثٌ، وخبرة دينية كالشيطان، وهم يتبعون أساليبَه، ومنها الوسوسة والتزيين والاستدراج التي يصفها القرآن بـ ﴿**خطوات الشيطان**﴾، وتركيزهم

(٢٠) المصدر السابق نفسه

(٢١) جوزيف ناي أستاذ وعميد سابق لكلية الحقوق بجامعة هارفارد، ويعتبر واحدًا من الأشخاص الأكثر تأثيراً في العلاقات الدولية والسياسة الخارجية للولايات المتحدة، وهو الذي ابتدع مصطلحَ الحرب الناعمة وله كتابٌ يسمى «القوة الناعمة» وكان مساعداً لوزير الدفاع في حكومة بيل كلينتون ورئيس مجلس المخابرات الوطني، قسّم المؤلفُ كتابَه إلى خمسة فصول حاول خلالها التفصيلَ في مفهوم القوة الناعمة التي تعمل جنباً إلى جنبٍ مع القوة الصلبة « العسكرية « لتقوية مصالح أمريكا في كُلّ أرجاء العالم.

على القلوب لإفسادها، والنفوس لإيجاد المرض فيها؛ يأتي بهَدفِ كسبها وجذبها، والقرآن يؤكّد أَنَّ القلوب المريضة هي التي تسارع إلى التولي والطاعة لليَهُود، يقول الله جل شأنه: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ﴾ (المائدة من الآية: ٥٢) والشيطان كذلك يركز على القلوب والصدور؛ لأَنَّ الصدور هي منطقة التأثير، ومنطقة الدوافع والرغبات والمخاوف، ومنطقة الانفعالات والغضب، فتأتي عملية الوسوسة لتؤثر عليها، فتنعكس على الواقع العملي في الاتّجاه الخاطئ، يقول -جَلَّ شَأنُهُ-: ﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾(الناس: الآية٥)؛ والصدور هي المنطقة التي نحتاج إلى العناية بها من خلال هدى الله، فالقلب إذا فسد سيكون هو المتحكم في مواقفك، وهو من يحرك لسانك، ويسيطر على وجهات نظرك ومشاعرك، وهو من يحرك مالك ويحرك سلاحك، والقلب هو المضغة التي بصلاحها يصلح الإنسان وبفسادها يفسد الإنسان.

وتقبُّل القلب للفساد سهل إذا عرفت الطريقة المناسبة لذلك، وبالذات عندما تنفصل عن مصادر الهداية، وتخْلُو مما يحصِّنُها من هذه الخطورة، يقولُ الشهيدُ القائدُ -رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِ-: "**أعوذ بالله من الشيطان الرجيم قال -تَعَالَى-: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾** (يس: من الآية٦٠) **عندما ينكشف للناس يوم القيامة للكثير من بني آدم أَنَّهم كانوا يعبدون الشيطان، وهم كانوا في الدنيا يلعنونه، ما كانوا في الدنيا يلعنونه؟ ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيم وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلاًّ كَثِيراً أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾** (يس: ٦٠-٦٢).. **نفس العمل الذي يقوم به اليَهُود، لديهم خبرة شيطانية، لديهم خبث شيطاني، ومكر شيطاني رهيب، فهم يتجهون نحو الوسوسة ونحو القلوب، ونحو النفوس، بأي وسيلة من وسائل الإفساد ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الأرض فَسَاداً﴾** (المائدة: من الآية٦٤) **بأي وسيلة من وسائل الإفساد: بامرأة تبدو مكشوفة في التلفزيون، على المسرح، أَو راقصة في السينما، من خلال شاشة التلفزيون، من خلال قنوات عربية، من خلال قنوات أُخرى فضائية، من مختلف البلدان عن طريق (الدّش) الذبذبات تأتي تدخل الذبذبات عندما ترى امرأة مكشوفة في التلفزيون فاعرف لا بد أن ينقص من زكاء نفسك شيء. ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ﴾** (النور: من الآية٣٠) **أطهر لنفوسهم.. ألم يعملوا على أن تتخلع النساء وتتبرج؟. لماذا؟ هم يعرفون أَنَّ تلك الصورة عندما تراها أنت توجد خللاً في نفسك، ووسيلة مع وسيلة أُخرى، وأُسلُوب بعد أُسلُوب، وطريقة بعد طريقة، ترى نفسك قابلة، وأنت لا زلت تحس في رأسك أن اسمك مؤمن، وأنك مؤمن واسمك مسلم، وتقول للآخر يا يَهُودي يا نصراني، وتنطلق تصلي وتصوم وتزكي وتحج، ومسلم**

مؤمن، ولكن واحدةً بعد واحدة، ضربة بعد ضربة مما يفسد بها زكاء النفس وطهر النفس. ثم تضليل ثقافي، عن طريق الصحيفة، المجلة، التلفزيون، الإذاعة الكُتّاب، الصحفيين، مرشدين، أشياء كثيرة جِدّاً تهاجم الإنسان من كُلّ جهة.. وكلها تتجه إلى أين؟ تتجه إلى قلبه، إلى نفسه؛ ولأَنَّ قلب الإنسان يحتاج إلى أن يكون يحظى برعاية عالية من قبل الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، وأن يكون مملوءًا بهدي الله بهدى الله، مملوءًا بالولاء لله ولرسوله وللذين آمنوا، إذَا لم يكن على هذا النحو فما أسهل أن يفسد، وما أسهل أن يتحول إلى يَهُودي، وإلى نصراني، إلى قلب يَهُودي وقلب نصراني، وهو من يرى أَنَّه ما يزال مؤمناً".[22] وتأبِيّ وساوس الشيطان وأولياء الشيطان، بوسائلَ وأساليبَ كثيرةٍ، لتحَرّك الدوافع السلبية في الإنسان: دوافع الشر، ودوافع المعصية، ودوافع الفساد، ودوافع الانحراف، لتصد الإنسان عن عمل الحق، وفعل الخير وتصده عن العمل الصالح، وتثبطه عن القيام بالمسؤوليات.

ثانيا: الخلل العملي

١. محبطات العمل الصالح

العمل الإيماني الصالح له روحية وله أخلاق وله أسس، والقرآن الكريم يؤكد على الروحية الإيمانية في الواقع العملي، ومنها التضرع إلى الله بقبول العمل، واستشعار التقصير، وإدراك قداسة العمل، وابتغاء ما وراء العمل من القربة إلى الله، والشكر لله على نعمة التوفيق عند كل عمل وأمام أي إنجاز، إضافة للتحرك بدافع المسؤولية الدينية، وابتغاء رضى الله تعالى، وحينما يفقد الانسان في واقعه العملي هذه الروحية، تظهر كثير من الآفات والمشاعر السلبية في النفس، كالغرور والعجب والكبر التي تحبط العمل، وتنعكس على قبوله عند الله وتأثيره في الواقع، فيتحول الإنسان إلى منتجٍ للأخطاء والإشكاليات والانحرافات.

وبالتالي يجب أن يكون العمل الذي يقوم الانسان به، عملاً صالحاً وسليما من المحبطات والانحرافات والتجاوزات، حتى يصلح الواقع، ويكون مقبولاً عند الله، أما إذا كان العمل غير صالح، فإنه ينتج المشاكل ويضاعفها، ولن يكون هنالك توفيق من الله ولا إصلاح للعمل، ولن يكون له نتائج ولا ثمار ولا آثاراً جيدة على الاطلاق.

يقول السيد عبد الملك بدر الدين الحوثي: "**نحن معنيون فيما يتعلق بالعمل، أن يكون عملاً صالحاً حتى يتقبله الله -سبحانه وتعالى-، حتى يكون عملك مقبولاً،**

(٢٢) السيد حسين بدرالدين الحوثي، «الدرس الأول من دروس سورة المائدة»، صعدة: ١٣\١\٢٠٠٢م.

وإذا كان العمل مقبولاً فهذه تعتبر نعمة كبيرة ومكسباً كبيراً جداً، لأنه سيترتب على العمل نتائج، والإنسان مخلوق للمسؤولية، للمسؤولية، وعمله هو الذي يحدد مصيره ومستقبله فيما يقربه إلى الله، وفيما يسبب له أيضاً سخط الله إذا كان عملاً غير صالح.

والعمل الصالح هو العمل الخالي من كل وجوه الفساد، عمل صالح بكل ما تعنيه الكلمة يطابق توجيهات الله -سبحانه وتعالى-، يسلم من عوامل الإحباط للعمل، النفسية – والعملية." [٢٣]

أ- العوامل التي تحبط العمل

العوامل العمليّة: هي التصرفات المصاحبة للعمل أو التي خارج العمل، والتي خارج العمل تكون ذنوباً ومعاصي من غير العمل نفسهِ، يعني التي تكون خارج إطار العمل الصالح، خارج العمل الصالح نفسه، بأن يكذب الإنسان أو يظلم أو يسيء أو يتصرف تصرفات هناك.

والأشياء التي في إطار العمل هي التي تكون معاصي في إطار العمل نفسه، أن يفرط الإنسان وهو متحمل مسؤولية وأمانه ثم ماذا؟ ثم يفرّط، تعتبر هذه معصية، أو يعمل بلا مسؤولية ولا إحساس ولا مبالاة وهو مؤتمن في دور معيّن لم يقم به، وهو مؤتمن في هذا.

فالإنسان يحرص على أن يكون عمله صالحاً حتى يقبل الله منه عمله، لأن العمل الصالح الذي يؤكد عليه القرآن أن يكون ماذا؟ صالحاً، سليماً من وجوه الفساد التي تضرب العمل، وإلا سيبقى عمل الإنسان لا يُقبل، يكون الإنسان على حالة معينة في واقعه النفسي وفي واقعه العملي حتى يرتفع عمله (يطلع ينفذ) يرتفع إلى أبواب السماء، يرتفع ويقبل عند الله -سبحانه وتعالى-، (وإلا سيكون الإنسان مثل الجوّال الذي لم يعد فيه رصيد ويريد يرسل رسالة ويضغط زر الإرسال فلا يستطيع الإرسال لم يعد لديه رصيد للإرسال نهائياً)، فالإنسان كذلك يعمل عمل ولا يُقبل، لم يكن له ثمرة حتى في نفسه وفي واقعه ولا حتى في قربه من الله -سبحانه وتعالى-."[٢٤]

(٢٣) أسباب التوفيق، مصدر سابق

(٢٤) المصدر السابق

ب- العوامل النفسية المحبطة للعمل

من العوامل النفسية التي تفسد عمل الانسان وتحبطه وتبطل فاعليته وتأثيره، وتحوله إلى وزر ومعصية، هي حالة الرياء، عندما يعمل الإنسان عملاً ويريد أن يرائي الآخرين، وليس من أجل الله، ولهذا ورد الوعيد على الرياء حتى في الصلاة، ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ (الماعون٤-٧)

الحالة الأخرى، حالة الغرور وهي من الحالات النفسية الخطيرة على الإنسان، والغرور هو حالة مترادفة مع العجب، فالعجب يثمر الغرور، وعندما يكون الإنسان مغروراً ومعجباً بنفسه، ويرى أن له الفضل على الناس وعلى الله، يفقد التواضع لله -سبحانه وتعالى-، والتواضع مع عباد الله، وتتضخم نفسيته، ويفقد الشعور بعبوديته لله وحاجته إلى الله وفضل الله عليه.

ومن أبرز ما يتصف به المغرور هو الجحود بالنعمة، لأنه يرى نفسه عظيماً، ويتنكر لفضل الله عليه، على النقيض من الإنسان المؤمن الذي يرى في كل عمل يتقنه او يقوم به، أنه بتوفيق الله، وكلما ازدادت نعم الله عليه، عظم الله في نفسه وازداد تواضعاً لله.

والعجب بالنفس هو من الآفات النفسية الخطيرة، ومن الصفات التي يمقتها الله، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً﴾ (النساء من الآية٣٦) والمختال هو: المعجب بنفسه والفخور بأعماله، والمختال يرى لنفسه الحق في أن يقدره الاخرون ويجلوه، ودائما يتمنن بأعماله، أو يتمنن بأسبقيته ومواقفه، وتضحياته وإنفاقه.

من الحالات النفسية الخطيرة المحبطة للعمل، هي حالة الكبر، وقد يكون من ثمرات العجب بالنفس، والكبر هو التعالي على الآخرين، وقد يكون الكبر في البداية حالة في النفس، ثم ينعكس في تصرفات الإنسان، فالمتكبر يرى نفسه أعلى وأكبر من الآخرين، ولم يعودوا شيئاً لديه، وليس لهم أي مكانه، ويرى له الحق عليهم، ومن ثمّ يتصرف بتعالٍ وتكبّر عليهم؛ ويعتبر الكبر من أخطر الذنوب، حيث ورّط الشيطان، وأخرجه عن صف الملائكة وحوله الى كائن ممقوت ومطرود من رحمة الله.

يقول السيد عبد الملك بدر الدين الحوثي: "**من العوامل المؤثرة جداً بشكلٍ سلبي فظيع على توجه الإنسان وعلى استقامته، هي حالة الغرور، والعجب، والتمحور حول الذات البعض مثلاً ينطلق، وقد يكون حتى في مراحل السبق، ينطلق من مراحل مبكرة، هذا بتوفيق الله عليه، ونعمةٌ كبيرةٌ من الله عليه، ويُقدِّم الأعمال، ويتحرك، سيحظى من خلال ذلك بتوفيقٍ من الله -سبحانه وتعالى-، وبشرف**

التوجه في طريق الحق، الإنسان يحصل على ذلك عادةً.

في مراحل معينة تأتيه حالة الغرور؛ نتيجة الغفلة عن الله، لم يعد يحسب ما يوفَّق له أنه مِنَّةٌ من الله، يعتبره توفيقاً من الله، ونعمةً من الله، أصبح يعتبر ذلك عائداً إلى عبقريته الشخصية، إلى أنه- في نظر نفسه- إنسانٌ مهمٌ جداً، موهوبٌ وعبقريٌ، وأنَّ كل نجاح يحققه يعود إلى ذاته، إلى عبقريته الشخصية، وينسى الله، وينسى الفضل لله، وينسى المنَّة لله -سبحانه وتعالى-؛ فتعظم نفسه عنده، تعظم شيئاً فشيئاً فشيئاً، حتى يرى نفسه عظيماً جداً، ويرى نفسه إنساناً عبقرياً، بعيداً عن التقصير، بعيداً عن القصور، ويرى لنفسه منزلةً عاليةً جداً، وشأناً عظيماً، يفترض من خلاله من الناس أن يتعاملوا معه وفق ذلك: أن يُعَظِّموه دائماً، أن يُقَدِّسوه دائماً، أن يخضعوا له في كل ما يشاء ويريد ويبتغي، أن يلبوا له كل طلب، أن يتعاملوا معه بخضوع وخشوع، يتناسب مع المقام الذي افترضه لنفسه.

ويصحب ذلك- عادةً- سوء تعامل من جانبه مع الناس، يفقد التواضع، لم يعد يتعامل مع الناس بتواضع، تكثر جرأته في الإساءة إلى الناس؛ لأنه يرى نفسه شيئاً عظيماً، ويرى الناس لا شيء من حوله، فهو جريءٌ بالإساءة إليهم، وفي نفس الوقت يفترض منهم غاية الاحترام له، منتهى الاحترام له، ويفترض من جانبه أن ليس عليه أن يعاملهم أصلاً بأي احترام، ولا بأي تقدير.

فتنعكس حالة الغرور في معاملته مع الناس، في أسلوبه في التعامل، وفي أدائه للمسؤولية، لم يعد يؤدي المسؤولية بأخلاقها، بقيمها، بتواضع، باهتمام، بحرص، بإخلاص، بصدق، بجد، ينطلق من منطلقٍ شخصيٍ في كل الأمور، بمعنى المحور عنده هو ذاته، المعيار عنده هو نفسه وشخصه، يتعامل مع الناس بناءً على ذلك، كيف هم تجاهه، حتى في أدائه للمسؤولية، هو يؤدِّي المسؤولية مثلاً الأعمال التي قد يتصور أنها ذات شهرة يعمل على أساسها، الأعمال التي قد لا تكون ذات شهرة مهما كانت مهمة لا يرغب فيها، الناس الذين يتملقون له، ويبالغون في الثناء عليه؛ يحبهم جداً، يرتاح لهم جداً، يعتبرهم الناس الجيدين، ويكره الآخرين حتى بمجرد أن ينصحوه، إذا نُصح من جانبهم بنصيحة، أو نبهوه على جوانب قصور، أو خطأ، ولو كان بشكلٍ أخويٍ، وبشكلٍ مؤدب، وبشكلٍ محترم، فالنصيحة تستفزه غاية الاستفزاز، يتعقد من ذلك جداً.

ثم التمحور حول الذات يجعل الإنسان يشخصن كل شيء، يشخصن كل ما يأتي من الناس إليه، يعتبر الموضوع موضوعاً شخصياً، موقفاً شخصياً، عقدةً شخصية، وينظر إلى الأمور في الواقع العملي من هذا المنظور، وهذه حالةٌ

خطيرة؛ لأنها تبعد الإنسان عن الله، تجعله يتنكر لنعم الله عليه، وفي نهاية المطاف لها آثارها السيئة، التي تجعل الإنسان يخسر العمل الصالح، يخسر حتى ما يمكن أن يعطيه الله من مودةٍ في قلوب المؤمنين، من منزلةٍ في قلوب عباد الله، ولا يصل إلى آماله؛ إنما يُعَذِّب نفسه بالعقد النفسية التي تتراكم، ويتعبه كل شيء، كل شيء يمثل إشكاليةً معه، كلمة نصح، تقوم القيامة بسببها، ملاحظة، يقوم ولا يقعد تجاهها، إشكاليات في الواقع العملي، يشخصن كل شيء ويفسر كل شيء بتفسير شخصي، ويبقى دائماً منشغلاً بذاته، بشخصه، يخوض المعارك الكثيرة على المستوى الكلامي وعلى المستوى العملي على هذا الأساس، وهذه حالة خطيرة جداً، والتربية الإيمانية هي تجعل الإنسان بعيداً عن ذلك.“ [٢٥]

٢ .الانحرافات في الأداء العملي

مصطلح الانحراف لا يقتصر على الانحرافات الأخلاقية أو السلوكية المتعلقة بتعامل الانسان، بل هناك حالات انحراف متعددة في ميدان المسئولية والعمل تتعلق بالأخطاء العملية والتجاوزات، ومما سبق يتضح لنا أن الإنسان عندما يفقد الروحية الإيمانية في واقعه العملي، تصبح أعماله غير مقبولة وغير مؤثرة وفاقدة للفاعلية، وتصبح أعمالا يشوبها العلل والأخطاء، ويطغى في الأداء العملي حالات التساهل والإهمال والتصرفات الخاطئة التي تؤثر في الواقع سلباً بدلاً عن إصلاحه، وهذه الحالات هي تمثل حالة انحراف عملي، ويمكن إدراك بعض تلك الحالات من خلال التالي:

ا- الانحراف في مستوى الاندفاع

العمل هو وسيلة إلى الله، ويجب أن يكون الإنسان حاملاً لهذه النظرة، بحيث يستشعر على الدوام أن المسؤولية والعمل وسيلة تقرب الإنسان إلى الله، وهذا يستدعي أن يكون الإنسان منشداً -من الأساس- إلى الله تعالى وحريصاً على رضاه، وحريصاً على أن يسلم من عذاب الله، وأن يكون محباً لله، وينظر للعمل بأنه وسيلة نجاة من شقاء الدنيا وعذاب الآخرة، وأن مستقبله في الدنيا والآخرة مرهون بعمله الجهادي الإيماني.

وبالتالي ينطلق من قاعدة عملية ثابتة مفادها، أن الانشداد الدائم إلى الله مسألة أساسية في الاهتمام بالعمل، وقيمة العمل لديه هي بمقدار ما يقرب الإنسان إلى الله، ويحظى من خلاله برضى الله، ويسلم من عذاب الله، وكلما وعى الإنسان بهذه

(٢٥) السيد عبدالملك بدرالدين الحوثي، المحاضرة الرمضانية الرابعة عشرة ، السبت، ١٥ رمضان ١٤٤٣هـ الموافق ١٦ ابريل ٢٠٢٢م

النتائج والثمار الهامة، ازداد اندفاعاً واهتماماً وإتقاناً للعمل.

وحتى لو انشد الإنسان إلى العمل، وليس مشدوداً إلى الله -سبحانه وتعالى-، ولا إلى ما وراء هذا العمل، ستكون النتيجة هي الإهمال والفتور والتهاون واللامبالاة، وعدم الاهتمام، وعدم تقديس العمل، ويتحول العمل إلى روتين ممل يطغى فيه المزاج الشخصي والاهواء الذاتية.

يقول السيد عبد الملك بدر الدين الحوثي: "**الحالة الروتينية في العمل حالة أخرى، يعني الإنسان بين حالة من حالتين بعد ما يتحرك في سبيل الله، إما قد يغفل يهمل يفرط في أشياء مهمة فيلبس عمله تحركه إيمانه يلبسه بالظلم، يلبسه بالانحرافات بالتجاوزات، بالهتك لمحارم الله -سبحانه وتعالى-، أو حالة أخرى حالة روتينية يفقد العمل فيها قداسته في نفسك والشعور بالقربة إلى الله -سبحانه وتعالى-، لم تعد تشعر إنك في عمل إيماني، عمل تحس بأنه قربك من الله، ولاحظت أثر هذا القرب من الله -سبحانه وتعالى- في وجدانك ومشاعرك ومعنوياتك وتوجهاتك، وتأثيراته بالتالي على عملك نفسه، يصبح شعورك انك في عمل عادي عمل عادي لا تحس معه بقربه لا تحس معه بقداسه لا تحس معه بأهمية ولا بعظمة.**

ثم تطلق العنان لمزاجك الشخصي ليكون هو الحاكم والحكم في هذا العمل، تتحرك على المزاج على المزاج وحينها لا مشكلة عندك في بعض المخالفات، ولا مشكلة عندك في بعض الانحرافات، ولا مشكلة عندك في بعض التجاوزات، وتمني نفسك، يعني لازال لديك ارتباط لا بأس بالعناوين (أنا مجاهد في سبيل الله سابر والله غفور رحيم واحنا مجاهدين وقد عملنا وقدمنا وسوينا وفعلنا ومدري ما هو ذاك)." [٢٦]

وأخطر من ذلك أن التهاون والتفريط في المسؤولية، وعدم تقديس العمل، وإدراك نعمة العمل كقربة إلى الله، قد يجر الإنسان إلى الانحراف واتخاذ الموقف السلبي من الحق واتباع الحق، ويتحول إلى خصم لدود، وصاد عن سبيل الله، فالكثير من التعقيدات والاشكالات والضغوطات التي تصادف الانسان في ميدانه العملي لها مردودات سلبية وتأثيرات نفسية تصل بالإنسان -الذي لا ينطلق من نظرة صحيحة الى العمل- الى أن يهمل ويقصر ويتذمر ويرى لنفسه استحقاقات والبعض في نهاية المطاف قد يتعثر من مواصلة المشوار ويتذرع بحجج واهية.

(٢٦) السيد عبد الملك بدر الدين ، اللقاء العاشر من لفاءات شؤون العاملين -الرقابة الإلهية.

يقول السيد عبد الملك بدر الدين الحوثي: " **الإنسان قابل لأن يتأثر بكثير من العوامل المؤثرة ، التي تؤثر على نفسيته، تؤثر على اهتمامه، تؤثر على وعيه، تؤثر على اندفاعه، وفي كثير من تجارب المجاهدين، والمؤمنين في كل زمن، وفي كل عصر، ينطلق البعض وعنده اندفاع كبير، وتفاعل كبير، وجدّ كبير، وروحية عالية، مستبسل، صابر، متفهم، جادّ، مُندَفع، راغب، ومع مرور الزمن، ووجود الكثير من المؤثرات، يرجع يفتر، يقلّ عزمه، يضعف اندفاعه، يقل تفاعله، كذلك نظرته لقداسة العمل الذي هو فيه، يحصل عنده تراجع، لم يعد لديه اهتمام بالعمل، أو شعور بأهمية وقيمة العمل، أسوأ من ذلك أن البعض قد يصل إلى درجة أنه في نهاية المطاف ينحرف، ينحرف بعد مسيرة طويلة من العمل، والجهاد، والتحرك. ولذلك نحن معنيون دائماً أن نأخذ بأسباب التوفيق، وأن يكون ارتباطنا بهدى الله وبدين الله ارتباطاً وثيقاً.**" [٢٧]

ب - الانحراف في التوجه والدوافع

عندما نتحرك مجاهدين في سبيل الله في مختلف مجالات الأعمال، ففي العادة يكون الانسان في بداية العمل وينطلق باستشعار لأهمية العمل وينظر بقداسة للجهاد في سبيل الله، فتطرأ الكثير من المؤثرات التي تضغط في واقع العمل، وتؤثر على نفسية الإنسان، وقد تنحرف به وتخرجه عن خط الاستقامة، خصوصاً مع التقصير في الارتقاء الإيماني، ومع الغفلة عن الجوانب الروحية والثقافية والتربوية.

والإنسان بهذا التقصير وتلك الغفلة يفتح للشيطان منفذاً إلى نفسه، فتنشأ الكثير من الدوافع والتوجهات والأهداف السلبية، التي تنشَدّ به نحو الرغبات والأهواء، وتحول دوافعه وأهدافه إلى دوافع وأهداف شيطانية، وتصبح مقاصده شاذة عن منهج الإيمان، وبدلاً من أن يكون هدفه رضى الله وخدمة الناس ورفع الظلم عن الآخرين، يصبح هدفه توفير ملذاته وإن كان الآخرون يموتون جوعاً، ويصبح همه إشباع شهواته على حساب معاناة الناس وأوجاعهم؛ فأولويته هي نفسه ومحيطه وأسرته وكمالياته.

ومن هنا يجب أن تكون انطلاقتنا العملية في مواقع المسؤولية وفي مختلف ميادين الحياة، نابعة ومنطلقة من الشعور أننا عبيد لله نؤدي وظائف ومهام نجسد فيها عبوديتنا لله، ونسعى من خلالها إلى كسب رضاه وطاعته والاستجابة لتوجيهاته، ونتقرب بها إلى الله، ونسعى للارتقاء الإيماني والفكري والعملي على الدوام، ونحرص على أن تبقى دوافعنا إيمانية، فلا يكون المال أو المنصب هو ما يدفعنا، ولا تكون

(٢٧) محاضرة أسباب التوفيق، مصدر سابق

السمعة والشهرة هي ما تحركنا.

"إذا قصر الإنسان في التذكر والاستذكار لله -سبحانه وتعالى-، تصبح الحالة العملية، حالة اعتيادية وعملاً روتينياً، وأحياناً ليس هذا فحسب؛ بل يمكن للشيطان في حالة الفراغ داخل النفس داخل المشاعر، في حالة الفجوة ما بين الإنسان وبين هدى الله، في حالة الغفلة عن الله، يمكن للشيطان أن يؤثر في نفسية الإنسان فيحوِّل التوجه في داخله ومشاعره في واقع العمل إلى توجهٍ مختلف، توجهٌ سلبي؛ إما أن يتعاطى مع المسؤولية وكأنها منصب وكأنها فرصة، فرصة له ليستغلها استغلالاً بما يلائم رغبات نفسه، بما يناسب أطماع نفسه، أهواء نفسه، شهوات نفسه، فحينئذ يتحول الدافع من دافع إيماني إلى دافع شيطاني، هذا وارد هذا وارد؛ أن تكون متحركاً في سبيل الله من البداية وباسم مجاهد في سبيل الله، وباسم عمل من الأعمال الجهادية والإيمانية، ولكن مع غفلتك عن الله -سبحانه وتعالى-، ومع الفجوة بينك وبين هدى الله -سبحانه وتعالى-، ومع تأثرك بالتأثيرات التي طرأت في الواقع، إمكانات إن حصل مثلاً إمكانات أو عروض، رغبات، شهوات، تعترضك في واقع العمل، في ميدان العمل، أو فرص تتاح لك، لم تكن فيما قبل متاحة لك، أو أي شيء من المؤثرات، مع تلك الغفلة، مع ذلك البُعد، مع تلك الفجوة عن الهدى، ينتهز الشيطان فرصته عليك، لأنك فتحت بغفلتك عن الله، وفتحت بفجوتك ما بينك وبين الهدى، وفتحت بإلتفات نفسك، وتوجه نفسك، إلى تلك الرغبات أو الأطماع أو الشهوات أو الأهواء، فتحت نافذة كبيرة للشيطان، دخل من خلالها إلى أعماق نفسك، فسدد ضربته فيك، والشيطان انتهازيٌ في طبيعته، انتهازي يعني: هو يترقب أي حالة ممكن أن يستغلها وأن ينتهزها على الإنسان، وحينئذ يغتنم الفرصة لا يفوت الفرصة؛ الشيطان لا يفوت الفرصة، والنشاط الشيطاني نشاط كبير في ملاحظة الإنسان، وملاحظة تصرفاته، وملاحظة أدائه العملي، وملاحظة ملابساته وظروفه ،كيف هي؟ إنه يستغل أي فرصة.

وحصل للكثير من الناس أن جاهدوا في سبيل الله، أن تحركوا في مسارات إيمانية، في أعمال عظيمة، أن كانوا نجوماً لامعةً وأسماءً مذكورة وشخصيات معتبرة، ثم بعد ذلك في مقام معين ومستوى معين، غفلوا قصروا أهملوا، فجوة كبيرة بينه وبين الهدى، تساهل في مسألة الالتزام الديني، غفلة عن الأشياء المهمة التي تشكل ضمانة لاستقامة الإنسان وسلامة نفسة، (نخَّطو والسلام نخَّطوا) ما عاد اعتبروا انفسهم بحاجة دائمة إلى الله، إلى الاهتمام بالنفس، إلى العناية بما يشدهم إلى الله، وحينها تمكن الشيطان منهم، تمكن منهم بشكل كبير، وحوَّل توجههم، بقيت لهم العناوين وبقيت لهم الأسماء، وبقيت لهم الادعاءات؛ لكنهم كانوا

في حقيقة أمرهم، في واقعهم النفسي، في مبتغاهم من الأعمال، في انحرافاتهم داخل الواقع العملي، كانوا قد تغيروا إلى حدٍ كبير، وكانوا قد أصبحوا في اندفاعهم الاندفاع الشيطاني، لم يُعد الاندفاع الإيماني بقي المسمى الإيماني.“ [٢٨]

ج- الانحراف في التصرفات

الإنسان عندما ينتمي للمشروع القرآني وينطلق مجاهداً في سبيل الله، هو ينتمي بالدرجة الأولى إلى القرآن وإلى طريق الأنبياء وأعلام الهدى، بكل ما يعنيه ذلك الانتماء من التزام أخلاقي ومبدئي وقيمي وديني، وبكل ما يقتضيه من انضباط تام وفقَ منهج الله وشرعه، واستقامة حرفية وفق تعليماته.

وفي هذا السياق فإن من المهم الوعي بحقيقة هامة وهي: أن المشروع القرآني ليس تنظيماً حركياً، أو حزباً سياسياً، أو تجمعاً قبلياً، أو منظمة مجتمع مدني بالمعنى السائد، بل هو مشروع عمليٌ واسعٌ فيه الالتزامات الأخلاقية والسلوكية والجوانب المبدئية، ومسارات عملية شاملة لجميع الاتجاهات؛ وهو انتماءٌ أساسه التمسك بالقرآن جملةً وتفصيلاً، والاهتداء به من خلال قرنائه والتحرك على أساسه، وانتماؤنا لهذا المشروع يفرض علينا التزامات كثيرة، فيما بيننا وبين الله -سبحانه وتعالى-، وبالتالي لا مكان للانفلات أو التصرفات المزاجية؛ وكل من يعتبر نفسه مجاهداً ومنتمياً إلى الثقافة والمنهجية القرآنية، يجب عليه أن يعود إلى مبادئها، ويكون محكوماً بها ومحتكماً إليها.

والتذكير بهذه المنطلقات، والاستحضار المستمر لمعنى الانتماء أمرٌ في غاية الأهمية، لأننا نؤمن ونقر بها، ولكن في خضم الأحداث، ومع ظروف العمل، ومع كثرة المستجدات والمشاكل، وضمن الاحداث والمتغيرات، ينسى الإنسان مقتضى الانتماء للمشروع القرآني، وينعكس هذا النسيان على طبيعة التصرفات العملية، حيث تدخل تصرفات يدفع إليها الشيطان، بعيدة كل البعد عن الإيمان والتقوى والجهاد في سبيل الله، وتصطدم مع هذا الانتماء، منها تصرفات فيها ظلم وبغي، وتصرفات فيها تجنٍّ وتعنت وعدم إنصاف من النفس، ومنها تصرفات تفريط وإهمال، وتصرفات يطلق فيها البعض الكلام الجارح أو البذيء، ورغم أنها تحت عنوان الجهاد ومسميات الإيمان، إلا أنها في حقيقتها تعتبر تصرفات شاذة ومنحرفةً عن الإيمان وخارجة عن الحق، وعن مقتضى العبودية لله وخط الاستقامة، إلى عبادة هوى النفس و خط الطغيان، ولخطورة ذلك يأمر الله في القرآن الكريم الرسول -صلوات الله عليه وعلى آله- والمؤمنين معه بأن يستقيموا ولا يطغوا.

(٢٨) الرقابة الإلهية، مصدر سابق.

وفي كل الأحوال يجب على كل المنتمين لمسيرة القرآن والجهاد أن تكون تصرفاتهم في أدائهم العملي وفي ميدان الحياة، محكومة بثقافة ومنهجية القرآن الكريم. وأن يحذروا الشعور السلطوي في مواقع المسؤولية، ويحذروا الاستقواء بالمسيرة على الآخرين، خصوصاً في حالات التمكين، يقول الإمام علي -عليه السلام-: "**ولا تقولن إني مؤمرٌ آمرُ فأطاع، فإن ذلك إدغالٌ في القلب، ومنهكةٌ للدين، وتقربٌ من الغير**" (٢٩)

يقول السيد عبد الملك بدر الدين الحوثي : "**من عوامل الانحراف التي هي تابعةٌ لهوى النفس، متفرعةٌ عن هوى النفس الطغيان. الطغيان وتأتي في مرحلة التمكين، البعض مثلاً في المراحل الصعبة، في الظروف والتحديات الكبيرة، كان يتحرك في سبيل الله وفي طريق الحق، لكن عندما تأتي مرحلة التمكين يطغى، يطغى، يتجاوز الحد، يظلم، يتكبر على عباد الله، لا يبقى ملتزماً وفق هدي الله، وفق أمر الله، ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا﴾** (هود: من الآية١١٢)**، قد يظلم إذا غضب، إذا انفعل، إذا ساءه شيء، يتعامل مع ما يسوءه، أو مع ما يغضبه، بطريقة فيها تجاوز للحق، تجاوز للعدل، وهذه حالةٌ خطيرةٌ جداً على الإنسان، وهي- كما قلنا- تأتي في حالة التمكين، البعض يطغى إذا تمكَّن، ولهذا عندما قال الله: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا﴾؛ لأن الطغيان حالةٌ خطيرة، حالةٌ خطيرة.**

عندما يصبح الإنسان متمكناً، وبمجرد أن يغضب من شيء، أو يسوءُه شيء، أو ينفعل من شيء، تأتي ردة الفعل منه وهي زائدةٌ، يتجاوز بها الحق، يتجاوز بها العدل، هي ليست وفق الحق، ولا وفق العدل؛ وإنما هي وفق ما يلبي رغبته، ما يرضي نفسه، ما يُبَرِّد به غضبه، ما ينسجم مع مستوى انفعاله، يقيس الأمور بمستوى غضبه، بمستوى انفعاله.

ومن أخطر من يتعرضوا لهذه المسألة من هم في موقع المسؤولية، عندما تكون مسؤول في أي موقع من مواقع المسؤولية، مسؤول أمني، مسؤول لك نفوذ، لك تأثير، أو لك وجاهة، أو لديك إمكانية، في أي مستوى من المستويات، من مستوى تأثير على مستوى مجموعة، إلى مستوى مسؤول أمني، أو مسؤول عسكري، أو مسؤول في أي موقع من مواقع المسؤولية، بأي صفة من صفات المسؤولية، عندما يكون الإنسان في موقع المسؤولية، في موقع نفوذ، في موقع تمكُّن، عليه أن يحذر من أن يتعامل مع الأمور من منطلق غضبه، من مستوى انفعاله، بمستوى مشاعره الساخطة، الغاضبة، المنفعلة، المستاءة، إذا قاس الأمور

(٢٩) عهد الامام علي لمالك الاشتر النخعي عندما ولاه على مصر

بمستوى استيائه، بمستوى غضبه، بمستوى انفعاله؛ يطغى يظلم يسيء، يكون سلوكه سلوك المتكبرين، وقد يصل إلى أن يظلم ظلماً خطيراً جداً، سواءً الظلم بالكلام، أو الظلم بالمواقف، أو الظلم بالإجراءات، سواءً في محيطك العملي، أو خارج محيطك العملي، وهذه حالة تُخرِج الإنسان عن خط الاستقامة، وتسبب له سخط الله -سبحانه وتعالى-.

والحالة خطيرة جداً عند الغضب، عند الانفعال، البعض إذا غضب، إذا انفعل وهو في موقع مسؤولية، بسرعة تصبح عباراته عبارات المتكبرين، سلوكه سلوك المتكبرين، أسلوبه أسلوب المتكبرين؛ لأنه ينظر إلى الأمور من موقع صفته وموقعه، والمكانة الوهمية التي ينظر إلى نفسه من خلالها، ولا يتعامل مع الأمور وفق العدل، وفق الحق، كما هي، ويحرص على ذلك، ويتحرى ذلك، هذه مسألة خطيرة جداً.

﴿وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ (هود: ١١٢-١١٣)، لا تميلوا إليهم ولو الميل اليسير؛ لأن ذلك أيضاً يطغيكم، البعض يتعلم من الذين ظلموا، يتعلم منهم أسلوب إدارة الدولة، أسلوب التعامل مع الناس، بدلاً من أن يعود إلى منهج الله الحق، ليلتزم به، يقول لك: (أحنا دولة، هكذا يجب أن نتعامل، أن نقول، أن نفعل)، فيطغى، هذه حالة خطيرة جداً." [٣٠]

(٣٠)المحاضرة الرمضانية الرابعة عشرة ١٥ رمضان ١٤٤٣هـ الموافق ١٦ ابريل ٢٠٢٢م، مصدر سابق

عوامل الاستقامة

وأسبـــاب الانحـراف والسقوط

الفصل الرابع:

عـــوامـــل الاســـتـــقـــامـــة

﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ
عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧﴾

(الفاتحة ٦-٧)

المبحث الأول: الارتباط الوثيق بالله

العامل الأول: الدعاء والالتجاء الى الله

عوامل الاستقامة والثبات من أهمها، وفي مقدمتها الدعاء والالتجاء المستمر إلى الله، وطلب الهداية والتوفيق منه، وكذلك التسليم لله والاعتصام به الذي يمثل الالتجاء العملي إليه، والتقوى لله والإخلاص له والخوف من عذابه...الخ، وهذه المبادئ أساسية في تقوية علاقة الإنسان بالله، فبمقدار ما تدعوه وتلتجئ اليه، وتسلّم لأمره، وتستقيم على منهجه، يهديك ويوفقك للاستقامة، وبقدر ما تبتعد عن الله وتضعف علاقتك به وتركن إلى نفسك، تكون النتيجة أن يسلبك الله هدايته وتوفيقه ورعايته.

يقول الشهيد القائد-رضوان الله عليه-: "**الاستقامة في هذه الدنيا على شرع الله، وعلى نهج الله، تحتاج إلى عدة عوامل؛ حتى توفر لنفسك خط الاستقامة، أولاً: أن يكون قوي الصلة بالله -سبحانه وتعالى-، دائم الالتجاء إلى الله في كل المواقف، في كل الابتلاءات، في كل حياتك، دائم الرجوع إلى الله، أن تطلب من الله -سبحانه وتعالى- أن يثبتك، أن يرزقك الصبر؛ لأن الاستقامة تحتاج إلى الصبر، الاستقامة تحتاج إلى الصبر؛ ولهذا جاء في الحديث الشريف: بأن موقع الصبر من الإيمان كموقع الرأس من الجسد، ولا خير في جسد لا رأس فيه، أيضاً لا خير في إيمان لا صبر فيه.**" [1]

والالتجاء الى الله يعبر عن حالة الخوف والخشية من الانحراف، ويتجلى من خلاله مدى حرص الانسان على الاستقامة ومستوى الشعور بنعمة الهداية والتوفيق للحق وهذا هو الواقع الايماني لأولياء الله وعباده على مر التاريخ، من جانب آخر تعبر حالة الالتجاء الى الله عن مستوى الايمان بأن الهدى من عند الله وأنه من يصنع التأثير في النفوس، وفيها إقرار عملي بالافتقار الى الله والانقطاع اليه وعدم الانقطاع الى النفس، أمام الاهتزازات ومختلف المؤثرات فالإنسان مهما كان لا

"

السيد عبد الملك بدر الدين الحوثي: العوامل التي تساعد على الاستقامة ففي مقدمتها: الالتجاء إلى الله -سبحانه وتعالى-: هذه مسألة مهمة جداً، على الإنسان أن يكون من أهم ما يطلبه من الله: أن يوفِّقه، أن يثبِّته. من أهم الأدعية في القرآن الكريم: دعاء الراسخين في العلم، لاحظوا، وصفهم الله بالراسخين في العلم، الذين لديهم الوعي، البصيرة،

(١) إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا، مصدر سابق

يستطيع مواجهتها دو أن يعتصم بالله ويلتجئ اليه. يقول الشهيد القائد- رضوان الله عليه- : "**الالتجاء إلى الله -سبحانه وتعالى-، عندما تتأمل في كتاب الله كيف كان من وصفهم بأنهم عباده وأولياؤه، دائمي الرجوع إليه، دائمي الدعاء له** ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾ (البقرة: من الآية٢٥٠) ﴿رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ (آل عمران: من الآية٨) **في آخر سورة (البقرة)** ﴿رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ (البقرة: من الآية٢٨٦) **يا إلهي أنت تعلم أنني عبدٌ ضعيفٌ، أرجو منك أن لا تعرضني لابتلاء أهتز معه، وأنا حريص على نهج الاستقامة،** ﴿رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: من الآية٢٨٦).

فأول شيء الرجوع إلى الله، الالتجاء إلى الله، والإنسان بحاجة إلى أن يكون دائم الدعاء لله في هذا المجال خاصة، تدعو الله بالتوفيق، تدعو الله أن يرزقك الاستقامة، تدعو الله أن يرزقك الصبر؛ لأن كل أمورنا، وكل شؤوننا في هذه الدنيا كثير منها يعرضنا للانحراف عن خط الاستقامة، كم يمر الإنسان في حياته بمواقف، وكم نرى من أناس كثيرين ينحرفون عن خط الاستقامة في كثير من مواقفهم، هذا أول شيء." [٢]

ومن المهم أن يكون دعاء الانسان واعتصامه بالله من واقع شعوره بأهمية الاستقامة وادراكه لخطورة الانحراف والزيغ والاعوجاج، فتدعوه بأن يوفقك ويحفظ ايمانك وأن يمنحك الرعاية، وأن يهديك أمام الاختبارات والابتلاءات العملية.

يقول السيد عبد الملك بدر الدين الحوثي: " **العوامل التي تساعد على الاستقامة ففي مقدمتها: الالتجاء إلى الله -سبحانه وتعالى-: هذه مسألة مهمة جداً، على الإنسان أن يكون من أهم ما يطلبه من الله: أن يوفِّقه، أن يثبِّته. من أهم الأدعية في القرآن الكريم: دعاء الراسخين في العلم، لاحظوا، وصفهم الله بالراسخين في العلم، الذين لديهم الوعي، البصيرة، المعرفة الراسخة، المعرفة العميقة، المعرفة بالحق، المعرفة بالهدى إلى درجة عالية وراسخة ومتمكّنة، ليسوا هامشيين في معلوماتهم وبصيرتهم، على درجة راسخة، متمكّنة، ثابتة، من الوعي والبصيرة، مع ذلك هم لا يغترون بأنفسهم، ولا يتكّلون في ذلك على أنفسهم، لا يزال لديهم حالة الخوف من الزيغ، ولذلك علَّمنا الله دعاءهم في القرآن الكريم:** ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ (آل عمران: الآية٨)، **هذا من أهم الأدعية، وإذا دعوت به، فادعُ الله به من واقع الشعور بالحاجة،**

(٢) المصدر السابق نفسه

من واقع الادراك لأهمية هذه المسألة، من واقع الحذر من هذا الخطر، خطر الزيـغ؛ لأنه يحصل للكثير من الناس، يحصل لهم أن يزيغوا، فحتى لا تزيـغ كما زاغوا التجئ إلى الله.

من ضمن الأدعية أيضاً: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ (البقرة: من الآية ٢٨٦)، ربِّ لا تحملنا حتى في الاختبارات العملية، حتى في المواقف التي نواجهها، ما لا طاقة لنا به، فيكون لذلك تأثير علينا في التزامنا، في عملنا، في اهتمامنا.

دعاء بالتوفيق وحسن الخاتمة، وألَّا يكلك الله إلى نفسك: (اللهم لا تكلني إلى نفسي، ولا إلى غيرك طرفة عينٍ أبداً)، من الأدعية المأثورة عن النبي -صلوات الله عليه وعلى آله- أنه كان يدعو الله ألَّا يكله إلى نفسه، أنت هنا تطلب من الله أن يمنحك هو الرعاية الدائمة، أن يحفظ لك إيمانك، ثباتك على موقف الحق؛ حتى لا تتغير بأي بشيءٍ من المؤثرات التي تغيِّر الآخرين." [٣] والالتجاء الى الله والاعتصام به هو التجاء عملي تمتنع بالله وتتحصن به من كل العوامل التي تسبب لك الزيـغ والسقوط.

والالتجاء العملي يعني أن ألتجئ إلى جهة أمتنع بها من أي خطر أو شر يهددني، فتثق بالله وتلتجئ إلى الله ليرشدك كيف تتحرك، ويعينك في المواجهة ويوجّهك إلى ما ينقذك من الخطورة المحيطة بك، ويهديك إلى الصراط المستقيم الذي من خلاله تثبت على إيمانك وتستقيم، وتعرف كيف تواجه أهل السبل والأفكار والمشاريـع المعوّجة، وتتصدى لأهل الكتاب الذين قال الله بأنهم يبغونها عوجاً؛ لأن الاعتصام بالله يمثل مَنَعَةً وحصانة من تضليل أهل الكتاب الثقافي والسياسي والإعلامي، وفسادهم الشامل، ويحمي الشعوب من محاولات احتلالهم للأوطان ومحاربتهم للدين وإفسادهم للنفوس وللحياة، ومن جميع مؤامراتهم بشكل عام.

وفي سياق الحديث عن الحلول في مواجهة أهل الكتاب ومتطلبات الصراع معهم، وردت هذه الآية المباركة، ﴿وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (آل عمران: من الآية١٠١) والآية من بدايتها تؤكد أن هنالك عملاً حثيثاً يتجه نحو تطويـع الأمة لأهل الكتاب ليكونوا كافرين، ويتجه نحو فصل المسلمين عن أي قوة تحميهم، كي يسهل استعبادهم والسيطرة عليهم، فجاء التوجيه الإلهي بالاعتصام بالله، حتى تتحقق الهداية التي تحمي الأمة من الاعوجاج والزيـغ والضلال والانحراف عن خط الاستقامة، ويثبت أهمية هذا التوجيه القرآني ما نجده اليوم من هرولة إلى الولاء المحرم والتطبيع مع الصهاينة، الذي يجسد الانحراف عن خط العبودية لله، ويجسد الانحراف والضلال في أوضح صوره.

(٣)السيد/ عبدالملك بدرالدين الحوثي، المحاضرة الرمضانية الرابعة عشرة، مصدر سابق

"﴿وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (آل عمران: من الآية ١٠١) وإن الاعتصام اعتصام عملي، يعني، التجاء إلى الله ليهدينا إلى الصراط المستقيم الذي من خلاله نثبت على إيماننا ونستقيم ونعرف كيف نواجه أولئك الذين يبغوننا أن نعوج يبغون المسيرة أن تكون عوجاء وأن نكون عوجاً. فكلمة ﴿فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (آل عمران: من الآية ١٠١) هي توحي بماذا؟ توحي بحركة، عمل، ليس الالتجاء هنا فقط يتمثل أو يتجسد في أن تدعو (اللهم دمرهم اللهم أهلكهم فقط). لا. الاعتصام بالله يتمثل في ماذا؟ في الاهتداء إلى صراط مستقيم ﴿وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ﴾ (آل عمران: من الآية ١٠١)

أي أن المسألة تقدم من البداية وكأنك أنت تستشعر الخطورة وتبحث عن جهة ترجع إليها، توجهك كيف تعمل توجهك كيف تعمل، وليس أن توجهها أنت لتعمل، يتجه إلى الدعاء أليس معنى هذا أنه ينطلق يقول للباري (أنت) يوجه الله هو الذي يعمل! لا، إنك أنت تعتصم بالله تتوجه إليه لتمتنع به وليوجهك هو كيف تعمل لتهتدي إلى الصراط المستقيم..﴿وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (آل عمران: من الآية ١٠١) ليعمل الطريقة التي تنجيه من كل مؤامراتهم وفي نفس الوقت يتفوق وليس فقط بشكل منعة بأنهم لن يصلوا إليه بل يستطيع هو مثلما جاء في مسيرة الآيات إلى آخرها أن يتغلب عليهم، أليس هذا الذي حصل في بداية الإسلام؟ ألم يضُربوا وينتهوا في بداية الإسلام؟ فعلاً. فيحصل بهذا الشيء، الاعتصام بالله منعة من تضليلهم الثقافي من محاولات احتلالهم للأوطان من محاربتهم للدين من كل ما تعنيه كلمة عوج، وهم عوج في كل شيء يقدمون ثقافة عوجاء وإعلام أعوجاً وكل مؤامراتهم كلها بالنسبة للناس اعوجاج." [٤] وفي ما يلي سنتناول مجموعة من المبادئ والقيم الايمانية التي لها علاقة بتقوية الارتباط والصلة بالله، وتجسيد معنى الالتجاء إلى الله، وتساعد على الاستقامة وهي كالتالي:

اولاً: ترسيخ العبودية لله والتسليم له

العبودية لله هي العنوان الرئيس الأول في رسالة الله، وهي العنوان الجامع لأنبياء الله وللدين بكله، وقد تحدث القرآن الكريم عنها كعنوان لحركة الأنبياء عندما يتجهون إلى أقوامهم، فيطلبون منهم أن يعبدوا الله، ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ﴾ (نوح٣) ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ (الأعراف٨٥).

(٤) السيد/ حسين بدر الدين الحوثي، الدرس الرابع عشر من دروس رمضان، ١٤ رمضان ١٤٢٤هـ الموافق: ٨/ ١١/ ٢٠٠٣م.

والعبودية لله ليست مجرد إقرار، بل هي حالة اعتقادية إيمانية وعملية، تبدأ من مشاعر الإنسان، فيعيش الخوف من الله والمحبة لله والثقة بالله والتوكل عليه، وبالتالي يستجيب لله ويطيعه، ويمتثل أمره ويلتجئ إليه، ويخضع نفسه لله أمام الرغبة والأنانية، والمزاج، وهوى النفس الذي يعد مفتاح الشيطان لاستعباد الإنسان.

والقناعة الراسخة بمعنى العبودية لله يترتب عليها شعورٌ وإحساس يُطهّر نفسية الإنسان من نزعات الكبر، والرفض لأوامر الله، ويُطَهِّر وجدان الإنسان ومشاعره من النزغات الشيطانية التي تنحرف به عن خط الاستقامة، ويترتب عليها قناعة تجعل الإنسان خاضعاً ومستجيباً لله بدون استثناءات، وكلما ارتقى الإنسان في مراتب، الاحساس والشعور بالعبودية لله، ارتقى إيمانه ووعيه، شعر بالقرب من الله وهدايته اكثر.

وكلما ترسخت العبودية لله في نفس الإنسان ساعدته على الالتزام والاستقامة، ولذلك نرى التلقين للرسول -صلوات الله عليه وعلى آله- في القرآن الكريم حتى في محاججة الآخرين، يعلّمه الله أن يقول لهم: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَّهُ الدِّينَ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (الزمر ١١-١٢) وفي آية أخرى ﴿قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللهَ وَلا أُشْرِكَ بِهِ﴾ (الرعد٣٦). بمعنى أنا عبدٌ مأمورٌ لله، والله أمرني بهذا ولا أستطيع أن أخالف أوامره.

يقول السيد عبد الملك بدر الدين الحوثي: " **من أهم الأمور التي يجب أن تكون محط اهتمام الإنسان: ترسيخ حالة العبودية لله تعالى، تُرَسِّخ دائماً في نفسك أنك عبدٌ لله، أن ترسخ دائماً في نفسك ما يعنيه قولك: ﴿رَبُّنَا اللَّهُ﴾؛ لأن الإنسان إذا لم يُرَسِّخ هذه الحالة بشكلٍ مستمر، ينسى أنه عبد، عبد لله -سبحانه وتعالى-، فيتحول إلى طاغية، إلى طاغية، هذه حالة خطيرة جداً.**

والتسليم لأمر الله: هذا مقتضى العبودية لله، أن تكون مُسَلِّماً لأمره، حتى في الأشياء التي لا تطابق هوى نفسك، لا تنسجم مع رغباتك، لا تكون رغباتك وأهواء نفسك هي معيارك في التعامل مع الأمور.

وأن تسعى دائماً لابتغاء مرضاة الله يكون هدفك الرئيسي، ليس المنصب، ليس المقام، ليست السمعة، ليس المال، ليست الأهواء، هي ما تبتغيه، وتقدم ما تعمله في سبيل الله من أجله؛ لأنه لم يعد في سبيل الله، أصبح في سبيل النفس، من أجل هوى النفس، فابتغِ مرضاة الله على الدوام.

وأن تعتبر المنة لله عليك في كل نجاح أن تنظر إلى نفسك أنه لولا توفيق الله

لك، لولا مِنَّة الله عليك، لما تمكنت من أي نجاح، في أي عملٍ تنجح في أدائه، أو في أي موقفٍ تتوفق لأن تقفه من مواقف الحق، تذكر هذه نعمةٌ من الله عليك.

الله -سبحانه وتعالى- وصف فيما وصف به عباده المؤمنين، المتقين، المجاهدين، المستقيمين، بقوله تعالى: ﴿الْحَامِدُونَ﴾، ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ﴾ (التوبة: من الآية١١٢)**، هم يحمدون الله على الدوام، ويعتقدون أن الفضل لله، والمنة لله، والحمد لله، هو الذي يثنى عليه، عند كل نجاح، تجاه كل نجاح، تجاه كل ما منَّ به عليهم، كل ما منَّ به عليهم يعتبرون الفضل فيه له، وهذه مسألة مهمة جداً."**[٥]

وبقدر ما يرسخ الإنسان في نفسه معاني العبودية لله والتسليم لله ويستحضر على الدوام أنه عبدٌ لله، بقدر ما تبقى مشاعر الإنسان متقبلة لهدى الله وتشريعاته، ويبقى متواضعاً لله وعباده، ومستشعراً فضل الله عليه ونعمته، ويعيش الالتجاء إلى الله والاستعانة به في كل الأحوال والظروف، بكل ما ينبني على ذلك من الانقطاع إلى الله وعدم الاطمئنان إلى النفس، والتحرر من اتباع هوى النفس والمزاج الشخصي، وعند ذلك سيحظى بتوفيق الله تعالى أمام الابتلاءات والفتن، وأمام مختلف المؤثرات والمنزلقات والشبه والاهتزازات، فلا ينحرف أو يزل أو يعوج أو يطغى.

يقول الشهيد القائد -رضوان الله عليه-: "**نحن لا بد أن نسلِّم أنفسنا لله، عندما نقول: ربنا الله، ربنا الله، وفي نفس الوقت نستقيم ﴿ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾، ثم استقاموا، أن أقول: ربي الله بإقرار هو تسليمي، والتسليم، أو الشعور بالتسليم هي حالة نفسية، أنا من داخل من أعماق نفسي أقر بعبوديتي لله، وأسلِّم نفسي لله، وأقبل أيَّ تشريع من الله، سواء توافق مع مصالحي، أو خالفها، سواء توافق مع رغباتي، أو خالفها، سواء انسجم مع كبريائي، أو خالفها، أنا عبد لله، أسلِّم، هذا لا بد أن يكون منطلقاً من داخل مشاعرك، ثم تستقيم ﴿ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾** (فصلت: من الآية٣٠) **الاستقامة على ما أمرك الله به، الاستقامة على ما تعبدك الله به، الاستقامة على النهج الذي رسمه الله -سبحانه وتعالى- لك."** [٦]

التسليم لله مبدأ ألزم الله عباده جميعاً بأن يسلموا له دون استثناء وفي مقدمتهم الملائكة والأنبياء وأعلام الهدى والعلماء والصالحون. ولترسيخ مبدأ التسليم والعبودية لله، نجد مساحة واسعة في القرآن الكريم تقدم الشواهد من واقع الأنبياء والصالحين من عباده، و المستوى الذي كانوا عليه من التسليم لله، والانقطاع اليه،

(٥)السيد/ عبدالملك بدرالدين الحوثي، المحاضرة الرمضانية الرابعة عشرة، مصدر سابق

(٦)إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا، مصدر سابق

وكيف كانت ذهنياتهم ونفوسهم ومشاعرهم مشحونة بمعاني هذا المبدأ العظيم أمام أي موقف أو قضية تطرأ، فيحكي القرآن عن نبي الله وخليله إبراهيم -عليه السلام- الذي كان نموذجاً في تسليمه لله، حتى وإن كان الخطب جللاً، والموقف مؤلماً كما حدث عندما رأى أنه يذبح ابنه إسماعيل، لكن الشيء المترسخ لديه هو التسليم مهما كانت النتائج، والتنفيذ لأمر الله دون تردد، وفي موضع آخر يقول الله عنه: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (البقرة: ١٣٠- ١٣١).

وكذلك نبي الله موسى -عليه السلام-، وكل أنبياء الله كانوا على هذا النحو مسلمين لله ومطيعين له، ومتبعين هداه، وليسوا مخولين أن يقدموا شيئاً من تلقاء أنفسهم، وليس من صلاحياتهم أن يرجحوا أو يجتهدوا أو يعترضوا، مع أنهم أكثر الناس علماً ومعرفة ووعياً، ولو كان هذا الباب مفتوحا لأحد من البشر لكان الأنبياء أولى الناس بذلك.

يقول الشهيد القائد -رضوان الله عليه-: " **التسليم الإلهي يجب أن يكون هو الشيء المترسخ في ذهنيتك، ومشاعرك، وأقرب شيء في ذهنيتك أمام أي قضية تطرأ، أمام أي قضية تحصل.**

نبي الله موسى هنا كيف قال؟ ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ (الأعراف: من الآية١٥٥)، بسرعة، هذه الروحية. فعلاً. هي ماذا؟ روحية، أو قل: منطق من يرسخ في نفسه التسليم المطلق لله، والإيمان بأن الهدى هو من عند الله، وأنه كإنسان يجب أن يكون واثقاً بالله، لا يثق بنفسه، إذا انفرد مع نفسه، إذا وثق بنفسه، وقال نحن. أو أشياء من هذه، يأتي وراءها أشياء أخرى. فجاء تسليم من عند موسى بسرعة: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾ (الأعراف: من الآية١٥٦).

هذه قضية أساسية بالنسبة للإنسان بشكل عام، سواء الأنبياء، العلماء، الأولياء، كل فرد من الناس يجب أن يكون دائماً يعرف أن أساس أن يهتدي، وأساس أن يحظى بعناية الله، ورعايته، أن يكون مرسخاً في نفسه التسليم لله، والتسليم الواعي، أنت مؤمن بأنه حكيم، إذاً يجب في كل فعل من أفعاله، تسمعه، أو تراه، أن تؤمن بأنه حكمة، أن الله لا يفعل شيئاً إلا وهو حكيم، فتقول: ﴿سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾.

تجد كلما يأتي من أشياء تعرض هنا، من قصص الأمم الماضية، سواء الأمم التي كفرت، وفي الأخير ضربت، أو الأمم التي آمنت مبدئياً، وحصل داخلها أشياء

كثيرة من هذه مثلما كانت عليه وضعية بني إسرائيل، كلها، كلها تركز حول موضوع التسليم، نهايتها، أو تقول: لبها وخلاصتها التسليم."[٧]

مفهوم التسليم

التسليم لله هو من المبادئ الرئيسة في القرآن الكريم، التي تجسد عملياً مقتضى العبودية لله تعالى، ويعني الانقطاع إلى الله، والالتزام بأوامره والقبول بتشريعه والسير على هداه، بشكلٍ حرفي سواء توافق مع هوى النفس وكبريائها، أو خالف أمزجة الناس وطموحاتهم ورغباتهم.

والتسليم يعني أن تكون مؤمناً بأن الله حكيم في أقواله وأفعاله، سواء علمت بالحكمة منها أم لم تعلم بذلك، وأن لا يحصل منك خاطرة تساؤل أو ريب أمام فعل من أفعال الله، وتنزه الله عن ذلك، فلست أفضل من الملائكة عندما قالوا: ﴿سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾.

والتسليم لله حالة نفسية تتنافى مع الكبر والغرق في الذات، والرفض لأوامر الله، والمسلّمون لله هم أكثر الناس تواضعاً مع الله ومع عباده واكثر الناس تمسكاً بهدى الله، وتقبلاً له وتفاعلا معه، دون إبداء أي اعتراض أو ملاحظات وتعديلات على توجيهات وسنن الله ومضامين هداه.

وقد جعل الله التسليم معيارا لمدى استقامة البشر في الحياة، فلا يتم للإنسان أن يكون عبداً لله سائراً على صراطه المستقيم دون أن يقر بربوبية الله، ويسلم فيما هدى إليه، وينطلق وفق مقتضياتها العملية. ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ (فصلت: من الآية ٣٠)

يقول الشهيد القائد - رضوان الله عليه - :"التسليم بمعنى: أن الإنسان يكون معترفاً بأن الله هو إلهه، وربه، ويعرف الله، يعرف نفسه أنه عبد لله مأمور، يجب عليه أن يهتدي بهدى الله، وأن يلتزم بهدى الله، أنه عبد لله بكل ما تعنيه الكلمة، يسلِّم، لا يأتي من جانبه أي خاطرة تساؤل أمام فعل من أفعال الله -سبحانه وتعالى-؛ لأن الإنسان قاصر، قاصر في مداركه، لا يستطيع أن يدرك بعض تصرفات البشر أنفسهم، ناهيك عن تدبير الله، وأفعال الله -سبحانه وتعالى-.

كما ذكرنا بأنه بالنسبة لنبي الله موسى نفسه في موضوع الخضر، ألم يبد له أفعال استغربها؟ وهو إذاً أمام إنسان، أمام إنسان كمثله، أو قل مخلوق كمثله،

(٧) السيد/ حسين بدر الدين الحوثي، الدرس التاسع والعشرون من دروس رمضان، ٢٩ رمضان ١٤٢٤هـ الموافق: ٢٣/ ١١/ ٢٠٠٣م

سواء كان إنساناً أو شيئاً آخر، مخلوق كمثله، لم يستطع هذا النبي العظيم الذي قال الله فيه: ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ (طه:٤١)

أن يدرك تماماً الغاية من تصرفات هذا الرجل الذي أوحي إليه أن يذهب إليه ليتعلم منه، فكيف يحاول الإنسان أن يعرف، أو يقطع، أو يتصرف وكأنه قد أحيط بالله علماً، يحيط بكل تدبير الله، فيأتي من جانبه استفسارات، يأتي من جانبه استفهام على هذا النحو الذي فيه نوع من التساؤل الذي يبدو وكأنه يعرف كل غايات تدبير الله، وأفعاله -سبحانه وتعالى-!. هذا هو التسليم، التسليم قضية أساسية." (٨)

ثانياً:الارتقاء الإيماني

الإنسان في مسيرة حياته يُحسب له رصيدٌ تراكمي إيجابي أو رصيد تراكمي في الجانب السلبي، والارتقاء الإيماني والمعرفي والعملي، يراكم للإنسان العلاقة بالله فيزداد قرباً منه ويزداد توفيقه ومعونته ودعمه له، فكلما ارتقى وعي الانسان وإيمانه وعمله، هداه الله ووفقه أكثر، ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ (محمد:١٧). ويتجاوز الكثير من المراحل ويعبر المنزلقات بنجاح.

في الجانب السلبي كلما زادت المعاصي والذنوب تتسع الفجوة بينك وبين الله، وتصبح في دائرة المسخوط عليهم، فتفقد البركة والتوفيق والهداية الإلهية، حتى تصير إلى مستوى الخذلان والضلال، وعندها تسقط وتنحرف وتصبح خصيما للحق وأهله، وبالتالي فالارتقاء الإيماني والاهتمام الكبير بالنفس وتزكيتها والتزود بالمعارف الصحيحة، والعلم النافع، والارتقاء العملي من خلال تطوير الأداء واكتساب المهارات اللازمة التي تحسّن من الأداء العملي، والتطلع نحو أفضل الأعمال، ضرورة من ضرورات الإيمان ويجب أن تستمر مدى الحياة، فلا يوجد مستوى معين يمكن أن يصل إليه الإنسان فيقول أصبحت في مستوى الكمال الإنساني، وفي مستوى المسئولية كاملا.

فرحلة الحياة كلها رحلة مسئولية ورحلة ارتقاء يتزود فيها الإنسان التقوى والإيمان والعلم، يقول الله -جل شأنه-: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ (البقرة١٩٧) ومن الخطأ أن يطمئن البعض إلى مستوى معين من الإيمان والوعي قد وصل اليه، ويضع لنفسه سقفاً لا يتجاوزه؛ فقد يتصور البعض جهلاً أنه وصل إلى مقامٍ لا يحتاج معه إلى زيادة، وهذه حالة غير طبيعية وغير إيجابية، تنبئ عن غرور وعجب، ولا يجوز

(٨) المصدر السابق نفسه

بأي حال من الأحوال أن يحمل الإنسان شعوراً بالاكتفاء.

والإنسان بهذا الشعور يخدع نفسه، عندما يرى أنه قد أكمل كل شيء، فتأتي أحداث وتطورات كبيرة فوق مستوى وعيه وإيمانه وتأتي محكات خطيرة واختبارات واهتزازات فيسقط ويتعثر في العمل، وقد يتحول الى عدوٍ لدود للحق.

ولأن المسار الإيماني هو مسار ارتقاء مستمر وليس جرعة واحدة، نجد أن الحالة التي يربي الله عليها حتى أنبياءه هي أن يكون لديهم إحساس بالتقصير والقصور، وسعي مستمر نحو التكامل، فالله يقول لنبيه محمد -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾ (طه١١٤) وهو في أشرف وأرقى مستوى إيماني، وفي أعلى مقام عند الله -سبحانه وتعالى-.

يقول الشهيد القائد-رضوان الله عليه-: "**مطلب مهم، وغاية تستحق أن يسعى الإنسان دائماً إلى الوصول إليها: أن تطلب من الله أن يبلغ بإيمانك أكمل الإيمان. لا ترضى بما أنت عليه، لا تقف فقط على ما أنت عليه فتضع لنفسك خطّا لا تتجاوزه في درجات الإيمان، وفي مراتب كمال الإيمان.**

من يرضى لنفسه أن يكون له خطّ معين لا يتجاوزه في إيمانه فهو من يرضى لنفسه بأن يظل تحت، وأن يظل دون ما ينبغي أن يكون عليه أولياء الله. الإنسان المؤمن هو جندي من جنود الله، وميدان تدريبه، ميدان ترويضه ليكون جندياً فاعلاً في ميادين العمل لله -سبحانه وتعالى- هي الساحة الإيمانية، ساحة النفس، كلما ترسخ الإيمان في نفسك كلّما ارتقيت أنت في درجات كمال الإيمان، كلما كنت جندياً أكثر فاعلية، وأكثر تأثيراً، وأحسن وأفضل أداء." (٩)

والمطلوب في مسارنا الإيماني أن نسعى نحو الكمال، وأن نرتقي في أدائنا وأساليبنا ومهاراتنا، فنحن في مقام المسؤولية وفي مسيرة عظيمة ومقدسة ومباركة، وفي مواجهة تحديات تكبر مع الأيام، ونحمل مسؤولية تتعاظم ويتسع نطاقها العملي والجغرافي، والصراع ساخن مع الأيام، والمواجهة شاملة في كل المجالات مع أعدائنا من الكافرين والمنافقين، ونحتاج إلى ما يثبتنا أمام هذه التحديات الكبيرة، ونحتاج إلى ما يبصرنا أمام أساليب العدو ومؤامراته، ونحتاج إلى أن نبني واقعنا ونطور أساليبنا وقدراتنا في مواجهته، حتى يتبخر الضلال والنفاق أمامنا، وكل ذلك يتطلب سعياً مستمراً إلى الارتقاء، واهتماماً متواصلاً على المستوى الثقافي، وعلى المستوى السلوكي والعملي، وعلى المستوى الأخلاقي والمبدئي والجهادي، حتى لا نكون نسخاً

(٩) السيد/ حسين بدر الدين الحوثي، الدرس الأول في ضلال دعاء مكارم الاخلاق، بتاريخ: ٢٠٠٢/٢/١م اليمن - صعدة

مكررة للنوعيات التي أضعفت الحق بضعف بصيرتها وإيمانها، واستعبدها الأعداء بغبائها وجهلها، واستشهد أعلام الهدى بين أوساطها نتيجة تخاذلها.

يقول الشهيد القائد -رضوان الله عليه-: " **هذه هي مشكلة الناس، مشكلة الناس في كل زمان، في أيام رسول الله -صلوات الله عليه وعلى آله-، في أيام الإمام علي -عليه السلام-، في كل زمان، الذين لا يفتحون آذانهم لا يمكن أن يؤثر فيهم أي شيء، هم الذين يعجزون القرآن، ويعجزون محمداً، ويعجزون عليا، ويعجزون كل أولياء الله، يجعلونهم عاجزين أمامهم، الذين لا يفتحون آذانهم، أو يفتحونها فترة ثم يضعون لأنفسهم خطا معينا ويرون بأنهم قد اكتفوا، هؤلاء هم من تكثر جنايتهم على الأمة، وعلى الدين جيلا بعد جيل.**

ونحن نحذر دائما من أن يضع الإنسان لنفسه خطا فإذا ما رأى بأن ظروف المعيشة هيأته إلى أن يتفرغ أكثر من جانب من جوانب العبادة كالصلاة مثلا كما يستمع موعظة هنا وموعظة هناك مرة أو مرتين ثم يقول: الحمد لله اكتفيت!

تأتي المتغيرات، وتأتي الأحداث، ويأتي الضلال، والخداع والتلبيس بالشكل الذي ستكون ضحيته أنت، يكاد أن يأخذ حتى بأولئك الكاملين، بعض المتغيرات، وبعض الأحداث، وبعض وسائل التضليل، وأساليب الخداع تكاد أن تخدع الكبار، أولئك الذين يدعون دائما "وبلغ بإيماننا أكمل الإيمان".

ألم يذكر القرآن الكريم عن خداع بني إسرائيل، عن خداع اليهود أنهم كادوا أن يضلوا رسول الله؟ كادوا أن يضلوه لولا فضل الله عليه ورحمته، أولئك الناس الذين كانوا يجاهدون تحت رايته ألم يكونوا يتعرضون للتثبيط فيتخاذلون من جانب المنافقين، وهم من يسمعون كلام رسول الله -صلوات الله عليه وآله-؟.

هكذا إذا أنت لم ترب نفسك، إذا أنت لم تنم إيمانك ووعيك، فإن المنافقين هم من ينمون نفاقهم، هم من يطورون أساليبهم حتى يصبحوا مردة، يصبحوا خطيرين قادرين على التأثير, قادرين على ضرب النفوس، ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ﴾ (التوبة: من الآية١٠١) من خبثهم استطاعوا أن يستروا أنفسهم حتى عن رسول الله -صلوات الله عليه وعلى آله-، استطاعوا أن يستروا أنفسهم حتى عن بقية الناس، أنهم منافقون، ثم تنطلق منهم عبارات التثبيط, عبارات الخذلان فيؤثرون على هذا وعلى هذا، وعلى هذا، تأثيرا كبيرا، هؤلاء مردة، كيف أصبحوا مردة؟.

لأنهم هم من يطورون أساليب نفاقهم، من ينّمون القدرات النفاقية داخل

أنفسهم، فأنت يا من أنت جندي تريد أن تكون من أنصار الله، ومن أنصار دينه في عصر بلغ فيه النفاق ذروته، بلغ فيه الضلال والإضلال قمته يجب أن تطور إيمانك، أن تعمل على الرفع من مستوى وعيك.

فإذا لم يكن الناس إلى مستوى أن يتبخر النفاق أمامهم، أن يتبخر التضليل أمامهم فإنهم هم قبل أعدائهم من سيجنون على أنفسهم وعلى الدين، وعلى الأمة، كما فعل السابقون، كما فعل أولئك الذين كانوا في ظل راية الإمام علي، وفي ظل راية الحسن، وفي ظل راية الحسين، وفي ظل راية زيد -عليه السلام-.» [١٠]

مما يحتاج الإنسان للارتقاء فيه هو المسار الجهادي والاستعداد للقتال والتضحية في سبيل الله، ومن لا يحمل هذه الروحية وهذا المستوى من الاستعداد فهو ناقص الإيمان، وإذا لقي الله وهو مضربٌ عن ذلك سيدخل ضمن ما قال عنه الرسول -صلوات الله عليه وعلى آله- **﴿من مات ولم يغزُ ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبةٍ من النفاق﴾**.

يقول السيد عبد الملك بدر الدين الحوثي: " **طبيعة الأحداث وطبيعة التحديات وحجم المشاكل في الميدان يستوجب منا جميعاً كل من هم في مستوى التكليف وفي موقع التكليف والمسؤولية أن نربي أنفسنا على الاستجابة الكاملة لله، أن نسعى لأن نكون مقاتلين في سبيل الله، وليس فقط أن تكون مستوى الاستجابة محدودة، أنا مستعد أن أكون مجاهداً في سبيل الله إذا كان عملي ينحصر على عمل ثقافي، أو عمل سياسي، أو عمل اجتماعي، لا !، الواقع الإيماني يربي على هذا ﴿إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾** (التوبة١١١) **لا بد إذا كنت تريد أن تعد نفسك من المؤمنين وأن تنطلق انطلاقة المؤمنين أن تصل إلى هذا المستوى مستوى الجهوزية التامة لبيع نفسك من الله -سبحانه وتعالى- ، وأن تكون لديك الاستجابة التامة لأن تكون مقاتلاً في سبيل الله.**"[١١]

ثالثاً: الصبر العملي

الصبر العملي أساس في تحقق الإيمان، وفي اكتمال الإيمان، وفي الثبات على الإيمان، ونحتاجه في الصبر على طاعة الله، وفيما نواجه من مشاق، أو الصبر عن معصية الله من خلال الضغط على النفس والسيطرة عليها، ومنعها من التورط فيما هو

(١٠) السيد/ حسين بدر الدين الحوثي، الدرس الأول في ضلال دعاء مكارم الاخلاق، مصدر سابق

(١١) السيد/ عبد الملك بدر الدين الحوثي، اللقاء السابع، لقاءات شؤون العاملين،١٤٣٨هـ

عصيان لله -سبحانه وتعالى-.

ونحتاج إلى الصبر في مواجهة أعباء المسؤولية، وواجباتنا المهمة في الحياة التي تحتاج إلى صبر، وكذلك الصبر في مواجهة المحن والآلام والشدائد والمصائب، وله أهميته الكبيرة التي شبَّهها الرسول -صلى الله عليه وعلى آله- فيما ورد عنه عن الصبر أنه: (من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد).

والصبر الذي له هذه المنزلة هو الصبر الخالص لوجه الله، والصبر الذي يأتي في إطار المسؤولية، سواءً الصبر عندما يستشهد أقارب او أصحاب أو قادة، أو الصبر على نقص من الأموال، والصبر على الشدائد وعلى معاناة الحرب ومواجهة الحصار وانقطاع المرتبات، والصبر على مواجهة الحملات الإعلامية وشن الدعايات والشائعات المكذوبة، هذا هو الصبر المطلوب الذي يحمي الناس من الزلل، ويصنع حالة من التماسك والثبات عند المنزلقات، ويضبط الإنسان من التراجع؛ لأنه صبرٌ في ميدان العمل، ونابع من وعي وثقة بالله، وصدق مع الله، ونابعٌ من حرص على أن يصل ما أمر الله به أن يوصل فلا ينقطع في منتصف الطريق الذي أمر الله المؤمنين بأن يواصلوا السير عليه، إلى الغاية المنشودة التي يجب أن يسعوا لأن يصلوا إليها، ولذلك يصفهم بأنهم صبروا ﴿ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾، فهم مستمرون لا ينتظرون ثناء او مديحا من أحد.

وعندما يكون الصبر عملياً ومنطلقاً من إخلاص لله، سيستمر مهما طالت المرحلة، فالمخلصون لا يضعون حداً لصبرهم، فهم يصبرون في كل المجالات نحو الغايات الطويلة، ويصبرون في أداء المهام الكبيرة، وحاجتهم لرضى الله باقية وليس لها نهاية، فليس هناك حدود فيما بينهم وبين الله، وليس هنالك نقاط تحدد ما يطلبونه من الله، وما يعملونه ابتغاء وجهه.

والصبر القائم على الإخلاص لوجه الله لا يحصل فيه الملل أو الضعف، فالصابر يرى أنه في نعمة عظيمة ويستحلي المعاناة والعواقب، ولأنهم صبروا ابتغاء وجهه لا يشعرون أن العمل قد أجهدهم فأصبحوا على حافَّةٍ من الملل ومن التراجع. ومهما بلغت الأمور والمعاناة، يزدادون صبراً، نتيجة الحرص على رضى الله والقرب منه أكثر.

وعندما يضعف صبر المؤمنين في مواجهة عدوهم هم يعطونه سلاحا ويمكنونه من ضربهم، فيستقوي بضعفهم على سحقهم والتنكيل بهم، وبالتالي لا يكتمل الإيمان بدون صبر، ولن تتحقق نتائج إيجابية بدون صبر.

أما الصبر على الذل وعلى الخضوع والقهر، والسكوت والباطل يسود والفساد ينتشر

والحق يضيع والناس يظلمون ويقهرون وعباد الله يستضعفون، واليهود والنصارى يتحركون هنا وهناك، فهذا لا يسمى صبراً، إنما هو ذل بكل ما تعنيه الكلمة، وضياع للإيمان وانحطاط في النفوس.

فالصبر في القرآن الكريم، هو الصبر في ميادين العمل في مواجهة أعداء الله، وتحمل مختلف الشدائد، وهذا هو الصبر الذي يمثل الاستقامة ويصنع الثبات على موقف الحق. **يقول السيد عبد الملك بدر الدين الحوثي: "من أهم الأمور التي يحتاج إليها الإنسان ومن أساسياتها: الصبر: الصبر شيءٌ أساسيٌ جداً للاستقامة، لمواصلة المشوار، لمواصلة الطريق، للالتزام المستمر، يحتاج الإنسان إلى الصبر في كل الحالات، الصبر في حالات الغضب، الصبر في حالات الرضا، الصبر أمام الشهوات والرغبات والإغراءات، والصبر أيضاً أمام المخاوف والتحديات والأخطار وضغوطها، في كل الأحوال يحتاج الإنسان إلى الصبر، ولهذا يأتي في القرآن الحث المتكرر على الصبر: ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾** (الأنفال: من الآية٤٦)، **﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾** (آل عمران: من الآية١٤٦)، **﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾** (الزمر: من الآية١٠)، **الصبر شيءٌ أساسيٌ لابدَّ منه، ويستعين الإنسان بالله في ذلك، ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾** (النحل: من الآية١٢٧)، **﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾** (الأعراف: من الآية١٢٦)." (١٢)

رابعاً: الحفاظ على الإخلاص لله

من أهم مظاهر العبودية لله تعالى أن تنطلق مبتغياً بعملك مرضات الله، فتتوجه إلى الله بالعمل في السر والعلن، لا تريد من ورائه سوى التقرب إلى الله، وتوجه الأمل اليه، تأمل منه هو أن يتقبل منك عملك، وتقطع أملك في البشر.

الله -جل شأنه- يقول في كتابه: **﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾** (غافر:٦٥) والإخلاص في الدين لله -سبحانه وتعالى-، يستدعي أن تكون نظرتك إلى الخلق أنهم كلهم عبيدٌ مثلك، مفتقرون إلى الله ومحتاجون إليه ليس لهم في أيديهم إلا ما أعطاهم، ولن يدفعوا عن أنفسهم إلا ما وقاهم، وأنه من بيده خزائن السنوات والأرض، وهذا الذي يقربك من الله فيَمُن بهدايته وتوفيقه ورحمته عليك، وهو الضمانة من العُقد والعذابات النفسية التي تحصل لفاقدي الإخلاص، ويساعد على الاتزان والحكمة فالمهووس بالشهرة والمنصب عادة ما يفقدون اتزانهم ورشدهم بهدف البروز والظهور.

(١٢)السيد/ عبدالملك بدرالدين الحوثي، المحاضرة الرمضانية الرابعة عشرة، مصدر سابق

والإخلاص لله قضية أساسية في مجال العبادة لله والطاعة والجهاد وفي المسيرة العملية، وفي أداء المسؤولية وممارسة الاعمال، فعندما تطغى المقاصد الشخصية، يصبح الأداء سلبياً ويمتلئ بالعقد والإشكالات والتذمر، وتصبح فاعلية الشخص المرائي محدودة، وقد يصل إلى التوقف لأي عائق أو إشكال.

وبعض المنتمين لخط الجهاد والإيمان ينطلق بتفانٍ واهتمام، ومع الغفلة وقصور الذكر والتذكر لله، يصلون إلى بعض المراحل فيتوقفون أو ينحرفون ويخرجون عن دائرة الحق، نتيجة مؤثرات طرأت في الواقع، فغيرت التوجه والدافع، وبدلاً من أن يكون الهدف هو رضى الله، تصبح الأهداف المادية أو المناصب والرتب أو السلطة والمال هي الدافع والمحرك، وبالتالي يفسد العمل ويفقد تأثيره وفاعليته، ويتحول إلى شرك عملي ومعصية، نتيجة توجيه العمل إلى غير الله تعالى.

يقول السيد عبد الملك بدر الدين الحوثي: "**الإنسان قد ينطلق في مراحل معينة بإخلاص لله، همه رضوان الله، وهمه أن يتقبل الله منه عمله، إلى مراحل معينة، ثم يتأثر إخلاصه، كما أشرنا سابقاً في الآفات والعوامل السلبية، التي تنحرف بالإنسان، يتجه إلى اهتمامات أخرى، رغبات، أو تمحور حول الذات، أو أياً من ذلك.**

ولذلك يحتاج الإخلاص لله إلى حماية، إلى محافظة، إلى استمرارية، أن يبقى دائماً في كل المراحل همك هو مرضاة الله تعالى، أن يرضى عنك، أن يتقبل منك عملك، ما تريده، تريده منه، تريد الخير، تريده منه، تريد العزة، تريدها منه هو -سبحانه وتعالى-، هو الذي يعطي العزة، بيده الخير كله، فلا تتوجه آمالك ورغباتك إلى الناس من خلال ما تعمل، هذا له تأثيره السيئ جداً.

الحفاظ على الإخلاص لله، والذوبان في طاعته، والحذر من تغير الوجهة، تبقى وجهتك نحو الله، (رَبُّنَا اللَّهُ)، اتجاهي إليه، إذا تغيَّرت الوجهة، أصبحت منصباً، مطمعاً، مكانةً، رغبات معينة، مواقع معينة... بأي عنوان، فهذه حالةٌ خطيرة قد تنحرف بك".[١٣]

وحتى نحفظ إخلاصنا لله في أعمالنا وعند أداء مسؤولياتنا، يجب أن يبقى الهدف من العمل هو القربة إلى الله تعالى والحصول على رضوانه، وفي المقابل نحارب أي اهداف ذاتية او مطامع شخصية او مكاسب مادية نريدها من وراء العمل، وهذا الشعور هو الذي يحمي استقامتنا العملية، وإلا فالكثير يتراجع اهتمامه ويقل اندفاعه

(١٣)السيد/ عبدالملك بدرالدين الحوثي، المحاضرة الرمضانية الرابعة عشرة، مصدر سابق

ويذبل نشاطه، ويضعف موقفه، ويتأثر أداؤه العملي، عندما لا تتحقق له الأهواء والمطامع التي يطمح إليها من وراء جهاده، وبالتالي لا حل أمامنا لسلامة العمل واستمراريتنا عليه بفاعلية واهتمام وتأثير، إلا الانشداد إلى الله وابتغاء مرضاته، ولهذا نجد الآيات القرآنية التي تتحدث عن الجهاد والمسؤولية بشكل عام تربطها بالله، وابتغاء مرضاته، فيقول: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ﴾ (الصف: من الآية١٤) ويقول ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾(الحج٧٨) والانفاق كذلك يجب أن يكون في سبيل الله، والصبر يجب أن يكون ابتغاء وجه الله، وهكذا تجد أن القرآن الكريم يربطنا بالله ويقدم العمل كوسيلة تقربنا إلى الله، باعتبارها الضمانة لأن يكون العمل صالحاً ومقبولاً وله تأثير في الواقع والنفوس، وهو الضمانة لبقاء الإنسان منطلقا باهتمام دون كلل أو ملل.

يقول السيد عبد الملك بدر الدين الحوثي:" **لو نأتي إلى القضية الأولية والأساسية فيما يتعلق بالهدى، وفيما يتعلق بالدين، وفيما يتعلق، بالحق، هي قضية ارتباطنا بالله، هذه أول قضية، وأهم قضية، والقضية الأساس. ارتباطنا بالله -سبحانه وتعالى-، إيماننا به، إنشدادنا إليه، وهذا يعود إلى التفاصيل المذكورة في الخوف والرجاء والرغبة والرهبة وهذه القضايا الأساسية.**

مثلاً في الواقع العملي إذا ابتعد الإنسان عن هذه القضية أولاً، القضية الأساس، يتأثر، لم يعد ينشدّ إلى العمل، العمل الذي يقربك إلى الله، العمل الذي تحظى فيه برضى الله، العمل الذي يكون فيه السلامة من عذاب الله ومن سخط الله، لم يعد مهم عندك، لم تعد منشداً إلى الله بالأساس، ولهذا قال الله ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾ (الكهف من الآية ١١٠) إذا كان الإنسان ينظر إلى العمل فقط، إلى العمل، نظرته محدودة إلى ماذا؟ إلى العمل ليس مشدوداً إلى الله من الأساس، سيملّ العمل، سيصبح العمل ليس له أهمية عنده، عندها يفتر من العمل، يكسل من العمل، يفقد اهتمامه بالعمل نفسه، اهتمامه بالعمل نفسه." (١٤)

(١٤) السيد عبد الملك بدر الدين الحوثي، محاضرة أسباب التوفيق، مصدر سابق.

خامساً: استشعار القصور والتقصير

يتصور البعض أن الاستغفار لا حاجة إليه إلا في حال ارتكبنا ذنباً ومعصية، وذهب البعض لما هو أسوأ من ذلك عندما قالوا بضرورة المعصية لأجل الاستغفار! وفي الحقيقة نحن بحاجة إلى الاستغفار حتى وإن كنا أنبياء أو ملائكة، فالإنسان مهما كان يبقى مقصراً، ولن يستطيع أن يفي بحق لله، ولن يصل إلى مستوى يكون فيه قد حقق ما يجب عليه، والقرآن الكريم يعلمنا كيف كانت الآيات تأمر الرسول محمداً وهو خاتم النبيين وسيد المرسلين، بأن يستغفر الله، وأن يتقي الله وهو الإنسان الكامل، في إيمانه وتقواه وطهارة نفسه، وفي حرصه على هداية عباد الله. فيقول الله -جل شأنه-: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (محمد: من الآية ١٩) ويقول ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ (الفتح: من الآية٢)، ونجد خليل الله وأبا الأنبياء مستشعراً قصوره ومعبراً عن خوفه من الله تعالى، وطمعه في مغفرته، فيقول الله حاكياً عن نبيه إبراهيم: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ (الشعراء٨٢).

والقرآن الكريم يربي المؤمنين على الشعور بحاجتهم إلى الله، واستشعار فضله وعونه وتأييده، عند كل إنجاز، وفي مختلف الأحوال، فعقب النصر الذي تحقق في معركة بدر أنزل الله قوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى﴾ (الأنفال١٧).

وفي ذلك بعداً تربوياً يرسخ الشعور بأن الفضل والمنَّة لله، حتى لا يشعر الناس بغرور أو يتصوروا أن قوتهم وإقدامهم وشجاعتهم، أو إمكاناتهم هي من فتكت بالعدو؛ فالمطلوب أن يستشعروا باستمرار الحاجة إلى الله، ويدركوا أن الفضل لله، وأنه لولا تأييد الله لتغلب عليهم العدو فهو الأقوى من حيث العدد والعدة.

ويبقى الاستشعار للقصور والتقصير، حاجةً ملحة لاستقامتنا في الحياة، وضرورة ماسة لصلاح العمل وقبوله عند الله تعالى، فعندما تغيب هذه المشاعر تبرز بدائل سلبية وآفات نفسية، تؤثر على علاقتنا بالله، وعلاقتنا ببعضنا البعض وعلاقتنا بواقعنا العملي، ويمكننا القول إن أي انجاز مهما كان حتى لو فتحنا القدس وطهرنا الأرض من كل المجرمين، فإن أول ما ينبغي القيام به هو الاستغفار على التقصير، وأن نطلب من الله أن يتقبل العمل، ونشكر الله الذي وفقنا وأعاننا على أدائه؛ لأن هذه اللحظات هي أخطر توقيت يمكن للشيطان أن يصطاد الانسان فيه، وبالتالي فإن الإنسان في حالة الإنجازات ومع نشوة النصر إذا لم يغرق في تسبيح الله وتمجيده، سيغرق في تمجيد ذاته، وتقديس نفسه، وبعد ذلك تأتي الاستحقاقات والأهواء والخلافات والعقد.

يقول السيد عبد الملك بدر الدين الحوثي: "**من أهم الأمور التي يجب أن يستشعرها الإنسان بشكلٍ مستمر، هي: قصوره وتقصيره: أن يستشعر على الدوام أنه مهما عمل، مهما قدَّم، لا يزال مقصِّراً بجانب حق الله عليه، وبجانب الواقع نفسه، مستوى أداء المسؤولية، لا يزال الإنسان قاصراً مهما بلغ، مهما أدَّى، مهما عمل، وأنَّ الفضل لله عليه في ذلك؛ وبالتالي إذا وفِّق، يعتبر الفضل لله -سبحانه وتعالى- فيما وفَّقه إليه، ويعتبر نفسه مقصِّراً، يرجو من الله أن يغفر له تجاه تقصيره.**

هنا درسٌ عظيمٌ جداً، درسٌ كبير فيما وجَّه الله به نبيه، وسيِّد رسله محمد -صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله-، رسول الله محمد أمره الله بالاستغفار كثيراً، وتكرر ذلك في القرآن الكريم، ومن ضمن ذلك قوله له: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ (النصر: ١-٣)**، في ذروة الإنجاز، في قمة الإنجاز: النصر، والفتح، ودخول الناس في دين الله أفواجا، قال له: سبِّح بحمد ربك واستغفره، سبح بحمده، لا تسبح بحمد نفسك.**

الإنسان عند ما ينجز عملاً معيناً، أو يحقق نتائج معينة، أكثر الناس في مثل تلك الحالة يسبحون بحمد أنفسهم، على مستوى الاستغراق في التفكير، يجلس يفكر عن نفسه، أنه إنسان ناجح، أنه إنسان عظيم، أنه إنسان مهم، أنه... معجب بنفسه، هواجسه، تفكيره حول ذلك، مشاعره حول ذلك، ويفكر كيف الآخرون؟ هل سيثنون عليه الثناءات الكبيرة؟ هل سيطبلون له، ويمجِّدونه، ويعظِّمونه على ذلك، أم أنهم مقصِّرون في ذلك، أو غير مهتمين بذلك، فهذا يعود إلى حسدهم، أو حقدهم... أو غير ذلك؟!

الإنسان عند كل إنجاز ليحذر من الاستغراق- وعند كل نجاح، وعند كل موقفٍ عظيمٍ يقفه- من الاستغراق في التسبيح بحمد بنفسه، بل يتجه إلى الله، يعتبر الفضل لله عليه، المنَّة لله عليه، أنَّ صاحب التوفيق الحقيقي هو الله، هو الذي وفَّقه، لولا توفيقه، لكان لا شيء، لما نجح بشيء، لما أنجز شيئاً؛ وبالتالي يتوجه نحو الله، يستغرق على مستوى التفكير في ذلك، وعلى مستوى الذكر، يسبح الله ويحمده، ويطلب من الله المغفرة على ما لا يزال لديه من جوانب والقصور والتقصير.

هذه المشاعر الإيمانية الراقية العظيمة، تحمي الإنسان من الغرور، تحميه من العجب، تحميه من الكبر، تحميه من التمحور حول الذات، وهي من أهم الأمور، من أهم الأمور التي يحتاج إليها الإنسان، ومسألة مهمة يغفل عنها الكثير من الناس، هذا فيما يتعلق بالإنسان على المستوى الشخصي.

على المستوى الجماعي: أمة معينة تنطلق على أساس الاستقامة في العبودية لله، ووفق هديه وأمره، كما أمر، لابدَّ أن يسود فيما بينها التواصي بالحق، والتواصي بالصبر، هذه مسألة مهمة جداً، مما يساعد على الاستقامة، وأن يتعوَّد الناس فيما بينهم على التواصي بالحق، وعلى عدم الغضب منه.

للأسف الشديد، للأسف الشديد، الكثير من الناس يُغضِبُه أن يُوصَى بالحق، أن ينصح بالحق، حتى مع التزام الآداب، حتى مع التزام الكلام الطبيعي، حتى بدون استفزاز، بمجرد أن ينصح، أو يُوصَى بالحق، وبالذات من هم في مواقع مسؤولية، من أصبحوا تطلق عليهم ألقاب وأسماء في مواقع مسؤولية معينة، يصبحون هم الأكثر غضباً، انفعالاً، استياءً، عقداً ممن يوصيهم بالحق، أو ينصحهم بالحق، مهما كان أدبه، مهما كان احترامه، مهما كانت عباراته عبارات فيها التذكير بالله -سبحانه وتعالى-، ليست جارحة، لكنها ناصحة، فالكثير يغضبون من ذلك.

يجب يجب ويجب- لو نقولها مائة مرة لكان قليلاً- أن يتخلَّص الإنسان من مثل هذه العقدة: عقدة الغضب، الانفعال، الاستياء ممن يوصيه بالحق، ممن ينصحه بالحق، ممن ينبهه على جوانب معينة من القصور، ومن هم في مواقع المسؤولية، مهما بلغت مراتبهم، مسمياتهم، مواقعهم، فهم أكثر حاجةً إلى أن يُوصَوا بالحق، وأن يقبلوا بالتواصي بالحق، وأن يبتعدوا عن الأنفة والكبر تجاه ذلك، هذه حالة سيئة جداً، استياء الإنسان وغضبه الشديد عندما يُوصَى بالحق، نفسية سيئة جداً، لا يجوز أن تبقى لدى الإنسان نهائياً.

التناصح كذلك مسألة مهمة جداً، التناصح وفق آدابه، بالتذكير الأخوي، بتجنب الكلام الجارح، والكلام المسيء، والأسلوب الاستفزازي؛ لأن الأسلوب الاستفزازي يُفهَم منه التوبيخ، الإهانة، أكثر مما يُفهَم منه النصيحة، أكثر مما يُفهَم منه التواصي بالحق." [١٥]

وحينما لا يعيش الإنسان الشعور بالتقصير، سيكون البديل هي حالة التمنن والعجب والغرور، ومشكلة الكثير ممن أصيبوا بالعقد وتعثروا عن مواصلة المشوار الجهادي، هي أنهم رأوا لأنفسهم استحقاقات، ورأوا أنفسهم مهمشين، واتهموا الآخرين بعدم تقدير جهودهم، وكثير من الخلافات التي تطرأ في واقع العمل لها أسباب نفسية متعلقة بحالة الغرور والنظرة الشخصية، نتيجة عدم استشعار القصور والتقصير، وعدم الشعور بفضل الله وتوفيقه، وعدم الحرص على أن يكون العمل مقبولا عند الله تعالى؛ ولنا في نبي الله إبراهيم القدوة الحسنة، وابنه نبي الله إسماعيل، وهم

(١٥) السيد/ عبدالملك بدرالدين الحوثي، المحاضرة الرمضانية الرابعة عشرة، مصدر سابق.

يبنيان البيت الحرام، ففي تلك اللحظة التي يرى الكثير من الناس أنفسهم يقومون بإنجاز مشروع عظيم، كانا منشدين إلى الله وذائبين في العمل، وهمهما أن يكون عملا صالحا ومقبولا، ويطلبان من الله المغفرة.

"﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾ (البقرة: من الآية١٢٨) هنا يقدم إبراهيم وإسماعيل شخصيتين عندهم حيوية، واهتمام عالي، ومشاعرهم كلها مليئة بالتوجه إلى الله، والإخلاص لله، والتقرب إلى الله بكل عمل ممكن ينالونه متجهين لبناء البيت فيرفعون قواعده وبإخلاص لله ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ لاحظ كيف فيما يتعلق بالمسئولية أليس شرفاً عظيماً لإبراهيم وإسماعيل؟ هنا في قضية الشعور بالجدارة أنها قضية يجب أن تنسف التي أصبح عليها بنو إسرائيل فيما بعد فرأوا أن الكثير مما حصل لهم بحيث أن فيهم أنبياء وورثة كتب، وأشياء من هذه، ونعم وأشياء وكأنها جدارة، هم جديرون، هم جديرون، فليس لله فضل!

هو شرف عظيم لإبراهيم وإسماعيل أن يوكل إليهم القيام بهذه المهمة، لكن لاحظ أليس هنا ذائبا في مسألة أنه يؤدي عملاً صالحاً يقبله الله، ناسيا موضوع (إذاً والله شرف عظيم حظيت به) وناسي أنه فقط يرى نفسه كبيراً، ويضخم نفسه، ذائب في الله، وفي العمل الصالح الذي يرضي الله ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ هم يعرفون أهمية البيت الحرام كمعلم من معالم توحيد الله، والتوجه الواحد كقبلة، يتوجه إليها عباد الله الموحدون ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ أنفسنا هذه نسلمها لك، هنا ألست تلمس أنه لا يوجد لديه التفاتة لنفسيته على الإطلاق، ليس مستغرقاً لمشاعر: أنه نبي، أنه عظيم، أنه جدير بهذا؟ لا توجد هذه، كل ما لديه من اهتمام: أن يتقبل الله منه العمل الصالح، وأن يجعله مسلّماً نفسه تماماً لله، يخضع نفسه لله، ويستغرق كل ذهنيته كل تفكيره الذوبان فيما يرضي الله، الذوبان في معرفة الله، وفي حب الله، التسليم لله".

ويضيف " يقدم القضية الهامة هي: التسليم لله، التسليم لله هذا هو العنوان الرئيسي لدينه ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ (البقرة: من الآية١٢٨) أوضح لنا مناسكنا التي نؤديها، نتعبد لك بها ﴿وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (البقرة: من الآية١٢٨) لاحظ هذه المشاعر الهامة جداً والتي يجب أن يكون عليها أي إنسان مؤمن ﴿وَتُبْ عَلَيْنَا﴾ وهم ماذا يعملون؟ كثير من الناس يقولون: الله غفور رحيم وهم يعملون معاصي! هذا يقول:﴿وَتُبْ عَلَيْنَا﴾ وهو يرفع قواعد

البيت الحرام في عبادة من أرقى العبادات، يقيم معلماً من معالم دين الله في الأرض للناس جميعاً يقول: ﴿وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (البقرة: من الآية١٢٨) القرآن هنا يقدم لك حتى مشاعر أنبيائه، وأوليائه.".[١٦]

سادساً: الحذر من خطوات الشيطان

يسعى الشيطان في حربه ضد الإنسان، الى الانحراف به من تعبيد النفس لله إلى تعبيدها للشيطان، بأساليب متعددة ومن خلال وسائط، فالشيطان لا يتعامل مع الإنسان بشكل مباشر، فهو يستعبد الإنسان من خلال النزغات الإنسانية والشهوات والهوى والمؤثرات الشخصية النفسية، فمثلاً قد يستغل حالة الغضب فيخرج الإنسان فيها عن خط العبودية لله إلى طاعة الشيطان؛ وهو انتهازيٌ بطبعة يستغل الفرص، بعد أن يقيِّم واقع الانسان، ويشَخِص ميوله ورغباته ونزواته، لذلك فهو يستغل حالات الغفلة، ويدفع به تجاه أي رغبة يراه مائلاً إليها، فيدخل الإنسان في المعاصي التي يمثل ارتكابها خروجاً عن منهج الله وعبادة للشيطان الرجيم.

الشيء الآخر أن الشيطان في إسقاط الإنسان يعتمد أسلوب الاستدراج، فهو لا يرمي بالإنسان إلى عبادته دفعة واحدة، بل يبدأُ بجره وفق خطوات، كل خطوة تمهد للأخرى، وكل خطوة تكسر حاجزاً معيناً، ويبسّط الجريمة حتى يصبح ممارستها شيئاً معتاداً، وغير منفرٍ ويكون الإنسان قد قسي قلبه نتيجة السوابق، فيفقد هداية الله وتوفيقه، ولا يتعفف من الحرام، ويصبح جريئاً على ارتكاب الفاحشة والعياذ بالله.

يقول السيد عبد الملك بدر الدين الحوثي:"**من أهم ما ينبغي في العوامل المساعدة على الاستقامة، من أهم ما ينبغي أن يؤخذ بعين الاعتبار، هو: الحذر من خطوات الشيطان: أن يكون الإنسان حذراً من الشيطان، ومن خطوات الشيطان؛ لأن التكتيك والأسلوب الذي يعتمد عليه الشيطان هو الخطوات، الذي يستدرجك نحوها شيئاً فشيئاً، حتى يوقعك في العظائم، في الكبائر، في المزالق الخطرة جداً، فالإنسان إذا عرف أن ذلك من أساليب الشيطان، فلا يسهِّل لنفسه، لا يستهتر ويتهاون شيئاً فشيئاً، فهذه مسألة خطيرة جداً.**

والشيطان (إبليس) نفسه هو أول مثالٍ للانحراف عن خط الاستقامة، أول من انحرف عن خط الاستقامة، كان في صفوف الملائكة، وكان يعبد الله -سبحانه وتعالى-، ولكنه كان يحمل غِشاً في نفسه، يحتفظ بغشٍ في نفسه، كانت تتعاظم عنده نفسه مع كل ما يعمل، كلما عمل أكثر؛ عظمت نفسه في نفسه، ولم يعظم

(١٦)السيد/ حسين بدر الدين الحوثي، الدرس السابع من دروس رمضان، ٧من رمضان ١٤٢٤هـ الموافق: ١/ ١١/ ٢٠٠٣م

الله في نفسه، لم ير التوفيق لله في ذلك، تعاظمه في نفسه جعله متكبراً، وحين أتاه الاختبار؛ سقط في الاختبار سقوطاً رهيباً جداً، وخطيراً جداً، فالشيطان يستخدم أسلوب الاستدراج للإنسان من خلال خطوات.“ (١٧)

ولذلك فَإنَّ من المهمِّ جِدّاً الأخذ بعوامل الاستقامة والثبات، وأسباب التوفيق كضمانة للإنسان من الاستدراج والسقوط في شباك شياطين الجن والإنس، بحيث يظل الإنسان في حالة من الالتجَاء إلى الله ويدعوه بالثبات والهداية والتوفيق، إضَافَةً إلى الارتباط بمصادر الهداية، وحمل البصيرة العالية من خلال القرآن الكريم وما يقدمه الأنبياء وأعلام الهداية من أهل البيت عليهم السلام، والحذر من التماهي مع أساليب الأعداء التي تنزلق بالإنسان إلى الحضيض، والتي لا تأتي دفعةً واحدةً، بل وفق خطوات متدرجة ومتأنية حتى تسقط الإنسان يقول الشهيد القائد-رضوان الله عليه- : “ **اتّباع خطوات الشيطان ليس معناه: خطوات رزينة، وخطوات ثابتة، معناها: انزلاقه. أحياناً قد تسير على طريق تعتبر خطواتك فيها خطوات ثابتة. أليس في الأدعية: وثبت أقدامنا؟ أدعية المؤمنين؟ هنا تزل قدمك، هنا خطوات الشيطان تعني: مزالق خطيرة. ليس معناه أنك ستضع قدمك مكان قدمه، وهي قدم ثابتة.**

بمعنى: أَنَّ الله يرسم للناس الطريق التي تكون أقدامهم ثابتة عليها، إذَا كان هناك خطوات الشيطان تمثل انزلاقات، فهو يهدي الناس إلى أن تكون خطواتهم بعد خطواته ثبات، واستقامة.“ (١٨)

سابعاً: تقوى الله والخوف منه واستشعار رقابته

التقوى حالة نفسية تسيطر على مشاعر الانسان المؤمن، فتصنع في نفسه الحذر الشديد من التقصير أو الإهمال والمعاصي أو الابتعاد عما أرشدنا الله -سبحانه وتعالى- إليه، والتقوى فيما تعنيه، انطلاقة في التحلي بالفضائل، والتزام بكل العبادات التي شرعها الله، فنؤديها بشكلٍ واعٍ، ونفهم مقاصد الله ومقاصد كتابه في تشريعها.

والتقوى كحالة نفسية إيمانية يحتاج إليها الانسان لضبط توجهات النفس ورغباتها، والتحكم بحالاته الانفعالية، وكبح غرائزه وشهواته. ومن هنا ندرك علاقة التقوى بالاستقامة وأهميتها في تقييم سلوكنا ومسارنا حتى لا ننحرف عن السلوك القويم، وعن الأخلاق الفاضلة والخصال الحميدة، وعن المبادئ العظيمة، وندرك أهميتها

(١٧) السيد/ عبدالملك بدرالدين الحوثي، المحاضرة الرمضانية الرابعة عشرة، مصدر سابق.

(١٨) السيد/ حسين بدر الدين الحوثي، «الدرس التاسع من دروس شهر رمضان- سورة البقرة»، (مرجع سبق ذكره).

في المعاملات، وأهميتها في أعمال الإنسان وفي أقواله، باعتبارها ضمانةً للاستقامة، وضمانةً للصلاح والرشد، وضمانة للسلوك القويم وحسن المسير.

يقول السيد عبد الملك بدرالدين الحوثي: "المرحلة هذه التي نعيشها وطبيعة الصراع الذي نحن فيه، يجب على الدوام أن نكون منشدين نحو قول الله -سبحانه وتعالى-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: الآية ١٠٢) اجعل هذا بالنسبة لك هدفاً تركز عليه، تلتفت إليه، تجعله أمامك على الدوام؛ نحن بحاجه إلى أن نحرص على أن نتقي الله حق التقوى، أرقى درجات التقوى، أرقى درجات التقوى، وإذا كان لدى الإنسان هذا التوجه وهذا الاهتمام، سيشكل حماية وضمانة وعاملاً مساعداً على الاستقامة والاستمرار على النحو الصحيح، والتحرك في ميدان المسؤولية بالشكل الذي يرضي الله -سبحانه وتعالى-.أن نتقي الله حق التقوى ثم أن نحرص وقد قطعنا شوطا والله أعلم كل إنسان منا لا يدري كم تبقى له في هذه الحياة متى سيلقى الله -سبحانه وتعالى-، كلٌ منا لا يعرف؛ أنت قد تلقى الله قريباً، قد يكون موعد اللقاء مع الله في الوقت الذي أنت لا تتوقعه.

نحرص على الاستقامة، على الاستقامة، الله -سبحانه وتعالى- قال لنبيه -صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله-: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (هود: الآية١١٢) الإستقامة هي الشيء المهم وهي الشيء للأسف الذي يخسره الكثير؛ كثيرٌ من الناس قد ينطلق في طريق الصراط المستقيم في طريق الله في منهج الحق، قد ينتمي وما أكثر المنتمين، لكن كم نسبة المستقيمين من المنتمين؟ المستقيمين الملتزمين كما ينبغي عادةً تتفاوت نسبة الإستقامة بمستوى الإيمان بمستوى الإيمان كلما كنت أكثر إيماناً كلما كنت أكثر استقامةً والتزاماً." (١٩)

والتقوى ليست حالةً نفسيةً مخزونةً في داخل جوانح الإنسان ومشاعره لا أثر لها في الواقع، وليست مجرد شكليات لها حدودها الصغيرة والمُقزَّمَة. بل هي حالة عملية نحتاج اليها في الشأن العام وفي واقع المسؤولية، وفي مختلف المجالات، فالتقوى هي التي تدفعنا إلى القيام بمهامنا الكبرى ومسؤولياتنا المهمة في الحياة، حتى نتجنب الآثار والعواقب السيئة.

والتقوى بشكل عام يحتاجها الإنسان على مستوى السلوك والتعامل مع الآخرين حتى لا يطغى أو يظلم، ويحتاجها عند أداء المسؤولية حتى لا يهمل أو يقصر في عمله

(١٩) لقاء السيد عبد الملك حفظه الله بالأمنيين ١٤٣٨هـ]

أو يتجاوز، أو يخضع للمزاج وهوى النفس، وفي القرآن الكريم تأتي عبارات: (اتقوا الله) في مقامات كثيرة، وخصوصاً القضايا الهامة؛ ليوحي للناس بأن المسألة هامة لديه، ويدفعهم للتحرك من منطلق الحذر من الله من أن يقصروا في هذه القضية، حتى لا يعاقبهم ويغضب عليهم، وهكذا تتكرر في القرآن الكريم في معظم المقامات المهمة؛ حتى ينطلق الناس من منطلق أن هذه قضية مهمة لدى الله -سبحانه وتعالى-، وهي في واقعها بالغة الخطورة؛ فأي تقصير فيها سيجعلنا عُرضة لسخط الله، ونعوذ بالله من سخطه.

"هناك جانبٌ آخر نحتاج فيه إلى التقوى، ما يتعلق بالواقع العملي، بالأداء العملي، بالمسئولية العملية. حينما نتحرك في سبيل الله في أي مجال من مجالات العمل، كمثقف، كإعلامي، كمقاتل، كمرابط، في أي مجال من مجالات العمل يحتاج الإنسان إلى التقوى، أن يتقي الله، وأن يكون أداؤه العملي قائماً على التقوى من حيث الاهتمام، ومن حيث الالتزام، ومن حيث اجتناب المحاذير التي تدنس العمل، والتي تحبط العمل، والتي تؤثر على واقع العمل، هذا شيء مهم.

التقوى قضية أساسية لقبول الدين، لقبول العمل، لصلاح العمل، لأن تكون مقبولاً عند الله، لأن يكون ما تقوم به من عمل ما تؤديه من عمل مقبولاً عند الله -سبحانه وتعالى-.

الله جل شأنه يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (المائدة:٢٧) مهما بذل الإنسان من جهد، ومهما قدم من عمل، إذا لم يكن واقعه قائماً على أساس التقوى بشكل عام في واقع حياته، في تصرفاته، في أعماله، في سلوكه، في واقعه العام، في تعامله مع الله، في تعامله مع الناس، في واقع حياته بشكل عام، كذلك في أدائه العملي.

لا يكون الأداء العملي في سبيل الله متأثراً بواقعك النفسي، محكوماً برغبات نفسك، أو محكوماً بشهوات نفسك، أو متأثراً بمزاجك وأهوائك.

عندما يكون الواقع بالنسبة للعمل في سبيل الله خاضعاً للتأثيرات النفسية، لهوى النفس، للمؤثرات الأخرى، يحصل الكثير الكثير في الواقع العملي الذي يؤثر على العمل، على بركته، على فاعليته، على أثره، على نجاحه، وبالتالي على قبوله أيضاً عند الله كعمل يقربك من الله، وكعمل تؤديه كما يريد الله منك أن تؤديه هذه قضية هامة جداً."[٢٠]

(٢٠)السيد/ عبد الملك بدر الدين الحوثي/ لقاءه بالثقافيين والإعلاميين رمضان ١٤٣٤هـ

نحتاج إلى تقوى الله والخوف منه والخشية من عذابه، في كل الأحوال والظروف وفي أي زمن ومرحلة، وفي هذا العصر نحتاج أن نخاف الله ونخشاه أكثر من أي زمن آخر، فوسائل التخويف باتت متطورة ومؤثرة، والعدو من خلالها يسعى إلى إرهاب الناس سواء بالحرب النفسية والدعايات والشائعات، أو من خلال استعراضه لمعداته وآلياته العسكرية، وكذلك من خلال تخويف الناس بالتهديد والقتل والسجون والحصار وقطع المصالح، وله أساليب ووسائل متعددة يرهب بها الناس ليتراجعوا عن موقف الحق، والإنسان إذا لم يصل إلى درجة أن يخاف الله أشد من خوفه مما بأيدي الأعداء سيتراجع وينحرف، ويتنازل عن مبادئه وقيمه الإيمانية، ويخرج عن خط الاستقامة.

لذلك نجد أن التخويف بالله وبجهنم وبوعد الله ووعيده في الدنيا والاخرة، أخذ مساحة واسعة في القرآن الكريم؛ ليدفعنا إلى الاستقامة على هديه، والثبات على ما أرشدنا إليه هنا في الدنيا، فالجنة والنار في واقعهما تخويف وترغيب لنا، لنستقيم هنا في الدنيا، وليس فقط حتى لمجرد الإيمان والتصديق والاقرار، وهذه هي رؤية القرآن في الوعد والوعيد الإلهي بمعناه الكامل، الذي يبدأ من هنا من الدنيا وينتهي في الآخرة.

فنجد أن جهنم قُدمت في القرآن الكريم على أنها هي العذاب الشديد، وهي مستقر غضب الله -سبحانه وتعالى- وسخطه، وعذابها يفوق تصور الناس ﴿وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ (الزمر: من الآية٤٧) وكذلك الحديث عن أهوال القيامة، والحديث عن الشقاء وضنك المعيشة في الدنيا للمعرضين عن هدي الله، كل ذلك هو من أجل أن يشدنا إلى الله الذي يبعث عباده ويحشرهم ويحاسبهم وهو من يصنع أهوال القيامة، وبالتالي سنستقيم ونثبت على الحق مهما كانت المخاطر والتهديدات، ومهما بلغت المعاناة والتضحيات، وسيكون الإنسان مخلصاً لله مهما كان مستوى الرغبات والأهواء، فلا ينحرف ولا يتغير ولا يتبدل.

"﴿فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ﴾ وهذه القضية أساسية في أن يلتزم الإنسان المؤمن، في أن يستقيم، يحتاج إلى أن يكون على هذا النحو، أن يخشى الله ولا يخشى غيره؛ لأنه متى ما حصل لديك خشية من غير الله أثرت عليك فيما يتعلق بالتزاماتك أمام الله -سبحانه وتعالى-، والالتزام بما وجهك إليه، وبما فرضه عليك، فعندما تخشى آخرين في الأخير تحاول أن تستجيب لهم، وبالطبع يكون على حساب استجابتك لله."[٢١]

(٢١). السيد/ حسين بدر الدين الحوثي، الدرس الحادي والعشرون من دروس رمضان، بتاريخ : ٢١ رمضان ١٤٢٤هـ الموافق: ١٥/ ١١/ ٢٠٠٣م

والقرآن الكريم يؤكد على أن هذا الاستشعار، وهذا الاستذكار يساعدنا على أن نتحرك بشكلٍ صحيح في مختلف شؤون حياتنا عموماً، وفي مسؤولياتنا الإيمانية والجهادية على نحوٍ خاص، فالخوف من الله مسألة ملازمة للإيمان، يحمله حتى الملائكة على الدوام، يقول الله - جل شأنه- ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (النحل٥٠) ويحمله أنبياء الله، فالنبي -صلوات الله عليه وعلى آله- علّمه الله أن يقول: ﴿قُلْ إِنِّيَ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (الأنعام١٥) و يحمله أولياء الله: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً﴾ (الإنسان١٠).

وثمرة الخوف من الله هي التقوى واستشعار رقابة الله، فالخوف يدفعك إلى أن تتقي الله فلا تفرط ولا تتجاوز ولا تهمل ولا تتعدى، وكثيراً ما يتسبب نقص الخوف من الله، في الإهمال واللامبالاة والتفريط والتساهل والتضييع للأمور، ويتسبب في التعدي والإسراف والبغي؛ وكل هذه الاشكال هي حالات شاذة عن الإيمان، ومظهر للانحراف تتنافى مع الاستقامة.

يقول الشهيد القائد - رضوان الله عليه-: "التسليم لله -سبحانه وتعالى-، هذا هو الشيء الأساسي هذه هي قاعدته، لا يمكن أن تكون مسلّما لله وتبقى مستقيماً في تسليمك لله ومستقيماً على هدي الله وملتزماً إلا إذا كنت على هذا النحو: لا تخشى إلا الله.

﴿فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ﴾ (المائدة: من الآية٤٤) متى ما اتجه الإنسان إلى أن يصغي لأن يخشى من غير الله فبالتأكيد ينحني، أخيراً يؤقلم عمله وتوجهه ومواقفه بالشكل الذي لا يثير من يخشاهم، يجعله بالشكل الذي تحكمه في تصرفاته كلها الخوف من ذلك الطرف الآخر.

﴿فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (البقرة: من الآية١٥٠) ولا تتم نعمة الله على الإنسان أن يكون هو فعلاً في سلوكه بالشكل الذي توفرت له النعمة وتمت عليه النعمة إلا إذا كان على هذا النحو: لا يخشى إلا الله ولا يهتدي فعلاً إلا إذا كان على هذا النحو: لا يخشى إلا الله؛ لأن من يخشون غير الله تقدم نعمة من التي تعني نعم هداية تقدم آيات فيها هدى توجيهات فيها هدى لن يقبلها، ليس ميداناً لها؛ لأنها تصطدم بخشيته من غير الله، هذه القضية واضحة في الناس." (٢٢)

وفي هذا السياق فإن من المهم جداً أن يعتني الإنسان بمحاسبة نفسه، وتقييم

(٢٢) السيد/ حسين بدر الدين الحوثي، الدرس الثامن من دروس شهر رمضان، ٨ رمضان ١٤٢٤هـ الموافق: ٢/ ١١/ ٢٠٠٣م

واقعه العملي والنفسي، بحيث يكتشف جوانب القصور ويصحح الأخطاء، ويعالج الخلل ﴿وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ (الحشر: من الآية١٨)، فمستقبل الانسان ومصيره مرتبط بعمله، وعلاقة الانسان بالله يحددها عمله، فمن أخطر الأمور على الإنسان حالة الغفلة وما ينشأ عنها من تهاون وتساهل وحالة لا مبالاة، أضف إلى ذلك استشعار الانسان لرقابة الله تعالى وشهادته، وإدراكه أن الله ليس غافلاً عنه، وأنه حسيب ورقيب على الدوام، يعلم السر والجهر، ويحاسب ويعاقب على ذلك ﴿ان تُبدُوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله﴾، فالله -جل شأنه- رقيبٌ على الانسانِ، وشاهدٌ عليه، وعالمٌ به في كل الأحوال والظروف والتصرفات، ومحيط بكل خفاياه، ورقابة الله تنفذ إلى أعماقنا في السر والعلانية، وفي الظاهر والباطن، يقول الله -سبحانه وتعالى- ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنسان وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إليه مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ (ق١٦) فالله يعلم ما توسوس به النفوس، ويعلم اللحظة التي كانت لحظة خيانة من العين ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ (غافر١٩).

وعلمه واسعٌ ومحيطٌ بكل ما في السموات والأرض، وما يدور في خلوات الناس وجلساتهم المغلقة، ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (المجادلة٧).

والاستشعار لرقابة الله، هو من الجوانب التي تشكل ضمانة للاستقامة، وتحافظ على سلامة المسير. "**من الأشياء المهمة في معرفة الله أن يصل الإنسان إلى استشعار رقابة الله وشهادته، واستشعار أنه أمام ملك السماوات والأرض، الله -سبحانه وتعالى-، وخالق السماوات والأرض، وخالق ما فيهن، والعليم بكل شيء، المحيط علماً بكل شيء. هذه المعرفة قد تعطي الإنسان أثاراً مهمة، أو نقول هي التي ماذا؟ تجعله يتحرك بشكل صحيح" لاحظوا ما أهم هذه العبارة ما أهم هذه العبارة "تجعله يتحرك بشكل صحيح، يكون خائفاً من الله، متقياً لله، محباً لله، مهتدياً بهدي الله، ذاكراً لله.**" (٢٣)

والخلاصة أن الاستشعار لرقابة الله والخوف منه يصنع التقوى في النفس ويزكيها، ويدفعنا إلى التخلص من المؤثرات السيئة، والتغلب على الجرأة في المعصية، سواء معصية الإهمال أو معصية المخالفة، أو التقصير واللامبالاة والإساءة الى الاخرين، وكلما استشعر الإنسان رقابة الله، أمكن له السيطرة على تصرفاته وأعماله ومشاعره ورغباته النفسية.

(٢٣) السيد/ عبدالملك بدر الدين الحوثي، الرقابة الإلهية، اللقاء العاشر، شؤون العاملين.

لا سيما عندما يكون الاستشعار لرقابة الله استشعاراً إيمانياً فيه إجلال وتعظيمٌ لله، وخوفٌ من الله، وإدراكُ أن شؤننا بعلم الله، ومختلف أمورنا تخضع لرقابة الله -سبحانه وتعالى-، وهو شاهدٌ على كل تصرفاتنا، وسيحاسب ويجازى، ولن يفوت على الله شيء، ونحن أحوج ما نكون إلى هذه المسألة في الواقع العملي لضمان الاستقامة وسلامة العمل، ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ (يونس٦١).

المبحث الثاني: الوعي والبصيرة

العامل الثاني: من عوامل الاستقامة (الارتباط الوثيق بهدى الله)

يرتبط العامل الثاني من عوامل الاستقامة، بشكل مباشر بالقيادة والمنهج، وكيف تكون علاقتنا بهما، ومن نتبع وبمن نقتدي، وخلف من نسير في هذا الصراط، فالاستقامة لا تتم إلا على ضوء منهج واضح، وطريقة محددة، وخط يمثل السير عليه سيرا في الصراط المستقيم، ويتحقق من خلاله للناس حسن المسير، وقد ورد في سورة الفاتحة قول الله-جل شأنه-: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾ (الفاتحة الاية٤-٧)، فالحق له منهج تستقيم عليه وله رموز، والبديل عن ذلك طريق الضلال والانحراف والاعوجاج والزيـغ، المتمثل في صراط المغضوب عليهم والضالين.

وفي سياق ما أورده أعلام الهداية عن عوامل الاستقامة، وأولها الالتجاء الى الله، وقوة الصلة بالله، يقول الشهيد القائد-رضوان الله عليه-: "**الشيء الثاني: أن تعلم أولاً ما هو النهج الذي يريد الله منك أن تستقيم عليه، يكون لديك معرفة طريق مَن أستقيم عليه؟ مع من أستقيم؟ تحت راية من أستظل؟ هذا الشيء لا بد منه، عقائد معينة أعرف أنها صحيحة، أستقم عليها، معاملات معينة أعلم بأنها صحيحة أستقيم عليها، سلوك معين في هذه الحياة أعلم بأنه صحيح أستقيم عليه، لا بد من المعرفة لخط الاستقامة، ولنهج الاستقامة حتى أسير على هذا النهج، ولا يبقى لي إلا أن أصبِّر نفسي عليه، أنا واثق منه، ولم يبق عندي إلا أن أرجع إلى الله أن يثبتني عليه.**" (٢٤)

والارتباط الوثيق بهدى الله وفق سنة الله في الهداية، هو الضمانة لتحقيق الوعي والبصيرة في الحياة، حتى لا نُخدع أو نضلل أو يستغفلنا أعداؤنا فيطوعوننا لخدمة مصالحهم، ويدفعون بنا لخوض معاركهم، ونحتاج إلى الوعي والبصيرة كي نعرف الواقع والعدو من الصديق،

يقول السيد عبد الملك بدر الدين الحوثي: من أهم ما تحتاج إليه من عوامل الاستقامة والثبات: الصلة الوثيقة بهدى الله -سبحانه وتعالى-، مع الأخذ بأسباب الهداية: هذه مسألة مهمة جداً؛ لأن البعض أيضاً يتأثرون بالدعايات، بالشبهات، بالتشكيكات، بالحملات الدعائية، بالحملات التضليلية، مع قصورٍ في وعيهم، مع عدم استيعابهم لما يفنِّد تلك الشبهات؛ فبالتالي يتأثرون من ذلك، ويكون سبباً لاعوجاجهم.

(٢٤) إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا، مصدر سابق

ونعرف من نعادي ومن نوالي، ومن نسالم ومن نقاتل، ونحتاج إلى الوعي والبصيرة القرآنية حتى لا نعيش الجهل والحيرة، وحتى لا نكون ضحية للعقائد الباطلة والمفاهيم المغلوطة، أو نكون ممن يؤمن بالخرافات والسذاجات، وحتى لا نتأثر بالشائعات والدعايات والشبهات، ونحتاج إلى الوعي والبصيرة لتقييم الأشخاص والمجتمع من حولنا وفق نظرة صحيحة تقوم على أساس معايير واقعية، ونحتاج الى البصيرة كرؤية عملية ومنهجية وأساليب نتحرك وفقها في أداء المسؤوليات، وذلك كله لا يمكن أن يتحقق إلا من خلال هدى الله، فالقرآن الكريم هو نور وبصائر وفرقان، نستنير به أمام كل الظلمات، ونفرق بين الحق والباطل ونعرف الصحيح من الخطأ، وهدى الله هو المنهج الذي يعطي قناعات ثابتة ويقيناً راسخاً بالحق وقادته ورموزه، ومن خلالها نهتدي إلى الصراط المستقيم؛ يقول الله - جل شأنه -: ﴿قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (المائدة: ١٦) ويقول الله-جل شأنه-: ﴿قَدْ جَاءكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا﴾ (الأنعام:١٠٤).

يقول السيد عبد الملك بدر الدين الحوثي: "**من أهم ما تحتاج إليه من عوامل الاستقامة والثبات: الصلة الوثيقة بهدى الله -سبحانه وتعالى-، مع الأخذ بأسباب الهداية: هذه مسألة مهمة جداً؛ لأن البعض أيضاً يتأثرون بالدعايات، بالشبهات، بالتشكيكات، بالحملات الدعائية، بالحملات التضليلية، مع قصورٍ في وعيهم، مع عدم استيعابهم لما يفنِّد تلك الشبهات؛ فبالتالي يتأثرون من ذلك، ويكون سبباً لاعوجاجهم.**

وأيضاً في هدى الله -سبحانه وتعالى- ما يزودنا الوعي، والبصيرة، والمعرفة، والفهم الصحيح من جانب؛ فلا نتأثر بأي دعايات، ولا بأي حملات تضليلية، ولا بأي شبهات، وفيه ما له الأثر النفسي التربوي، وفيه ما فيه البصيرة في العمل، فله أهميته كعاملٍ رئيسي من العوامل الأساسية في الثبات على الحق، حتى في العشق للحق، في القناعة بالحق، في الاطمئنان إلى الحق الذي أنت عليه؛ وبالتالي في قوة الموقف وقوة الثبات، ومع الأخذ بأسباب الهداية، الله يزيد من هدايته، ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾ (محمد: من الآية١٧). "(٢٥)

وعن أهمية البصيرة، وحاجتنا الملحة إليها، ومن أي المصادر نستقيها، وكيف تتحقق في واقعنا؟ يقول الشهيد القائد -رضوان الله عليه-: " **البصيرة البصيرة نكون**

(٢٥) السيد/ عبدالملك بدرالدين الحوثي، المحاضرة الرمضانية الرابعة عشرة، مصدر سابق.

أحوج إليها في حالة تعدد الثقافات، وفي حالة ازدحام الشبه داخل الساحة التي نتحرك فيها، في حالة تباين الأنظار والمواقف في الساحة التي هي ميدان عملنا، أحتاج إلى البصيرة وأنا أسمع لمفاهيم متعددة لهذا الدين، وقدوات متعددة داخل هذا الدين، وعقائد متعددة داخل هذا الدين، لا بد من البصيرة.

البصيرة أن أعرف النهج الذي أنا عليه، وهو نفسه أيضاً ما يمكن أن تعطيه الآيات السابقة التي تحدثنا عنها في إيمان راسخ واستقامة، وقلنا بأنه لا بد من الوعي الذي يخلق لديك إيماناً راسخاً واستقامة...

ما هي البصيرة؟ الله -سبحانه وتعالى- يعلم ورسوله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- يعلم أن الأمة ستفترق، أن الأمة سيحدث فيها ظلام، أن الأمة سيحصل فيها اختلاف وتمزق. هل يهم رسول الله . وهو أحرص الناس على هدايتنا . أن يضع لنا منهجاً نستبصر به، أن يبصرنا بشيء ما في هذا الموضوع والا. لا. من الطبيعي لا يمكن وهو يعلم ذلك إلا أن يضع لنا بصيرة، نكون مستبصرين أمام هذا التفرق والاختلاف والظلمات.“ [٢٦]

وعن مسألة ما الذي يمكن أن يوجد البصيرة لدينا يضيف الشهيد القائد -رضوان الله عليه- قائلا: **”ما الذي يمكن أن يوجد البصيرة لدينا، ويوجد قناعة لدينا هو أن يرشدنا الرسول -صلوات الله عليه وعلى آله- إلى شيء نمشي عليه فعلاً، تحدث في حديث الثقلين بهذا كله، أخبر عن نفسه أولاً بأنه سيغادر هذه الدنيا، ويهمه أمر هذه الأمة أن يغادر الدنيا وهو بعد لم يبصِّرها أين تتجه، وأن يعطيها البصيرة وهو يعلم أن هذه الأمة ستفترق وتختلف وتتباين وتتناحر، ”أيها الناس يوشك أن أدعى فأجيب“ هكذا قال -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- حديث صحيح لا شك فيه ”أيها الناس يوشك أن أدعى فأجيب“ يعني يأتي الموت فأجيب ”وإني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبدا“ بصيرة هذه والا إيش؟ هذه بصيرة والا ما هي؟ بصَّرَك فين وكيف تتعامل مع الضلال، وكيف تمشي لتكون مهتدياً وناجياً من الضلال وتأمن من الضلال «وإني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبدا كتاب الله وعترتي أهل بيتي فإن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض“.**

إذاً أرشدنا باعتبار أن المهمة لا يمكن أن يقوم بها كل شخص منا. بأن نتمسك بالقرآن، وأن نتمسك بعترته أهل بيته. هذا هو ما يسمى بالأدلة الإجمالية وهي

(٢٦) مع الدعاة الى الله، مصدر سابق

المهمة هي المهمة التي على أساسها تتوحد الأمة، وهي نفسها أدلتنا على الله، هي نفسها أدلتنا على القرآن، هي نفسها أدلتنا على الرسول نفسه ...الخ

إذاً فسيرشد أمته إلى أن تمشي وراء ناس، هو عينهم ناس هم صادقون، ناس لا يمكن أن يضلوا، ناس التمسك بهم واتباعهم أمان من الضلال، ناس تكون عقائدهم صحيحة، هم الذين سيحملون الدين ويقاتلون من أجله وتحتفظ بهم مبادئه، بشكل عملي تحتفظ بهم مبادئه، ألم يرشدنا إلى ناس؟ "كتاب الله وعترتي أهل بيتي" ناس أرشدك إليهم؛ لأنه فعلاً لا أحد يستطيع في هذه الأمة أن يدعي بأنه قفز مباشرة إلى الله." (٢٧)

وهذا ما ينطبق مع مدلول سورة الفاتحة الذي أرشدنا الله فيها إلى الصراط المستقيم، وأكد أن صراط الله الذي يجب الاستقامة عليه، له أعلام من أوليائه يمثلون معالم نهتدي بهم في خط الاستقامة، فنتلقى منهم الوعي والمعرفة، ونسترشد ونهتدي بما يقدمونه، ونقتدي ونتأسى بهم، ونتبعهم، ونسمع ونطيع لهم، وهم إنما يقدمون الهدى الذي أتى من عند الله.

وقد فرض الله طاعتهم واتباعهم بشكل حرفي، وألزمنا بالتسليم لهم تسليماً مطلقاً، حتى يستطيعوا القيام بمهامهم العملية والتبليغية والتربوية وقيادة الأمة وتحويل المشروع الإلهي إلى حالة قائمة على الأرض، فجعل طاعة الرسول من طاعة الله؛ قال تعالى: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ (النساء: من الآية ٨٠).

وجعل الله اتباع الرسول وطاعته والتسليم له علامة الحب لله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوْنِيْ يحببكم الله﴾ وألزم المؤمنين أن لا يعتمدوا على أي رؤية من لديهم بعدما قضى الله ورسوله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ (الأحزاب: من الآية ٣٦).

ومن يختارهم الله ويصطفيهم، هم أكثر الناس قدرة على التوضيح والتبيين، وتقديم الدين وترسيخ القناعات، وهم أكثر الناس طاعة لله وانقيادا له واذعانا لأمره والتزاماً بهداه، وليس من صلاحياتهم أن يقدموا شيئاً من أنفسهم ولو كلمة واحدة، وإنما يسيرون بالناس وفق هداه دون زيادة او نقصان ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾ (الأحقاف: ٩).

وهم أبعد الناس عن الاجتهادات والترجيحات، ويؤمرون قبل غيرهم فهم مأمورون بالاستقامة وفق أوامر الله، ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾ (هود: ١١٢) ومن يختارهم الله ليسوا

(٢٧) المصدر السابق نفسه

طغاة ولا جبابرة ولا متسلطين، حتى يطمئن الناس إلى أن التسليم المطلق لهم لا ينتج أي ضرر عليهم، وليس من ورائه سوى الخير والفلاح.

وينبني على طاعتهم واتباعهم والتسليم لهم التخلص من الأفكار والتصورات والعقائد الظلامية، التي تحكم ولاءات الإنسان ومواقفه وتوجه سلوكه في الحياة، فيما الانفصال عنهم يسميه الله استكباراً، ويترتب عليه الضلال والشقاء، وإمكانية تقبل الخداع والافتراءات والاستغلال والاستعباد.

والقرآن الكريم يقدم أن من مهامهم الرئيسة تعليم الكتاب وتزكية عباد الله وتربيتهم وتوعيتهم وقيادتهم، وعندما تقوم الأمة بدورها ومسئوليتها في إعلاء كلمة الله، وإقامة القسط، والدعوة إلى الله؛ حتماً ستواجه مستجدات ميدانية، ومتغيرات في المهام والمسئوليات، وستواجه مؤثرات مادية ومعنوية، ما بين ترغيب ومخاوف وما بين ضغوط العمل وانفعالات النفس، وتبقى الإشكالية في كيف تتعامل الأمة مع المتغيرات برؤية قرآنية؟ وكيف ستتغلب على المؤثرات بالتزكية القرآنية؟ وهنا تبرز الحاجة إلى أعلام هدى يصطفيهم الله، يوصّفون الوضعيات ويحددون الأولويات ويواكبون الواقع بالرؤية والتزكية، ويقدمون المعالجات من خلال الرؤية القرآنية، وأي بدائل أخرى يصبح اتباعها إنحرافاً عن القرآن، واعتماد رؤى وتقديرات وأولويات أخرى.

أضف لذلك أن الأخطاء في أداء المسؤولية والإشكالات والتجاوزات-في الغالب- ناتجة عن سببين إما أن يخطئ الإنسان بسبب جهل ونقص معرفة وهذا هو حالة الضلال، أو أن يتجاوز ويتعمد المخالفة عن علم وهذه حالة المغضوب عليهم، وبالتالي لا يوجد ضمانة للاستقامة سوى المنهج القرآني وأعلام الهدى الذين من خلال الارتباط بهم نستطيع أن نواكب حركة الحياة وننطلق في ميادين المسؤولية برؤية حكيمة، ونتغلب على مختلف المؤثرات بالتزكية والتربية القرآنية المستمرة، وهذا ما تحدث به الشهيد القائد السيد حسين بدر الدين الحوثي-رضوان الله عليه- في ما طرحه حول مضامين سورة الفاتحة: "**﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ دعاء بالاستقامة أن يهديني إلى صراطه، صراطه الذي هو صراط مستقيم؛ لأستقيم عليه. ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ على أساس أن صراط الله المستقيم لا بد أن يكون له معالم من عباده، لا بد أن يكون له معالم من أوليائه فقال: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾ أنا لا أريد أن أنحرف إلى صراط المغضوب عليهم، ولا أريد أن أنحرف إلى صراط الضالين.**

الضالون هم: الذين ينحرفون بدون معرفة، عقائد باطلة. المغضوب عليهم هم: الذين ينحرفون بعلم ويدعون إلى باطل وهم يعلمون ذلك، مغضوب عليهم:

مسخوط عليهم.“ [٢٨]

ثم إن مجرد المعرفة لهذا الصراط أو الانتماء الشكلي إليه لا يكفي، فالإنسان بحاجة إلى الاتباع المطلق والذوبان في الاتباع لأنبياء الله وأعلام هداه، وهذا هو الذي يمثل الضمانة للاستقامة على هذا النهج وهذا الصراط، يقول الشهيد القائد-رضوان الله عليه-: ”**أي طالب الآن يفكر أنه يريد أن يكون عبقري، يريد يحافظ عليها، أنا، أنا بحاجة، وأنا أعرف جهدي أعرف، أستطيع أن أكون كذا، أستطيع أن أكون كذا، فلم يعد يعطي أهمية لما يقوله النبي -صلوات الله عليه وعلى آله- لم يعد يستوعب ما يقوله، ما هناك الاتباع المطلق للرسول -صلوات الله عليه وعلى آله- فطلعوا جهلة، طلعوا جهلة حقيقة، وما ضرب الأمة إلا هؤلاء الذين ما كانوا ذائبين في الاتباع للرسول -صلوات الله عليه وعلى آله- فكانوا جهلة هم، وضربوا الأمة بجهلهم وجنوا على الأمة إلى اليوم، إلى اليوم.»**

ويضيف -رضوان الله عليه-: ” انظروا إلى من ذابوا في الاتباع للإمام علي، (طلعوا أثوار أو طلعوا عباقرة، وعظماء، وعلماء، وحكماء؟) هكذا ارجع إلى التاريـخ، من كانوا متبعين لأعلام أهل بيت رسول الله -صلوات الله عليه وعلى آله-. هل كانوا يطلعون مغفلين؟ كمالك الأشتر، كشخصيات كثيرة.

ارجع إلى التاريـخ تجد أن من كانوا يطلعوا مغفلين، وجهلة، هم أولئك الذين لا يؤمنون بالمسألة، عنده هو، أنا؛ لأنك تفصل نفسك عن هدى الله، عن منهج الله، تبعد نفسك عن سنة الله في الهداية، وأنت كإنسان لا تستطيع، الله قال: ﴿وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفاً﴾ (النساء٢٨) أنت إذا انفردت بنفسك أنت، أبعدت نفسك عن مصادر هداية الله، فستضعف أمام الشيطان، أنت ضعيف، علومك محدودة، قدراتك محدودة، ستكون جاهلاً.“ [٢٩]

ومن هنا نجد أهمية التعرف - بشكل مختصر - على كيفية التعامل مع القرآن الكريم، وكيف نرتبط ارتباطاً سليما بهدى الله، حتى تتحقق لنا الهداية، ونستفيد ونتأثر به، فالاهتداء والتأثر بالهدى يتطلب أن تكون نظرتنا إليه نظرة صحيحة، وأن يكون تعاملنا معه وفق الرؤية القرآنية، خصوصاً عندما برزت منهجيات أخرى اقتصرت على التعاطي الفني مع القرآن، واكتفت بمجرد الحفظ وإتقان مخارج الحروف، واعتمدت على فنون وروايات متعددة في تفسير القرآن الكريم، وفي المقابل ابتعدت

(٢٨) إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا، مصدر سابق

(٢٩)السيد حسين بدر الدين الحوثي، الإسلام وثقافة الإتباع، بتاريخ : ٢٥ جمادي الاخرة ١٤٢٣هـ الموافق: ٢/ ٩/ ٢٠٠٢م

عن اعتماده منهجاً للحياة في مختلف اعمالها وتفاصيل حياتها، وفي جميع مجالاتها، وفي المبحث التالي نضع بين يدي القارئ جملة من نصوص الثقافة القرآنية عن كيفية التعامل مع هدى الله وكيفية الارتباط به.

المبحث الثالث: كيف نهتدي بالقرآن الكريم

جعل الله القرآن الكريم كتاباً مهيمناً على جميع كتبه، وأنزله على خير رسله، ليهدي به خير أمة أخرجت للناس، واختار لإنزاله أفضل الملائكة جبريل-عليه السلام-، وأنزله في أفضل الشهور شهر رمضان، وأعظم الليالي ليلة القدر، وعند إنزاله استنفر كل ملائكته فامتلأت السموات حرساً وشهباً، فيحكي الله عن الجن قولهم: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾(الجن الاية٨).

والقرآن الكريم ليس عبارة عن مقترحات أو رؤية لكاتب صحفي او مفكر استراتيجي أو دراسة أكاديمية، بل هو كتاب ملك السموات والأرض، ﴿تَنزِيلاً مِّمَّنْ خَلَقَ الأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ العُلَى﴾ ضمَّنه الله هداه، وحفظه وجعله ممتنعاً عن الباطل، وكل ما فيه حق، فقال عنه: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لا يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت:٤١-٤٢] فهو وثيقة إلهية سليمة من الباطل، وحقائقه لا تتبدل ولا تتغير، لم ولن يكشف تعاقب الزمان والأيام فيه خطأ أو باطلا : ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً لاَّ مُبَدِّلِ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ﴾ [الأنعام:١١٥]. فقد حفظه الله من الزيف ومن التبديل والتحريف وهو الكتاب الوحيد الذي له هذه الصفة المقطوع بها ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر:٩].

القرآن الكريم ليس عبارة عن مقترحات أو رؤية لكاتب صحفي او مفكر استراتيجي أو دراسة أكاديمية، بل هو كتاب ملك السموات والأرض، ﴿تَنزِيلاً مِّمَّنْ خَلَقَ الأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ العُلَى﴾ ضمَّنه الله هداه، وحفظه وجعله ممتنعاً عن الباطل، وكل ما فيه حق، فقال عنه: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لا يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت:٤١-٤٢] فهو وثيقة إلهية سليمة من الباطل، وحقائقه لا تتبدل ولا تتغير، لم ولن يكشف تعاقب الزمان والأيام فيه خطأ أو باطلا

وقد منحه الله لعباده ليكون لهم نوراً وبصائر يزيح ظلمات الجهل والتضليل، ويكشف ظلمات الباطل وظلمات الشياطين وأوليائهم، فقال - جل شأنه- : ﴿قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة ١٥-١٦].

والقرآن الكريم كتاب الله الحكيم، سماه كتابا حكيما وجعل الحكمة ملازمة له في كل حقيقة وتوجيه من توجيهاته، فكل ما فيه من تعليمات وإرشادات جميعها قائمة على أساس الحكمة، سواء فيما يحدد من مواقف، أو فيما يرشد إليه من سلوك، أو فيما يأمرنا به من أوامر، كله حكمة لا نجد فيه حماقات، ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت:٤٢] وكله رفعة ليس فيه ما يقلل من قدر الإنسان، بل إن جميع توجيهاته نكسب بها

الصفات الحميدة والقداسة التي تبعدنا عما يخزي، وعما يسيء للإنسان والإنسانية.

وهو كتاب العزيز الرحيم ﴿تَنزِيلَ العَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ [يس:٥] والأمة عندما أعرضت عنه فقدت العزة والكرامة وأصبحت أمة مستباحة يعبث بها أعداؤها ويفعلون بها ما يشاؤون ويريدون، وباتت تعيش حالة الذل والقهر لدرجة لا تستطيع أن تدفع عن نفسها.

وينبني على العودة إلى تعليمات الله وتوجيهاته واتباعها والتمسك بها والعمل على أساسها، بناء الأمة فتكون أمة حكيمة وعزيزة ممتنعة على أعدائها؛ لأن الله هو العزيز وهو من يمنح أولياءه العزة ﴿وَلِلَّهِ العِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون:٨]، وله العزَّة جميعاً ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ العِزَّةَ فَلِلَّهِ العِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر:١٠]. وتعليماته تبني أمة قوية في كل الاتجاهات، تستطيع أن تتحرك لمواجهة كل التحديات.

والقرآن الكريم هو كتاب أنزله الله وليس منفصلاً عن الله الذي له ملك السموات والأرض، وتوجيهاته تمتلك شرعية حقيقية، لأن الأرض أرضه والسماء سماؤه والعالم كله مملكته، والخلق خلق الله، والجميع عباد الله، بخلاف ما يفرض الآخرون لأنفسهم من شرعيات زائفة، ويريدون في مقابلها أن ننظر إلى توجيهات الله وتعليماته وكأن لا شرعية لها.

يقول الله عنه: ﴿تَنزِيلاً مِّمَّنْ خَلَقَ الأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ العُلَى * الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى * لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى * وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى * اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الأَسْمَاء الحُسْنَى﴾. [طه:٤-٨].

ومن المهم في هذا السياق الوعي بأنه كتاب ليس مفصولاً عن الله وليس بديلاً عنه، ولن نحقق الهداية به إذا كنا منفصلين عن الله، لذلك سنحتاج إلى الارتباط الوثيق بالله، ونطلبه أن يهدينا بكتابه، ونحقق التقوى والايمان العالي في واقعنا، ونبتعد عن المعاصي حتى لا يسلبنا النور والبصائر والتوفيق والهداية.

يقول السيد عبد الملك بدر الدين الحوثي: "مهما بلغ الإنسان أي رتبه، أي مستوى من الوعي والفهم لا يزال بحاجة كبيرة جداً وملحّه إلى الهداية الإلهية؛ والهداية الإلهية فيها جانبان: البصائر من خلال القرآن، الهدى، الملازم، الثقافة القرآنية، الرؤية القرآنية.

فعامل البصيرة من خلال هدى الله -سبحانه وتعالى-، وهدى الله شيء أساسي للإنسان، ارتباط الإنسان بالهدى يكون ارتباطاً واعياً يقدّس هدى الله، يعرف حاجته الدائمة إلى هدى الله، وأنه محتاج دائماً إلى الهداية الإلهية، وأنه إذا ابتعد عن الهداية الإلهية فالبديل هو الظلام والضلال، وأنه إذا غيّر حتى نظرته إلى

هدى الله تكون المسألة خطرة عليه، حتى تغيير نظرته إلى هدى الله.

كذلك التدخل الإلهي الذي يمنح الإنسان نوراً يستفيد حتى من الهدى نفسه، لأنه لا يوجد شيء يغني عن الله حتى كتابة، حتى القرآن ليس بديلاً عن الله. ﴿يَهْدِي بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ﴾ [المائدة من الآية١٦] يمكن لك أن تقرأ النصوص القرآنية، يمكن لك أن تقرأ نصوص الثقافة القرآنية في الملازم ولا تستفيد ولا تنتفع.“ (٣٠)

ومن هنا يتضح لنا ضرورة التعامل الصحيح مع هدى الله، وفق النظرة التي يرسمها القرآن الكريم، حتى يتحقق لنا التدخل الإلهي في صنع التأثير في أنفسنا وفي الواقع، ونستفيد من القرآن الكريم والثقافة القرآنية استفادة كاملة، ويمكننا معرفة ذلك كما يلي:

اولاً: الارتباط بالله وطلب الهداية منه

تكمن اشكالية الكثير من المنهجيات في فصل الاهتداء بالقرآن الكريم عن الله، وفصله عن الرسول -صلوات الله عليه وعلى آله-، حيث أغفلت قضية أن الله هو الهادي للأمة في جميع مراحل الحياة، ولابد من الارتباط به والالتجاء إليه حتى يتدخل ليهدينا بكتابه، ولا بد من الارتباط بالقرآن وفق سنة الله في هداية البشر التي استمرت منذ بداية التاريخ البشري، وتتمثل في إنزال كتب من عنده، واصطفاء هداة لقيادة عباده على أساس الكتب التي ينزلها.

وما يجب أن نفهمه في البداية هو أن الله عندما يقول: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَن تُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَد هُدِيَ إِلى صِراطٍ مُستَقِيمٍ﴾ (آل عمران : من الآية ١٠١) فهو المعني بالهداية، ولم يجعل شيئاً آخر بديلاً عنه في علاقتنا به، فبعد أن ارشد الى الارتباط بالقرآن والرسول لم يكتفي بذلك، بل اردف بقوله ﴿وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَد هُدِيَ إِلى صِراطٍ مُستَقِيمٍ﴾ فالقرآن الكريم ليس بديلاً عن الله إطلاقاً، بل من أهم مقاصده، أن يشدّك نحو الله، فتعيش حالة العلاقة القوية بالله، والشعور بالحب والتقديس والتعظيم لله، والالتجاء إليه في كل أمورك، وفي مقام الهداية تحتاج إلى الله ليهديك، وحتى في مجال أن تعرف كتابه وتهتدي بكتابه أنت بحاجة إلى التدخل الإلهي ليهديك بما قد قرأت وما قد سمعت أو حفظت من هداه ﴿يَهْدِي بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ﴾ [المائدة من الآية١٦] .

والله تعالى يتحدث عن التنوير والفرقان والبصائر، جميعها تأتي منه، وهو الذي

(٣٠) محاضرة أسباب التوفيق، مصدر سابق

يمنحها فيقول ﴿إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً﴾(الأنفال: من الآية٢٩) وبالتالي لا يوجد شيءٌ بديلٌ عن الله إطلاقاً، في تعاملنا مع القرآن؛ حتى الرسول -صلوات الله عليه وعلى آله- لم يجعله بديلاً عنه، فهو داعٍ إلى الله ويشد الناس ويقودهم إلى الله -سبحانه وتعالى-،وبالتالي لابد من الالتجاء الى الله وتقوية العلاقة به وطلب الهداية منه هو، وتبقى الاستفادة من القرآن بقدر اعتصامك بالله، والتجائك اليه؛ فكلما ارتبطت بالله وعشت حالة التقوى، وطلبته التوفيق والهداية، يزيدك الله نوراً وبصيرة ورشداً وسداداً وحكمة، وتستفيد من هدى الله بشكل أكبر. وفي ضوء كلام الامام القاسم –عليه السلام- في كتاب المكنون: "**ومن بَطُنَ لمستَبطَنِه، رأى مكنون محاسنه،**" يقول الشهيد القائد -رضوان الله عليه-"**وأحياناً لو تحاول أنت في ظرف معين، تريد تستبطن، تستبطن. ما يطلع لك شيء، ما يطلع باطن، لكن مع حركة الحياة، مع التردد الكثير على القرآن، والتفهم له، والتفهم للأحداث، والتفهم له، ولجوء دائم إلى الباري، اهتداء بالله، الدعاء له، ﴿وقل رب زدني علماً﴾، والدعاء بأن يهديه، ... إن من أسس القرآن هو الشد إلى الله، والهدى إلى الله، لا تفهم على الإطلاق أن القرآن ممكن أن يكون بديلاً عن الله، تتحرك تقول: قد معنا منهج مرسوم، وعلى أساسه قد، قد ... وما عاد لك علاقة بالله! من أسسه الهامة، أنه يشدك إلى الله، هذه واحدة، والله يتدخل هو يهدي به، ومن خلاله يهدي هو، ما يزال يهدي هو.**"[٣١]

يقول البعض: (القرآن موجود والسنة موجودة وسنمشي عليهما ولسنا بحاجة إلى أحد،) لكن عندما تأتي للقرآن الكريم ولست مستحضراً في ذهنك الله -سبحانه وتعالى-، والعلاقة القوية بالله، والثقة القوية بالله؛ فإنك في الأخير لا تستفيد من القرآن، ولن تهتدي به الهداية المطلوبة.

ولذلك نجد كثرة القراءة للقرآن في أوساط المسلمين، وكثرة المقرئين والحفَّاظ للقرآن الكريم، ونرى مئات المطابع التي تهتم بطباعة المصاحف، ومئات الإذاعات والقنوات التي تصدح بالقرآن الكريم ونرى المئات من كتب التفسير ومناهج علوم القرآن، لكن تأثيرها محدودٌ جداً في واقعنا؛ خصوصاً في مواجهة أعداء الأمة، كل ذلك نتيجة النظرة القاصرة التي تفصل القرآن عن الله، وتفصل المسلمين عن الله، وتفصل القرآن عن المسؤولية وأحداث الحياة، وتفصل القرآن والأمة عن قرناء القرآن حتى أصبح المسلمون فاقدي التأثير والفاعلية.

يقول -رضوان الله عليه-: "**فلا بد أن يكون كل إنسان فاهم مهما كان، كبر أو صغر،**

(٣١) السيد/ حسين بدر الدين الحوثي، (مديح القرآن – الدرس السادس)، مصدر سابق

مهما كان ذكاؤه، مهما كانت عبقريته، لا يمكن أنك تتصور أنك أنت شخصياً شخصياً يمكن أن تصلّح نفسك، وتعرف حقاً وباطلاً، وخطأً وصواباً، وهدىً وضلالاً من جهة نفسك، أنت لازم يكون عندك ارتباط بالله، هو الذي يهدي، فتسير على هداه، وستعرف أنك على هداه، عندما تسير على هدى الله ستعرف أنك على هداه، وتعرف الضلال كيف هو، ومن أين يأتي الضلال، فتتوسع معارفك بشكل كبير في هذا المجال، عندما يسير الإنسان على هدي الله، ويظل دائماً مرتبطاً بالله، مرتبطاً بالله.

إذا واحد بتعجبه نفسه، وعنده أنْ قد هو عبقري، فيرجع إلى أنبياء الله، بالتأكيد أي واحد منا لا يمكن أن يرى نفسه عبقريته كعبقرية نبي من الأنبياء، ولا ذكاؤه كذكاء نبي من الأنبياء. ترجع إليهم من القرآن الكريم يقدمهم، يشخصهم لك في مشاعرهم أنهم ناس ذائبين في الله، حتى على مستوى العلم ما يكون عنده أنه هو.. ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾ (طه١١٤) هكذا، هو يتحدث عن الكثير من أنبيائه، مما يؤكد لك هذه القضية، ما بيكون عندهم أنت عبقري وما عاد تحتاج لأحد! الباري هو الذي يهدي، ويفتح أبواب الهداية، ثم فيما بعد تفكر وتتفهم، وترى الأشياء واسعة جداً، ومعارف واسعة جداً، ومع هذه لا تصل في حياتك إلى شعور بأنك قد أصبحت [طَبَقَه]. مثلما يقولون . أبداً.

هذه قضية بالنسبة للعبودية لله، وبالنسبة للمعارف ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾ (طه١١٤) دائماً؛ لأنه ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ (يوسف٧٦) ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ (الإسراء٨٥) تجلس دائماً متعلم، دائماً طالب علم من مصدره، من الله، وتعتبر نفسك أنك ما تزال قاصراً، ما تزال محتاجاً دائماً، دائماً، لا يصل واحد إلى درجة يقول لنفسه يكفي أنا لم أعد محتاجاً.

هذه المشاعر هي التي تضرب الناس، المشاعر السيئة هذه، عنده أنه قد قرأ كذا وقرأ كذا.. يكفي! يعتبر نفسه يسير ولا يعد محتاجاً لأحد، إنما فقط يوجه عباداته لله فقط ليعمل له ثواباً عليها؛ وإلا أما نفس مشاعره فعنده أنه قد أصبح غير محتاج لأحد.“ (٣٢)

إن الإيمان بأن القرآن الكريم كتاب هداية شاملة وكتاب مقدس، يفرض تلقائياً الإيمان بأن الهدى والهداية من الله وحده، وبالتالي تطلبها منه وتلتجئ إليه وتعتصم به، حتى يمنحك الهداية. والاعتصام بالله والالتجاء إليه ليس ارتباطا فردياً بالقرآن منفصلا عن أعلام الهداية وعن المسؤولية، بل هو التجاء عمليٌ إلى الله ليهدينا

(٣٢) السيد/ حسين بدر الدين الحوثي، الدرس السادس مديح القرآن، بتاريخ: ٢ /٢٠٠٣/٦ اليمن - صعدة

بالقرآن في إطار سنته في هداية عباده، وفي إطار حركة عملية جماعية.

ويبدأ تصحيح العلاقة بالقرآن من إيمانك بأن الهدى هو من عند الله تعالى، وأن الهداية لا تتحقق إلا من خلال سنته التي رسمها، وبالتالي ترتبط بالله تعالى ارتباطا وثيقاً، وتلتجئ اليه وتطلب منه الهداية، وترتبط بالقرآن من خلال ما يقدمه أعلام الهدى الذين يختارهم الله ويصطفيهم كما يلي:

١ .الايمان بأن الهدى من الله

تحدث الله في القرآن الكريم بأنه هو وحده المعني بهداية عباده ورعايتهم، وتقديم ما يضمن لهم السعادة والنصر وما يبعدهم عن الضلال والاستعباد، يقول الله -جل شأنه- ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾ [الليل ١٢] وتكفّل بالهداية الى الحق فيقول: ﴿قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ﴾ [يونس: ٣٥]. فهو رب الناس وملكهم ومن يمتلك تحديد قناة الوصل التي يوصل بها هداه إلى البشر حتى لا ينحرفوا إلى السبل الجائرة، قال تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ﴾ [النحل: ٩]

وبالتالي فالإنسان الذي يريد أن يهتدي بالقرآن الكريم، يحتاج إلى الاعتصام بالله حتى لو كان نبياً يوحى إليه، فلا أحد بمفرده يستطيع تحقيق الهداية لنفسه دون التدخل الإلهي، ولا احد يستطيع ان يحقق الاستفادة المطلوبة في روحيته وبصيرته واندفاعه العملي بشكل صحيح بعيداً عن الله حتى لو قرأ القرآن كاملاً كل يوم. فضلاً عن أن الاهتداء قضية عملية وليست مجرد معلومات ومعارف ذهنية، بل هي حالة يرتبط بها مسؤولية وعمل جماعي كأمة، ويرتبط بها صراع مع العدو وعمل على تحصين الساحة الداخلية من تطويعه وإضلاله وإفساده ومواجهته على كل المستويات، ولهذا يعلمنا الله في سورة الفاتحة أن نطلب منه الهداية والاستقامة على الطريق التي سار عليها أعلام الهداية، حتى لا ننحرف إلى صراط الضالين والمغضوب عليهم. فيقول الله -جل شأنه- ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾ (الفاتحة الاية٤-٧).

يقول الشهيد القائد -رضوان الله عليه-: " **كل هدى يحصل للناس، يحصل لملك من ملائكة الله، أو يحصل لنبي من أنبياء الله، أو يحصل لأي إنسان هو من عند الله، لا أحد يستطيع أن يهدي نفسه بعيداً عن الله، لا أحد يستطيع أن يهدي نفسه، ويرشد نفسه، لا في حياته، ولا لآخرته بعيداً عن الله -سبحانه وتعالى-.**

فهذه السورة [سورة الفاتحة] تؤكد على مسألة الربط بالله، أنك بحاجة إلى أن ترتبط بالله مباشرة، حتى وإن كنت نبياً يوحى إليك، حتى وإن كنت تحفظ القرآن عن ظهر قلب،

حتى وإن كان ذكاؤك على أرقى درجة من الذكاء، مهما كنت، إنك بحاجة إلى ارتباط يومي بالله؛ ليمنحك الهداية، وليبصرك صراط الذين أنعم عليهم.“ [٣٣]

٢ .طلب الهداية بالقرآن من الله

التأثير والاستفادة هي التي تجسد حالة الاهتداء، وهذه المسألة لا يستطيع أن يصنعها سوى الله، وليس بمقدور أي مخلوق أن يصنع التأثير في النفس، حتى الرسول لا يستطيع أن يهديك ويصنع الأثر في نفسك، وما عليه هو التبيين وتقديم الهدى، ومن يتولى الهداية ويجعل للهدى أثراً في النفوس هو الله تعالى، يقول الله – جل شأنه – مخاطباً نبيه الكريم: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾(البقرة: من الآية٢٧٢)، ورغم حرص الرسول على هداية الناس، الا أن القضية مرتبطة بالله تعالى، يقول الله تعالى للنبي –صلوات الله عليه وعلى آله- : ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ (القصص: من الآية٥٦) بالتالي لا بد من طلب الهداية من الله، لنصل إلى التأثير المطلوب في الروحية والمشاعر والوعي والسلوك والفاعلية العملية.

ويقول الشهيد القائد- رضوان الله عليه- من خلال قوله الله تعالى: “﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (البقرة: ١٨٦) **أن الإنسان يحتاج إلى أن يتوجه إلى الله -سبحانه وتعالى-، كل واحد منا حتى نستفيد، حتى يهدينا الله، حتى نستنير، أن يتوجه كل واحد منا بنفسه إلى الله -سبحانه وتعالى-، ويقطع، ويعزم مع الله، ويستعين بالله، ويرجو الله أن يعينه بأن يكون مهتدياً بهديه، بمعنى: أن يعزم فيما بينه وبين الله -سبحانه وتعالى- أنه سيسير على هدى الله، وأنه مسلِّم نفسه لله، وانه موطِّن نفسه للاستجابة لله، وإلا إذا جلس الإنسان هكذا لا يقطع بهذا الشكل مع الله -سبحانه وتعالى-، وفعلاً، كما قلنا أكثر من مرة في أجواء من الاستعانة بالله -سبحانه وتعالى-، من الاستعانة بالله، إذا لم تحصل هذه ربما لو سمعنا أشياء كثيرة، لو لدينا دروس، لو قرأ القرآن علينا عدة مرات ربما لا يترك أثرًا في نفوسنا بالشكل المطلوب.“ [٣٤]**

٣ .تقوى الله

تقوى الله وطاعته، والحذر من المعاصي والذنوب والتقصير والإهمال، جانبٌ أساس في العلاقة الإيمانية، والصلة القوية بالله، ولا يتحقق إيمان بدون تقوى الله والخوف

(٣٣) السيد/ حسين بدر الدين الحوثي، واقم الصلاة لذكري، بتاريخ: ١٤٢٣هـ، اليمن - صعدة

(٣٤) السيد/ حسين بدر الدين الحوثي، الدرس الحادي والعشرون من دروس رمضان، ٢١ رمضان ١٤٢٤هـ الموافق: ١٥/ ١١/ ٢٠٠٣م

منه، ومن أهم مكاسب وثمار العلاقة القوية بالله، أن الله يوفق الانسان ويعينه ويهديه، ويمنحه البركة والنور والبصيرة، يقول الله -جل شأنه- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ﴾ (الحديد: من الآية٢٨) وتكرر الحديث عن التقوى وعلاقتها بالهداية الإلهية، في آيات متعددة، منها قول الله تعالى ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: من الآية٢٨٢) وبقدر ما يبتعد الانسان عن التقوى بقدر ما يبعد نفسه عن العون الإلهي والسداد والتوفيق، والنور والهداية، فيعيش الضلال والجهل، ويتصرف في حياته على غير بصيرة، ويرتكب الأخطاء والحماقات، وفي الأخير يسقط ويخذل من جهة الله تعالى.

يقول السيد عبد الملك بدر الدين الحوثي: "ربما الكثير منا يبذل جهداً لا باس به وهو يقرأ أو وهو يتأمل أو وهو يطالع، ولكن هذا لا يكفيه، هذا لا يكفيه، ولا يحقق له ما يريده أبداً.

تقوى الله -سبحانه وتعالى- مفتاح أساسي لهدى الله -سبحانه وتعالى-، فالله عندما يقول ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ يقول أيضاً في آية أخرى ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِن تَتَّقُواْ اللّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً﴾ (الأنفال:٢٩) ﴿إِن تَتَّقُواْ اللّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً﴾ (الأنفال:٢٩).

بقدر ما يبتعد الإنسان عن التقوى هو يبعد نفسه عن الاهتداء بهدى الله حتى لو كان يحمل القرآن دائماً لا يفارقه نهائياً، ولو كان يراجع الملازم كل يوم وكل ليلة لا يمكن أن يكفيه ذلك، لا بد من التقوى.

التقوى التزاماً في واقع حياتك، فيما تقول، فيما تعمل، في علاقتك بالله في معاملاتك كلها، والتقوى في الأداء العملي، والتقوى وأنت تستشعر خطورة التقصير وخطورة الذنب، خطورة العصيان، خطورة التجاهل لأوامر الله، أو الإهمال تجاه أوامر الله، أو التجاوز لمناهي الله -سبحانه وتعالى-، فهذا التناسب وهذا التلازم ما بين التقوى والهدى، ما بين أن تكون متقياً حتى تكون مهتدياً، وبأن تخطو خطوات في مجال التقوى حتى ترقى أيضاً درجات في مجال الهداية، هذه مسألة هامة جداً." (٣٥)

ومن هنا ينبغي أن نعي بأن القراءة والاطلاع والمراجعة والمعرفة الذهنية وغزارة المعلومات، ليست معياراً لمدى الاستفادة والاستبصار والاهتداء، فحتى لو كان هنالك معلومات معينة أو حفظ للقرآن الكريم والملازم غيباً، وحتى لو وجدت معارفك تتنامى وترتقي دون ارتقاء في روحيتك الإيمانية، فهذا يعني أن لديك اختلالاً

(٣٥) السيد/ عبد الملك بدر الدين الحوثي، لقاء الثقافيين والإعلاميين ١٤٣٤هـ.

كبيراً في التعامل مع الهدى، وأنك تعيش حالة ليست سليمة ولابد من معالجتها؛ فالإنسان المؤمن كلما زاد في تقواه لله، فإن الله يزيده تقوى ويمنحه اندفاعاً عملياً وطاقة وفاعلية، ويوفقه في سلوكه إلى تجنب الحرام، ويهديه في تصرفاته إلى الحكمة، كنتيجة للتأثر بالهدى، والخوف من الله ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد:١٧] وعلى العكس من ذلك حينما يفقد الإنسان التقوى يصبح المتحكم في قرارات الإنسان وسلوكه ومواقفه هوى النفس، وبالتالي يفقد رعاية الله ويسلب التوفيق، ولا يعود ينتفع بهدى الله ولا يزداد منه وعيا ونورا مهما كان مستوى الفهم والذكاء والحفظ لديه.

يقول السيد عبد الملك بدرالدين الحوثي: "**بقدر ما تتحقق لنا التقوى في واقع حياتنا بقدر ما يكون انتفاعنا بهدى الله، هذه قضية هامة. بقدر ما يتحقق لك من التقوى في واقعك، بقدر ما يكون انتفاعك بهدى الله، تفاعلك مع هدى الله التزامك بهدى الله استجابتك لهدى الله. وبقدر ما تغيب عنك التقوى أو يكون هناك تراجع في واقع حياتك في التقوى تكون هذه هي النتيجة وهذه هي الثمرة تراجع في مستوى علاقتك بالله -سبحانه وتعالى-، استفادتك من هدى الله.**

لا يكفي مع هدى الله أن تكون إنساناً لديه الاهتمام الكبير بالقراءة والجهد النظري والبحث والاطلاع، هدى الله لا يكون التعامل معه فقط بواسطة الاطلاع أو القراءة أو المطالعة، هذا لا يكفي أبداً.

تحتاج إلى أن تكون من المتقين، الله جل شأنه يقول عن القرآن الكريم بأنه ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾. فبقدر ما يتحقق لك في واقعك من الارتقاء بالنسبة للتقوى، بقدر ما تهتدي أكثر فأكثر، بقدر ما يمنحك الله من نوره، ويمنحك من الهداية بهداه بشكل أفضل، وأفضل بقدر ارتقاءك في التقوى، وهذه مسألة هامة."[٣٦]

ثانياً: الارتباط به وفق سنة الله في الهداية

منذ بداية التاريـخ البشري مروراً بجميع الأمم على وجه الأرض لم ينس أمة من الأمم، ولم يهمل أحداً من عباده يقول الله -جل شأنه-: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ (النحل: من الآية٣٦).

حيث تمثلت سنة الله في هداية عباده في إرسال الرسل والأنبياء ابتداءً وإنزال الكتب

(٣٦)السيد عبد الملك بدرالدين لقاء مع الثقافيين والإعلاميين ١٤٣٤هـ

وما يلحق بتلك الكتب من هدى، فالله جل شأنه هو رب الناس وملكهم، وهو من يمتلك الحق في تحديد الطريقة التي يوصل بها الهدى إلى عباده، وتكفل هو بهذه الطريقة حتى لا ينحرف البشر إلى الطرق الجائرة، فيصبحوا ضحية للمضلين يقول الله -جل شأنه-: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ﴾ [النحل: ٩] فهو -جل شأنه- من يحدد للبشرية طريق الخير وطريقة العبادة له، وهو من يرسم معالم الصراط المستقيم، وهو -سبحانه وتعالى- الذي له حق الهداية والتشريع لعباده، وأن يرسم لهم منهجاً ونظاماً يسيرون عليه في هذه الحياة ليصلوا إلى الغاية التي يريدها لهم، وتتحقق لهم كل النتائج المرجوة من استخلافهم في هذه الحياة، وبها يقيم عليهم الحجة إن لم يلتزموا، فهو الخالق وهو المشرِّع وهو المدبر لشؤون عباده، والأمر والحكم له في عباده، يقول الله جل شأنه: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤] ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وهو المعني-حصرياً- بتحديد قناة الوصل التي توصلنا به، ويصلنا عبرها نوره وهداه، وليست مسألة متروكة للناس في أمزجتهم وأهوائهم وشهواتهم ورغباتهم، وبما يقفل الباب أمام كيانات الطاغوت والمضلين وأصحاب الأهواء، التي تفتري الكذب على الله، وتخدع الناس، وتقدم زوراً وافتراءً العقائد والأفكار، والحلال والحرام، والإلزامات العملية، وتوظفها لمآربها ولأهوائها، فالله هو من سيتولى رسم الطريق الصحيح لعباده وتحديد الصراط المستقيم حتى لا تتمكن هذه الفئات من السيطرة والنفوذ والتحكم بالبشر وبثرواتهم؛ قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ﴾ [يونس: ٣٥].

وبالتالي فإن الطريقة التي يرسمها والمعالم التي يحددها ليس من صلاحياتنا أن نختار البدائل لها أو نرفضها، وأي خروج منها سيكون الثمن هو الضياع وعبادة الطواغيت واتباع المضلين، قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ [القصص: ٦٨] وتقوم تلك السنة الإلهية في هداية البشر على اصطفاء قيادة واحدة، وإنزال الكتب كمنهج تسير عليه المجتمعات في حياتها.

والطريقة التي سنّها الله لإيصال تعليماته إلى عباده، هي سنة تتناسب مع ما فطرهم عليه في واقع الحياة، وما ألفوه كمجتمع بشري، حياته ذات طابع اجتماعي وليست ذات طابع فردي، فكانت المسؤوليات الأساسية التي يهدي اليها مسؤوليات جماعية يستحيل على الفرد القيام بها بشكل منفصل، فاقتضت حكمة الله أن يكون للقرآن ورثة يقودون الأمة على أساس القرآن الكريم، وفي ظل إتباعهم والتولي لهم تتحقق للفرد الهداية والاستفادة من القرآن الكريم ويتحصن من الظلال، واعتقد أن هذا هو أهم سبب يفرض ضرورة الارتباط بأهل البيت –عليهم السلام- والمودة لهم وإتباعهم والتولي لهم، فمحبتنا وولاؤنا لهم ليس الهدف منه منافسة

الاخرين المتبعين لقدوات ورموز أخرى، لا؛ بل نحن نحب أهل البيت لأنهم دائرة الاصطفاء، وقرناء القرآن وأعلام الهداية لا يأتون الا من داخلهم.

ورغم عدم قناعة البعض بهذه الحقيقة، لكن القرآن والرسول والتاريـخ والواقع يشهد بهذا، فالاتباع لأهل البيت مرتبط بدور ومسؤولية، وكل تفضيل يرتبط به مسؤولية، وقد حفظ الله هذه الدائرة لأن هداة الامة وقرناء القرآن يأتون من داخلها، ونحن ندعو لهم ونصلي عليهم في جميع صلواتنا ليكون ذلك عوناً لهم في القيام بدورهم ومسؤوليتهم، ومن المهم في هذا السياق أن يعرف كل شخص من أتباع اهل البيت ومن المسلمين بشكل عام هذه القضية ويعيها جيداً؛ لأنها من الأسس الهامة في الاهتداء بالقرآن الكريم.

يقول الشهيد القائد - رضوان الله عليه-: " من الأسس الهامة في القرآن، أن تعرف أن للقرآن ورثة، أن للقرآن أعلام يهدون به، وإلا إذا فكر كل واحد منا بأنه ليس إلا كبقية الناس في عهده وقبله كل إنسان كل واحد ينطلق للقرآن هو يتفهم، ويريد يستنبط، وأنه يتأمل إلى أخره، أليس هكذا؟ والناس ناسين، ناسين هذه المسألة سيضلون، أي لا تتصور أن ما هناك أحداً يحاول يرجع للقرآن وهو هكذا يقرؤه. لكن بروحية أنه أنا، أنا أهتدي بالقرآن، وأعرف القرآن أنا، وأطّلع على القرآن أنا، وافهم أسراره أنا. الخ.

لا تتصور بأنك حالة نادرة عندما ترجع أنت إلى الطريقة هذه، كثيرون. المفسر أليس يحتاج يمارس الطريقة هذه؟ أمامك المفسرون كمثال واضح، الطبري، ابن كثير وغيرهم، أليسوا يحتاجون الطريقة هذه: يتأمل؟ يتأمل لكن منسوفة في ذهنيته أن هناك ورثة لكتاب الله اصطفاهم الله، هم يهدون بالقرآن، لا يوجد عنده هذه، يطلّع لك ضلال من تفسيره، وهو قد مر بكل آية من آياته.

هذه واحدة من الأسس، واحدة من القضايا التي لا بد أن تفهمها، باعتبار ماذا؟ تثقيف قرآني، وأساس قرآني، إذا ما عندنا هذا المفهوم ما نهتدي بالقرآن على الإطلاق، ما نهتدي به على الإطلاق، إذا ما عندي هذا المفهوم سأكون قابلاً لمن يطلّع القرآن في غير مورده، في غير موضوعه، فيضلني به.

قد جعلوا مجاميع من الشباب يسيرون ليجاهدوا جهاداً أمريكياً في أفغانستان وما هم دارين! وحركوا لهم آيات الجهاد. ألم يحركوا لهم آيات الجهاد؟ عملاء لأمريكا، متواطئون مع أمريكا، بتمويل أمريكي وبتوجيه أمريكي يحركون لك شباباً مسلمين مساكين، يحركونهم ويسيِّرونهم أفغانستان باسم الجهاد في سبيل الله، أليس هو هنا يقرأ عليهم آيات الجهاد؟ ينكشف الموضوع وإذا المسألة كلها إنما

هي ترتيبات لإخراج روسيا من أفغانستان؛ لتأتي أمريكا بديلاً عنها!." [٣٧]

ثالثاً: تصحيح النظرة الى القرآن الكريم

تبدأ عملية الاستفادة من القرآن الكريم والتأثر به والاستبصار ببصائره، من النظرة إليه، ومنهجية التعامل معه؛ فالقرآن الكريم وهدى الله بشكل عام ليس كأي كتاب يمكن أن تقرأه دون معرفة من ألَّفه ودون أي علاقة بجهة الإعداد، فكلام الله تعالى يجب أن تكون النظرة إليه نظرة قداسة وإجلال وتعظيم، والتعامل معه دون ابتذال وفق السنة الإلهية في الهداية، وبإدراك تام أن وراء القرآن من نزَّل القرآن، ملك الناس وخالقهم، الذي يعلم السر في السموات والأرض؛ فننظر إليه ككتاب أنزلَه الله منهجاً ودستوراً للحياة نهتدي به في مختلف شؤننا الخاصة والعامة، ونتحرك في جميع المجالات وفق رؤيته ومنهجيته واساليبه، ونبني مواقفنا على أساسه، فنتبع من يأمرنا باتباعه، ونعادي العدو الذي يأمرنا أن نعاديه، ونحمل الروحية التي يربي القرآن عليها، فنتخلق بأخلاقه ونلتزم بتعاليمه ونطبق تشريعاته، ونحمل الاهتمامات التي يوجهنا إليها، ونستشعر على الدوام الحاجة الماسة للهداية الإلهية، والضرورة الملحة للتزود من علومه ومعارفه وما يهدي اليه.

والتربية التي يعتمدها أهل البيت -عليهم السلام- في كل عصر، تقوم على الربط بالقرآن الكريم والشد اليه وترسيخ عظمته وقداسته وتصحيح النظرة إليه، يظهر ذلك في نهج البلاغة للإمام علي-عليه السلام- ومديح القرآن للإمام القاسم بن إبراهيم-عليه السلام-، وصولاً إلى ما ورد في الثقافة القرآنية عن القرآن الكريم.

يقول الشهيد القائد-رضوان الله عليه-: " **الإمام القاسم يركز هنا على قضيتين، قضيتين هامتين جداً: أن تعلم أولاً عظمة هذا القرآن عند الله، وقدره. أليست هذه أول واحدة؟ ثانياً: أن تنظر إلى القرآن أنه كتاب هداية، وإرشاد للعالمين جميعاً، في كل شئون حياتهم. هذا هو غرض القرآن وقصده. إذا لم تعرف غرض القرآن وقصده لن تستفيد.**" [٣٨] ويقول: " **ثم عندما نتعامل مع القرآن الكريم، عندما نتعامل معه، نتعامل معه بإجلال، باحترام، بتعظيم، بتقديس، بنظرة صحيحة للقرآن أنه كتاب للحياة، ﴿تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾.**"[٣٩] ويمكننا ادراك ذلك كالتالي:

(٣٧)السيد/ حسين بدر الدين الحوثي، مديح القرآن – الدرس السادس، مصدر سابق

(٣٨) السيد/ حسين بدر الدين الحوثي، درس القرآن كتاب هداية، بتاريخ: ٣/ ربيع الثاني/ ١٤٢٤هـ الموافق: ٢٠٠٣/٦/٣هـ.

(٣٩) السيد/ حسين بدر الدين الحوثي، الثقافة القرآنية، بتاريخ :٤/ ٨/ ٢٠٠٢م.

الأمر الأول: إجلال القرآن وتقديسه وتعظيمه

نحن المسلمون معنيون أن ننظر إلى القرآن وفق النظرة التي يحددها الله، ونتعامل معه وفق المنهجية التي يرسمها، فنعظمه ونجله ونقدسه، ونبني عليه واقع حياتنا، ونخضع له جميع الرؤى والمفاهيم والمصطلحات، حتى يكون له الهيمنة الثقافية على ما سواه.

وفي ضوء ما تضمنته دروس مديح القرآن الكريم، يؤكد الشهيد القائد أهمية تربية أبنائنا وطلابنا داخل الأسر وفي المدارس، على تعظيم القرآن وإجلاله بحيث تكون تربية عملية تصنع للقرآن مكانة في نفوسهم وعظمة في قلوبهم تمهد للاهتداء به. ومن المعلوم أن الشيء المبتذل الذي لا عظمة له في نفسك، لا تنتفع منه ولن يكون لتوجيهاته أي قيمة او تأثير، فضلاً عن البدائل التي تحل مكان القرآن عندما تغيب أهميته وقيمته من نفوسنا وواقع حياتنا. وفي ضوء قول الامام القاسم- عليه السلام- في كتاب مديح القرآن: **(فمن أعظم الذكر لله والتذكير به، ذكره بما ذكر به نفسه من آياته وكتبه، فبتلاوة الكتاب فاذكروه، تُجلّوا الكتاب وتوقروه).**

يقول الشهيد القائد- رضوان الله عليه-: " **وهذه هي عبارة هامة جداً: أنه يجب على الإنسان أنه يحاول أن يصنع للقرآن في نفسيته قدسية وإجلال، وفي أسرته عند أولاده، وفي أهل بيته، ولطلابه، وللمجتمع، أن يعمل الناس على ترسيخ، وإجلال للقرآن، وتقديس للقرآن عند المسلمين. قد يكون المعلمون بشكل خاص في المدارس، يجب أن يلاحظوا دائماً عندما يكون الطلاب يكتبوا في دفاتر، يكتبوا ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ويكتبوا نصوصاً قرآنية، ثم تراها مبعثرة في أرضية الفصول، وفي حوش المدرسة، أنه يجب على واحد أنه يحاول دائماً يحسس الطلاب بأنها طريقة خطأ هذه، يجمعوها ويدفنوها، أو يجمعوها ويطرحوها بين خزان ماء، أو أي شيء، ولو النص القرآني من داخل الورقة.**

عندما تكون أنت معلم تتابعهم بهذا الشكل، هو نفسه تعليم تحسسهم بأهمية القرآن، وقدسيته، لا تتركهم هكذا تكون أوراقهم مبعثرة في الطرق، وفي حوش المدرسة، يذكّر واحد الطلاب بهذا. وهذه قد يكون لها أثر سلبي بالنسبة للطلاب، وبالنسبة للمدرسة، وبالنسبة للناس؛ لأنه مظهر من مظاهر عدم الاكتراث بالقرآن الكريم، وكأنه كأي كلام آخر يداس ليست مشكلة!." [٤٠]

ونتيجة للمستوى المتدني الذي وصلت إليه الأمة في النظرة إلى القرآن الكريم

(٤٠) السيد/ حسين بدر الدين الحوثي، الدرس السابع، القرآن كتاب هداية، بتاريخ: ٣/ ربيع الثاني/ ١٤٢٤هـ الموافق: ٢٠٠٣/٦/٣هـ.

والتعامل معه، غاب معها القداسة بكل ما ينبني عليها من اتباع وارتباط وتمسك به، وتأثر واستجابة لتوجيهاته، كان لابد من نهضة تربوية وعملية تعيد للقرآن مكانته اللائقة، وتؤسس للعودة إليه، والارتباط به على كل المستويات، وتعالج الخلل الذي شاب علاقتها بهدى الله، وتحتاج إلى أن تعمم وتتسع وتستمر هذه الحالة في واقعنا إلى الأبد، لأن الحاجة للهداية الإلهية ليس لها وقت محدد يمكن أن تستغني عنها، أو تكتفي بجزءٍ يسيرٍ منها." **يجب أن نرتبط بالقرآن الكريم من جديد، ونتعلمه ونعلم أبناءنا وبناتنا ونساءنا، ونكثر من تلاوته، ونهدي مصاحفه لبعضنا البعض وأشرطة تلاوته، نتحرك في إطار أن نشد أنفسنا إلى القرآن من جديد، وأن نرسخ قدسيته ومكانته وعظمته في نفوسنا من جديد؛ لأن القرآن، لأن القرآن هو من لو لم يكن من عظمته وفضله إلا أنه يكشف الحقائق أمامنا. لا يمكن لأي كتاب في هذه الدنيا أن يريك الحقائق ماثلة أمامك.**" [٤١] ويلحق بذلك الاتي:

١. التعامل مع هدى الله من واقع الحاجة

القران الكريم هو كتاب هداية وارشاد ونظام كامل للحياة يتسع لكل شؤونِها ومجالاتِها وتفاصيلها ويواكب احداثها ومتغيراتها والازمنة على تعاقبِها، والقران الكريم ليس مجرد كتاب للقراءة والاطلاع ولا تقتصر مهمته في انتاج الحسنات بل هو كتاب للدنيا قبل الاخرة، انزله الله الحي القيوم ليهدينا به في كل الظروف وفي جميع المراحل، انزله للبشرية بامتدادها وليس للجيل الأول من المسلمين، وأراده الله أن يكون كتاب هداية لكل الأجيال، فيما يواجهه كل جيل في عصره من تحديات وصراع، وفيما يتحمله من مسؤوليات وأمام المستجدات والمؤثرات والمتغيرات، وفي ما يحتاج إليه البشر في مختلف شؤونهم العامة والخاصة، يقول الشهيد القائد -رضوان الله عليه- : "**(ولا يَخْلَقُ على كثرة الرّد)، مهما تردد الحياة تتردد من حولك وتتغير، وتحدث أحداث متعددة والقرآن كلما ترجع إليه يفيدك يعطيك هدى، يكشف لك شيئاً.. كل يوم ترجع إليه. أليست الحياة هكذا تتحرك؟ الحياة كلها تتحرك متغيرات تطرأ، أحداث تطرأ، القرآن يكشف لك الكثير الكثير عنها، وكيف تنظر إليها، وكيف تتعامل معها.**" [٤٢]

والقرآن في دلالاته وما يعطيه من معارف، كما قال الإمام علي -عليه السلام-: **(بحرٌ لا يُدرَكُ قَعرُه)** ، له موقف من كل حدث ومعانيه تتجدد بتجدد الأحداث، لأنه كتاب حركة -كما يقول بعض الأئمة- أنه يجري مجرى الليل والنهار، ومجرى الشمس والقمر.

(٤١) السيد/ حسين بدر الدين الحوثي، دروس من وحي عاشوراء، بتاريخ: ١٠ محرم ١٤٢٣هـ الموافق: ٢٣/ ٣/ ٢٠٠٣م.

(٤٢)السيد حسين بدر الدين الحوثي؛ "الدرس الثالث من دروس المائدة»، (صعدة: ١٥يناير٢٠٠٢م).

وكلما استجدت مسؤوليات ومهام وأعمال، ساعد ذلك على الارتباط بالهدى واستيعابه بشكل أكبر، ويمنح الله الإنسان مزيداً من الهداية الإلهية من الآية نفسها التي قد قرأها مراراً وتكراراً في مراحل معينة، وفي مرحلة أخرى تستجد فيها تفاصيل وتحديات أو أخطار ومشاكل جديدة، تستفيد منها حلاً جديداً، ورؤيةً جديدة وتأثيراً نفسياً ومعنوياً إضافياً، يزيدُك رصيداً إلى رصيدك السابق فترتقي أكثر وأكثر، وبالتالي تبقى حاجتنا إليه مستمرة ومتكررة على الدوام.

"القرآن الكريم هو نور الله والبصائر التي أنزلها لعباده، فيه توجيهاته، فيه إرشاداته إلى الخير، إلى العزة، إلى الفلاح، إلى النصر، فيه ما تُبنى الحياة على أساسه لتكون حياة سعيدة، أُسس الفلاح والفوز والنجاة والسلامة من الشقاء والسعادة في الدنيا والآخرة.

وهو في هديه الواسع الواسع الواسع يُقدِّم للإنسان كل ما يحتاج إليه من الهدى، ضمن سُنَّة الله في أن يجعل مع الهدى هُداةً يهدون به؛ ولكن من ظاهر القرآن أشياء كثيرة يستفيدها الإنسان، يقول الله -سبحانه وتعالى-: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ بِاللّهِ وَاعْتَصَمُواْ بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [النساء:١٧٤-١٧٥].

هنا نعرف أهمية القرآن عظمة القرآن، نور من الله نبصر به في ظلمات الحياة حتى نكون على بيِّنة، حتى نعرف الحق، نعرف الحقيقة، حتى لا نُخدع، حتى لا نُضَل، حتى لا نُبعَد عن ديننا، حتى لا نضيع في واقع حياتنا فنكون على هدى وبصيرة وبيِّنة، ونكون على ارتباط صحيح في علاقتنا بالله -سبحانه وتعالى-.

هذا النور نحتاج إليه لا يمكن الاستغناء عنه، الابتعاد عنه ظلمة، ظلمة في قلب الإنسان، وظلمة في بصيرة الإنسان، وظلمة تحول بين الإنسان وبين أن يرى الحق وأن يهتدي إلى الحق، وأن يرى الخير وأن يرى الحقيقة، وأن يرى طريق العزَّة، أن يرى طريق الفلاح، طريق النجاة، هذا النور الذي هو عطاء الله العظيم نحتاج إليه أن نكون معتمدين عليه، منتفعين به، مستنيرين به، هذا شيء مهم.

فالقرآن الكريم ننظر إليه ككتاب نور، نور نرجع إليه، نعرف من خلاله الحق والواقع والحقيقة، ونعرف من خلاله طريق الخير والفلاح والسعادة والنجاة." (٤٣)

ومن هنا يجب أن نحمل على الدوام الشعور بالحاجة للهدى، وندرك أننا بدون

(٤٣) السيد/ عبد الملك بدرالدين الحوثي، محاضرة الذين أن مكناهم في الأرض، مصدر سابق

هدى الله سنفقد الهداية والحكمة ونفقد إنسانيتنا ونعيش كالأنعام أو أضل، وبدون التزود من الهدى واستشعار الحاجة المستمرة اليه يخسر الانسان الارتقاء الايماني والمعرفي، فينعكس ذلك على واقعه العملي لذا كان لابد من الالتجاء الى الله وطلب الهداية منه بشكل مستمر والتزود بالمعارف من مصادر الهداية والارتقاء المستمر، يقول الشهيد القائد - رضوان الله عليه- "**ارجع إلى الله هو الذي يعلم أنك بحاجة إلى المزيد ليرشدك هو إلى المزيد، وإلى المزيد من مصادر الهدى والمعرفة والإيمان. لا تقل في نفسك: يكفي، يبدو أنني قد فهمت من خلال شهر معين من خلال سنة معينة من الدراسة، يبدو قد فهمت كل شيء وأصبح ما في نفسي كفاية، تحاول دائماً طول حياتك، طول حياتك وكلما تقرأ كتاب الله تدعو الله دائما أن يهديك بكتابه، وأن يوفقك لفهم كتابه لتزداد إيمانا، تزداد إيمانا، تزداد إيمانا. حتى وإن وصلت إلى درجة أولئك: ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾** (الأنفال: من الآية٢)"، (٤٤)

وكلما كان التعامل مع هدى الله روتينياً ومبتذلاً، كانت النتائج سلبية على المستوى النفسي وعلى المستوى العملي، حيث تنعكس حالة اللامبالاة إلى قسوة في القلب، فتظهر الجرأة على العصيان والمخالفة، وهو الحال الذي كان عليه بنو إسرائيل، عندما كانت الآيات تتردد عليهم، فيتعاملون معها ككلام عادي، فقست قلوبهم وطبع الله عليها، حتى أصبحت كالحجارة، وسلبهم الله الهداية، والحكمة، وضلوا ضلالاً لم يوفقوا بعده إلى اليوم.

"أهمية أن نتعامل مع هدى الله باهتمام، باستشعار للمسئولية، من منطلق شعورنا بالحاجة الملحة إلى هدى الله -سبحانه وتعالى-، لا نتعامل تعاملاً روتينياً، ولا يؤثر فينا طول الوقت، طول الأمد، فتتغير مشاعرنا تجاه هدى الله، فلا نبقى مقدسين ومعظمين لهدى الله، ومتعاملين معه على أساس الاهتمام من منطلق الحرص على الاهتداء.

ما يحدد علاقة الإنسان بالله -سبحانه وتعالى-، ما يحدد مستقبل الإنسان الأبدي، ما يحدد مسار حياة الإنسان هو: تعامله مع هدى الله، هذه قضية أساسية، الموقف من هدى الله في تعاملك مع هدى الله، يبتني عليه مسار حياتك بكله، إما هداية، ونوراً، وزكاءً، وتوفيقاً، وفوزاً، وإما ضلالاً، وشقاءً، وضياعاً، وخسراناً، يتحدد على موقفك تجاه هدى الله -سبحانه وتعالى- نجاتك أو هلاكك، سعادتك أو شقائك، ولهذا المسألة مهمة جداً.

البعض يتأثر بطول الوقت، فتصبح العلاقة مع هدى الله علاقة روتينية عادية،

(٤٤) السيد/ حسين بدر الدين الحوثي، مكارم الأخلاق الدرس الأول، ، بتاريخ: ١٩ من ذي القعدة ١٤٢٢هـ الموافق: ١/ ٢/ ٢٠٠٢م

يتعامل مع هدى الله عندما يقرأ القرآن الكريم مباشرةً، أو عندما يقرأ ما هو من القرآن الكريم، مثل ما هي الملازم يتعامل بلا مبالاة بفتور، ليس عنده اهتمام، ولا تركيز، ولا حرص على الاستفادة، والاهتداء، يتعامل إما وكانه يشعر أنه قد استغنى لم يعد بحاجة إلى المزيد من الوعي، والمعرفة، والهداية، أو لا يبالي أصلاً، ليس لهدى الله في نفسه قيمة ولا أهمية، الله -سبحانه وتعالى- قال في كتابه الكريم يخاطب نبيه الكريم: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُوْلَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءهُمْ * وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْواهُمْ﴾ [محمد:١٦-١٧]." (٤٥)

٢. استيعابه وتفهُّمَه والتفاعل معه

عندما يسمع الإنسان هدى الله، هو أمام حالتين فطَرَهُ الله عليها، إما أن يتحرك في الاتجاه الصحيح وبشكلٍ مستمر وعلى نحوٍ صحيح، بالتالي سيزداد إيماناً ويزيده الله هدايةً، ويرتقي في الواقع العملي، ويرتقي في وعيه وبصيرته واندفاعه وفي استجابته لله -سبحانه وتعالى-، ويتعود على الخير والعمل حتى يحمل الروحية العملية، ويصبح إنساناً عملياً نشيطاً متفاعلاً يحمل حيوية وطاقة الإيمان.

وإما أن يسير في اتجاه التنصل عن المسؤولية والتخاذل والتثاقل وعدم الاستجابة لهدى الله، حينها يصبح الكسل والإهمال حالة نفسية تترسخ فيه حتى يمتلئ قلبه بالفتور وينطبع عليها، وتصبح نظرته إلى الأعمال ذات الأهمية الكبيرة أنها أعمالٌ شاقةً وتشكّل عبئاً ثقيلاً وشرًا وخطراً. يقول الله -جل شأنه- : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (الأنفال: من الآية٢٤) لأن الإنسان لا يبقى قلبه على حسب ما يريد، فعندما لا يستجيب بسرعة تترسخ في القلب مشاعر سلبية، وقد تأتي ظروف أو مراحل معينة، تحدث فيها أحداث وأخطار أو فتن كبيرة، يرى الانسان قلبه قد تغير وأصبح ممتلئاً خوفاً من الأعداء، ووهناً في مواجهتهم، بعد أن تحولت حالة الكسل فيه إلى حالة راسخة، ولم تتوفر فيه الإرادة العملية.

وفي القرآن الكريم حديث واسع جدا عن عواقب المتخاذلين والمكذبين والمتنصلين، ومنها الخذلان وقسوة القلب والطبع على القلوب، والضلال من الله ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً﴾ (الأعراف: من آل آية١٤٦)

(٤٥) السيد عبد الملك بدرالدين الحوثي، الدرس الأول من دروس مكارم الأخلاق

ولهذا يجب أن يفهم الإنسان بأن القضية متوقفة على الاستجابة والمبادرة، إذا لم يتفاعل ربما لن يوفق ﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ (الأنعام: من ال آية١١٠) فالإنسان إذا حصل من جانبه تكذيب في أول مرة، أو تثاقل، قد يصل به الحال إلى أن يضله الله، وتتغير نظرته إلى الحق، ويصبح غير مرتاح لسبيل الحق، ويتحول إلى باحث بجديةٍ عن سبيل الغي:﴿وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ (الأعراف: من ال آية١٤٦) وكل ذلك هو نتيجة طبيعية للتعامل السلبي مع هدى الله.

يقول الله - جل شأنه-: ﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ (الأعراف اية ١٠١)

ويقول الله تعالى ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾ (يونس٧٤).

ويقول الله – حل شأنه- حاكياً عن بني إسرائيل، ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾ (غافر الاية٣٤)

لذا فإن المسألة مبنية على التسليم لله، ومدى اليقين بمعنى العبودية لله، بحيث يتقبل الانسان هدى الله، ويتفاعل معه ويستجيب لله منذ سماعه، يقول الله تعالى: ﴿وَلاَ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ﴾، اما إذا وصل الإنسان إلى مستوى أنه لم يعد يتأثر بهدى الله -سبحانه وتعالى-، ولا يتفاعل مع توجيهات اعلام الهدى قرناء القرآن التي تأتي في ظل المشروع القرآني، فقد سلب التوفيق وأصبح يعيش حالة الخذلان، وتحول الى مجرد مستمع، وكأنه ليس لديه إحساس.

والتفَهُم لا يعني أن تتسمر أمام التوجيهات أو أمام آيات الله وهي تتلى عليك، أو أمام نور القرآن وبصائره وهي تقدم إليك. المطلوب أن تتأثر، وأن تستجيب، وأن تستمع بالشكل الذي يخلق لديك وعياً، وقناعةً وانطلاقة، فالإنسان المؤمن هو من النوعية التي قال الله عنها: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً﴾.

يقول الشهيد القائد –رضوان الله عليه-: "منهجاً هاماً، وهو أن تذكّر الناس: يا جماعة الإنسان إذا لم يتقبل هدي الله، هذا الذي هو هدى، نور، كذا، كذا، سيكون عرضة لأن يزيغ قلبه، لا يعد ينفع فيه شيء، سيكون عرضة إلى أن يقسو

قلبه، سيكون عرضة إلى أن يقيض الله شيطاناً معه، سيكون، سيكون.... الباري ما معناه تحسب كل ضلال في الدنيا إليه هو، الضلال الذي يقول عنه أنه هو يضل، يضل. يبين لك في القرآن بأنه يضل نوعية من الناس، هم الذين يقدم الهدى إلى بين أيديهم، ثم لا يستجيبون، لا يقبلون. فهؤلاء هم محط أن يضلهم، يجعل قلوبهم قاسية، يلعنهم، يقيض شيطاناً لهم مثلما قال هنا: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ﴾ (الزخرف:٣٦) هو انصرف هو، وعشي بصره عن أن يرى ذكر الرحمن الذي هو القرآن الكريم؛ ﴿نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً﴾ هي النوعية هذه.“ (٤٦)

وتكمن أهمية التفهم والاستيعاب، أنَّها تُحوَّل معلوماتك إلى قناعات ثابتة، ويقينيات راسخة، فالإنسان إذا بقي مرتاباً أمام مبدأ من المبادئ الإيمانية، أو كان لديه قصور وعي ونقص معلومات ولم يصل إلى قناعة راسخة، ويقين ينزل إلى أعماق النفس، فسوف ينتج عن ذلك كثير من الإشكالات التي تنحرف بالإنسان عند أي اختبار، وتسقطه أمام أي ابتلاء؛ لأن المحكات والمنزلقات الخطيرة هي التي تظهر خطورة نقص اليقين، وانعدام الثقة بالله وبما هدى إليه؛ وبقدر ما يتفهم الإنسان هدى الله ويستوعبه ويهتدي به، بقدر ما يحصل على الوعي الذي يتماسك به عند الزلزلة ويستنير به أمام التضليل والإرجاف، وفي القرآن الكريم نماذج إيمانية عالية الوعي واليقين، كلما زاد الارجاف والتهويل ازدادت إيماناً وثباتاً يقول الله -جل شأنه-: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾(آل عمران١٧٣) ويحكي الله عن الخُلَّص من أصحاب طالوت، كيف وقاهم يقينهم العالي، من الانحراف، ونجاهم من التردي عند الابتلاءات التي مروا بها، فبعد ان تجاوزوا النهر، رأوا جالوت قد خرج على رأس جيش كبير، ووجدوا انفسهم قد أصبحوا قليلاً ، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لاَ طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُو اللّهِ كَم مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾(البقرة: من الآية٢٥٠-٢٥١) فبقوا ثابتين، وساعدوا في ثبيت الآخرين؛ ولأهمية ذلك نجد كيف يعلمنا الإمام زين العابدين في دعاء مكارم الأخلاق، أهمية اليقين في الثبات والاستقامة، وعلاقته بالإيمان، ويرشدنا إلى أن نطلبه من الله تعالى.

”(واجعل يقيني أفضل اليقين) يكون الوعي أحياناً بشكل معلومات مهما بلغت درجته، يكون بشكل معلومات في نفسك حتى يطمئن إليه قلبك ويستقر في قلبك فتبلغ درجة اليقين التي تؤهلك للاستقامة والثبات.

(٤٦) السيد/ حسين بدر الدين الحوثي، مديح القرآن، الدرس الأول، بتاريخ: ٢٧ ربيع الأول ١٤٢٤هـ الموافق: ٢٨/ ٥ / ٢٠٠٣م

أليس القرآن الكريم هو أرفع درجات الوعي؟ احمل مصحفاً صغيرا في جيبك هل ستكون واعيا إلى درجة عالية؟ لا. قد تكون في أعمالك بالشكل الذي يضرب القرآن وهو في جيبك. لا بد للأشياء أن تنتهي في نفسك إلى درجة اليقين، تترسخ فتنطلق هي لتجعل من قوامك مستقيماً مستقراً ثابتاً ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ (فصلت: من ال آية ٣٠) ﴿قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ قالوها بألسنتهم فوعوا معانيها، ثم ترسخت في أنفسهم بشكل يقين فاستقاموا، استقاموا وثبتوا.

اليقين هو معنى أن تكون عظيم الثقة بالله. ألسنا نؤمن -كمعلومات -أن الله على كل شيء قدير؟ وأن الله سينصر من نصره إن الله لقوي عزيز؟ ألسنا نؤمن بأن الله مع الذين آمنوا؟ وأن الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور؟ وأنه وعد المجاهدين في سبيله بأن يؤيدهم بنصره وبملائكته؟ هذه مجرد معلومات. أليس كذلك؟

لكن نريد أن تصبح يقينا في أنفسنا، يقينا في أنفسنا، حينها نلمس أننا أصبحنا عظيمي الثقة بالله، واثقين بالله، واثقين بصدق وعده. هذه حالة نفسية تحتاج فيها أيضاً إلى أن ترجع إلى الله لتطلب منه هو: (واجعل يقيني أفضل اليقين).

الله هو الذي يملك القلوب، ويملك النفوس وهو الذي سيهيئ لك الكثير والكثير مما يصنع اليقين في نفسك، مما يملأ قلبك يقينا وطمأنينة". (٤٧)

الأمر الثاني: التعامل معه ككتاب هداية

يجب أن نتعامل مع القرآن الكريم ككتاب هداية ومشروع للحياة، وأن تكون علاقتنا به علاقة اهتداء في المقام الأول، نهتدي به ونسترشد ببصائره ونلتزم بتوجيهاته ونستضيئ بنوره، ونثق بما وعدنا الله به ونتأثر به في روحيتنا وفي مشاعرنا وفي سلوكنا وتصرفاتنا. يقول الله –جل شأنه-: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء:٩] فهو يدلنا على أرقى الأخلاق التي نتحلى بها، ويوجهنا الى أحسن الأعمال التي ينبغي أن نعملها، وينهانا عن الأمور التي يجب علينا أن نتجنبها، ويرشدنا إلى من نوالي ومن نعادي ومن نقاتل ومن نسالم، وكيف يكون برنامجنا العملي في هذه الحياة.

وعلاقة الاهتداء تعني أن يكون هذا الكتاب بهديه الكامل والشامل والبيّن، هو من يصنع توجهنا ومواقفنا وتحركنا وأخلاقياتنا، وهو من يوجه تصرفاتنا وسلوكياتنا فيما نقول وما نعمل، حتى لا يكون أعداؤنا هم من يصنعون مسارنا في الحياة، ويرسمون مسارنا

(٤٧) السيد/ حسين بدر الدين الحوثي، في ظلال دعاء مكارم الأخلاق -الدرس الأول، مصدر سابق

السياسي، ويتحكمون في مواقفنا وعدائنا وفي وسلمنا وحربنا، وفي توجهاتنا في الحياة.

" [فمن لم يعرف غرض ما يريد وقصده، لم يبذل في الطلب له جهده، ولم يعلم منه أبدا، هداية ولا رشدا، فخرج من علمه كله صفرا، ولم يصب بشيء منه ظفرا،] إذا لم تعرف القرآن كتاب هداية، لم تصب شيئاً، ولن تظفر بشيء حتى ما تعرفه من الأحكام هذه التي نقول عنها: أحكام شرعية، عبادات ومعاملات، تفهمها فهماً ناقصاً، ولا لها قيمة عندك إلا باعتبار كونها يأتي بعدها ثواب، أو أثام إذا تركتها، لا يوجد لها غاية أخرى، ما تفهم قيمتها، وتفهم جاذبيتها أنت، وتفهم ما تترك من أثر في مجالات أخرى.

[ولم يصب بشيء منه ظفراً وكان كمن سلك طريقا لا يعرف وجهته ولا قصده، فتبع فيه ضلالته وخسرته وتلدده،] يعني ضائع، ما يهتدي بشيء [فلم يزدد من الهدى، إلا نقصا وبعدا، فهلك وأهلك فضل وأضل عن سواء السبيل،] وهنا الخطورة في هذا؛ لأنه لا يضل لوحده، في الأخير يضل الآخرين. [فهلك وأهلك] وهذه حقيقة من أسباب ضلالنا أننا لم ننظر إلى القرآن ككتاب هداية، في حلقات الدرس حقنا، وفي توجيهنا، وإرشادنا، وحركتنا الثقافية.

لم ننظر إليه ككتاب هداية، ثم نعرف ما هي الهداية؟ الهداية في الحياة كلها، كل شئونها، كل أمورها، كل مجالاتها. لا تعني الهداية إن واحد يقول: [يا سيدي أشتي تهب لابني عزيمة، أن الله يهديه، يهتدي، بيكسَّر علينا فناجيل ويبكي كثيراً، ويكسر ثلاجات، ولا يترك أمه تعمل لنا غداء، نريد يهتدي].

مسألة الهداية يعني: هداية في الحياة كلها، كلما أمامك، كل مجالات الحياة، نظام للدنيا هذه كلها، في كل شئونها، في كل مجالاتها. هذه هي الهداية، في كل مسيرة الإنسان في الدنيا هذه." [٤٨] وحينما ننظر إلى القرآن الكريم ككتاب هداية يتوجب علينا الاتي:

الاتباع له والتمسك به

الاتباع للقرآن الكريم لا يعني مجرد المعرفة، أو ممارسة طقوس عبادية محدودة، أو تمسكٌ بشكليات، وتعلق بمندوبات ومسنونات، على حساب القضايا الكبرى، والمسؤوليات الهامة، بل هو ارتباطٌ عملي والتزام حرفي واستجابة كاملة، وتخلٍ عن كل ما يتصادم مع القرآن الكريم من أفكارٍ وثقافات ونظريات ورؤى ومنهجيات وفنون

(٤٨)السيد/ حسين بدر الدين الحوثي، الدرس السابع، القرآن كتاب هداية، بتاريخ: ٣/ ربيع الثاني/ ١٤٢٤هـ الموافق: ٢٠٠٣/٦/٣م

ومفاهيم خاطئة وتصورات مغلوطة، والتمسك بالقرآن الكريم يعني قطع أي ولاءات أو روابط أو علاقات أو انتماءات تحكم توجهنا وتبعيتنا خارج رؤية القرآن، سواء كانت روابط سياسية، أو روابط طائفية، أو روابط قبلية أو اجتماعية؛ لاسيما أن الكثير اليوم يعيشون فوضى الروابط العمياء التي لا تحكمها أي ضوابط، ولا تنسجم مع القرآن الكريم بأي حال من الاحوال.

ونحن كمسلمين ننتمي للقرآن الكريم، يجب أن نراعي ضوابط إسلامنا قبل ضوابط الحزب أو المذهب أو القبيلة أو الطائفة، وأن نلتزم توجيهات إلهنا قبل أن نتأثر بأي سياسات أو مؤثرات أخرى، وأن نُرسِّخ في أنفسنا هويتنا الإسلامية قبل أي هوية، وانتماؤنا للإسلام قبل كل انتماء، وعلاقتنا بالله ربِّنا ومالكنا قبل أي مؤثرات أخرى، واتباعنا للقرآن قبل أي فكر أو ثقافة أو رؤية، قال تعالى: ﴿اتَّبِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلاَ تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف:٣].

فقد أنزله الله لنتبعه ونتمسك به ونسير على ضوء توجيهاته يقول الله -جل شأنه-: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام:١٥٥] يترتب على ذلك رفض ما يقدم لنا الآخرون من تصورات ورؤى وأفكار، ونبذ ما يبنون لنا من مواقف وولاءات وعداوات وحروب وسفك للدماء بعيداً عما يقدمه القرآن الكريم.

"التمسك ماذا يعني؟ اتباع بقوة، اتباع بقوة. ما معناه هكذا التمسك؟ ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾ (مريم١٢) ﴿خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ﴾ (البقرة٦٣) ماذا يعني: خذوه بقوة؟ يمسك واحد المصحف، ويضغط يده عليه؟ أو يمسك الإسرائيلي التوراة، ويضغط عليها، أو اتباع، تذوبوا في الاتباع، وتصميم في الاتباع، وانطلاقة جادة في الاتباع. هذا معنى: خذوا الكتاب بقوة، وكلما فيه تجعلوا له أهميته، وتنطلقوا للالتزام به."[٤٩]

رابعاً: التعامل معه كمنهج عملي ومشروع حياة

القرآن الكريم كتاب حياة شاملة، يهدي الناس في كل شؤون الحياة، وله رؤية ومنهجية لمختلف المجالات السياسية والاقتصادية والإعلامية والفكرية والإدارية ومختلف الشؤون الاجتماعية، وهي الرؤية الصحيحة والواقعية والمنهجية المتناسبة مع فطرة البشر وسنن الكون، والتحرك على أساس رؤية القرآن تمثل صلة تربطنا بالله تعالى فنحظى بمعونته ونصره وتوفيقه.

(٤٩)السيد/ حسين بدر الدين الحوثي، الإسلام وثقافة الاتباع، بتاريخ: ٢٥ جمادى الآخرة ١٤٢٣هـ الموافق: ٢ / ٩/ ٢٠٠٢م

وكلما ابتعد الانسان عن الرؤية القرآنية في حياته حلت بدائل ظلامية لا تخلوا من حالتين: إما أن يتحرك وفق ما وفد من الشرق والغرب من أفكار ضالة ومفاهيم خاطئة ونظريات شاذة، تزيد الإنسان تيهاً وجهلاً وتصنع لديه الحيرة والتخبط.

أو أن يتحرك وفق الأهواء والمزاج والاجتهادات والانطباعات الشخصية، التي تبتعد به عن الحق والحكمة، وتفاقم من المشاكل والأزمات في واقع الحياة، وتصنع الشبه وتفتح الثغرات. والكثير من الاجتهادات والأفكار البعيدة عن المنهجية القرآنية، فتحت الثغرات للشك والريب في الإسلام، وصنعت إشكالات وأثارت تساؤلات لا حل لها، فضلاً عن آثارها التربوية والنفسية، التي اوجدت لدى البعض الغلظة وعدم الرحمة أو الشفقة، كما هو حال التكفيريين، والبعض منها جمدت المسلمين وصرفتهم عن الجهاد في سبيل الله، وأبعدتهم عن إعداد القوة، ندرك علاقة المسؤولية بالاهتداء بالقرآن الكريم من خلال الآتي:

١. القرآن كتاب عمل

القرآن الكريم كتاب هداية ورؤيته عملية شاملة لجميع شؤون الحياة، والمسارات التي يهدي اليها ليست قائمة على الرهبانية، والانغلاق داخل أسوار المساجد في عزلة عن الحياة، ورؤيته لا تقتصر على الجوانب الإيمانية التعبدية الروحية، وليست محصورةً في إرشاد الناس إلى ما يحصلون به على الأجر ، وليست مؤطرة في تعريف الانسان كيف يُسبِّح ويستغفر وكيف يصلّي ويصوم وكيف يحج وانتهى الموضوع.

ونتيجة للنظرة القاصرة التي خلقتها بعض الفنون تجاه القرآن الكريم، أصبح الكثير من المسلمين ينظرون إليه على أنه عبارة عن كتاب يُتلى ويُردد لا يتجاوز القضايا العبادية والأخلاقية وقصص الماضين، والبعض لا يرى فيه سوى مصدر لإنتاج الحسنات وتحصيل الثواب فقط، وكأنه كتاب لا علاقة له بشؤون الحياة وما يدور فيها من صراع وأزمات ومشاكل. ويستبعدون أن يكون هذا القرآن قد هدى الأمة إلى كل شيء في هذه الحياة، وأرشدها إلى كيف تكون بمستوى المواجهة لأي عدو من أعدائها.

ويبدأ تصحيح هذه المفاهيم والتصورات القاصرة، من الثقة بالله تعالى والثقة بما هدى إليه، وتصحيح النظرة الى القرآن أنه كتاب يمتلك رؤية عملية شاملة وناجحة، ومشكلة العرب والمسلمين- في صراعهم الطويل وأمام النكبات التي نالتهم-، أنهم لم يثقوا بالله، ولم يرجعوا إلى كتابه، فظلوا دائماً يدورون في حلقةٍ مفرغة، يتلقون الضربة تلو الضربة، في حالة من الاستسلام والاستكانة والعجز والتراجع، دون أن يستفيدوا من أهم مصدر للقوة بين أيديهم وهو القرآن الكريم، ودون أن يرتبطوا به

في مختلف شؤونهم في الحياة.

وفي واقعنا المعاصر نجد أن مسيرتنا القرآنية تتقدم إلى الأمام، وكل يوم تتعاظم المسؤولية ويزداد حجم الأحداث والتطورات، وتكثر المتغيرات والمستجدات، وهذا يستدعي المزيد من الوعي والمعرفة بالمشروع القرآني، والارتباط به رؤية وسلوكاً وروحية وموقفاً، بحيث لا يكون هنالك فجوة بين الانتماء والتطبيق، وحتى لا يبقى المشروع القرآني مجرد عنوان، بينما الواقع يسير على رؤى واجتهادات ونظريات وأساليب أخرى.

يقول الشهيد القائد –رضوان الله عليه- "إذا انطلق الإنسان هو دون أن يهتدي بالله -سبحانه وتعالى-، وبهدي الله سيغلط، خاصة فيما يتعلق بالجوانب الثقافية، الفكرية، القانونية، الأشياء التي تنتهي في الأخير إلى نُظُم في الحياة، أو توجهات لدى الإنسان في هذه الحياة.

وحتى في المراكز، وحتى لو قلنا نحن نتعبد لله -سبحانه وتعالى- بالعمل فيها، ونريد أن نسهر من أجل أن نعمل منهجاً دراسياً فيها، كائنا من تكون أنت، ولتكن عبقرتيك كيفما كانت، وليكن إخلاصك كيفما كان، ولتكن حسن نيتك كيفما كانت، ستغلط، ستغلط إذا لم تعتمد القرآن الكريم، إذا لم تعرف بعد القرآن الكريم أن له منهجاً تربوياً متكاملاً، لديه مناهج متعددة، لديه مقاصد هامة.

في الماضي كنا نسمع في بعض المراكز هنا إذا قلنا لازم يكون هناك اهتمام بالقرآن الكريم، قالوا: عندنا زحمة برامج، زحمة البرامج على حساب القرآن الكريم! يعني: هذا فشل لا شك فيه، "ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله" كما قال رسول الله -صلوات الله عليه وعلى آله- وهو يتحدث عن القرآن:"ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله" سيضل ولو بحسن نية، ولو بإخلاص. قضية حسن النية ليست تعصم عن الوقوع في الغلط، عن الوقوع في الخطأ... لنفهم أن حسن النية أيضاً، أن الإخلاص أيضاً، كل شيء لا يعصمك عن الوقوع في الخطأ إذا لم تنطلق انطلاقة قرآنية، إذا لم تعتمد القرآن، وأنت تعمل منهجاً للمراكز هذه، إذا لم تعتمد القرآن وأنت تثقف الناس في هذه المراكز، إذا لم تعتمد القرآن وأنت تخاطب الناس في مساجدهم، إذا لم تعتمد القرآن وأنت تكتب، وأنت تحقق، وأنت تسجل، وأنت، وأنت، ستضل، ستغلط.

والغلط في هذا المجال لا يغتفر، الغلط في هذا المجال تبرز آثاره السيئة؛ لهذا ظهر في الأخير نوع ارتباك في المراكز، أو في بعض المراكز، وحصل اختلاف في وجهات النظر، وتعدد في الأقوال، والآراء. ناس يريد ينفتح كذاك، وعنده أن هذه

هي الطريقة الصحيحة، نتأقلم مع العصر!

هو لا يفهم العصر، العصر إذا أنت تريد أن تتأقلم مع هذا العصر، منطق العصر هذا هو منطق القوة. كن قوياً، ابنِ أُمّةً قوية، هو عصر التكتلات في جانب الأعداء لضَرْبِنا."[٥٠]

٢. فهمه والاستفادة منه مرتبط بالمسؤولية

من الأمور التي يجب الوعي بها في علاقتنا بالقرآن الكريم هي أن الاهتداء بالقرآن وفهمه والاستفادة منه مرتبط بالواقع العملي (القيام بالمسؤولية) وحركة الحياة، وغياب هذا الفهم من واقع أمتنا تسبب في تجميد الكثير من المفاهيم القرآنية، وتعطيل مساحة واسعة من آياته، والملحوظ في الساحة الإسلامية أن الكثير من الفئات تعاملت مع القرآن بمنهجيات تفصل القرآن الكريم عن الواقع العملي، وتجاهلت معظم مناهج التفسير حقيقة هامة وهي أن القرآن كتاب عملي، لا تستفيد منه وانت جامد ومتنصل عن المسؤولية، ولا تهتدي به وانت غير معايش للأحداث ومتغيرات الحياة، وكثير من آياته لا تُفهم وتستوعب إلا في سياقٍ عملي، وقد ترتب على تلك الأخطاء فصل القرآن عن الشأن السياسي وإدارة شؤون الأمة والتربية لها، وبقي بنظر هؤلاء مجرد أحكام تشريعية ذات طابع فقهي، غاب معها الجانب الحضاري للإسلام، وغاب التعظيم والإجلال للأنبياء والتقديس للقرآن والاهتداء به.

بعض المفسرين اتجه لتفسير القرآن بناءً على خلفيات فكرية معينة، وتعامل معه من خلال الأحاديث المنسوبة للنبي وروايات أسباب نزول الآيات، وأقاويل الفقهاء والمفسرين والمجتهدين، وهؤلاء لم يبنوا شيئا ولم يغيروا في الواقع شيئا إلى الأفضل، وجمَّدوا القرآن في عصرهم، وأبعدوه عن أن يكون كتاباً مواكباً لجميع الأحداث، والنتيجة هي غياب القرآن -كمنهجية عملية- من حركة الحياة، وعدم استيعابه والاهتداء به، ولو تعامل الشهيد القائد السيد حسين بدر الدين الحوثي مع القرآن بطريقة التفسير التقليدية المنفصلة عن الواقع وعن العمل الجماعي، لكانت محاضراته حبيسة الأدراج، ولكانت دروسه اليوم في المكتبات جامدة ومغطاة بالأتربة.

وهناك من اتجهوا على أساس أن القرآن مصدر التشريـع، واستبعدوا السنة والأحاديث القولية تماماً، وتعاملوا مع القرآن الكريم بطريقة عقلية فردية منفصلة عن الهداة والواقع وأحداث الحياة، وفسروا القرآن بالقرآن باعتباره ميسراً للفهم،

(٥٠)السيد/ حسين بدر الدين الحوثي، الإسلام وثقافة الاتباع، مصدر سابق

معتمدين على اللغة العربية وتتبع المفردات وسياقاتها، لكنهم اقتصروا في النظر إليه على الجانب التشريعي فقط، وليس منهجَ هداية شاملة للحياة بمختلف تفاصيلها ومتغيراتها (كالقرآنيين) [٥١].

والنتيجة هي أنهم لم يبنوا شيئا ولم يلامسوا حاجة الأمة، ولم يكن لهم موقف واضح من أعداء الأمة، ولم يقدموا حلولاً عملية سوى تنظيرات ومفاهيم خاطئة، وأنتجوا رؤى سياسية علمانية، وخرجوا بنظريات مخالفة لتعليمات القرآن ومتناقضة مع توجهاته وغاياته ومقاصده.» فالإسلام في وجهة نظر القرآنيين يدعو لدولة علمانية لا تفرق بين المواطنين على أساس عرقي أو ديني أو غيره، كما أنها دولة ديمقراطية يحكم فيها الشعب نفسه بنفسه، كما أن الدولة الإسلامية في نظر القرآنيين تضمن حرية الرأي والتعبير وتراعي حقوق الإنسان والحريات الشخصية، ليست مسئولة عن إدخال المواطنين الجنة، لأنهم يرون أن القرآن لم يذكر أي عقوبات دنيوية ضد من يرتكب معاصي لا تضر الآخرين وتدخل في نطاق الحرية الشخصية، كما لا يذكر عقوبة ضد من يعبر عن رأيه أياً كان أو من يغيّر عقيدته أو يبدل دينه، بل على العكس فقد دعا إلى حرية الاعتقاد وحرية التعبير واحترام الرأي المخالف." [٥٢]

ويتميز المشروع القرآني عن غيره بتعامله العملي مع القرآن الكريم، القائم على الاعتقاد بأن القرآن ليس بديلاً عن الله، ولا بد من التدخل الإلهي في الهداية به، كامتداد لما سار عليه أعلام الهداية من أهل البيت -عليهم السلام- في النظرة إلى القرآن ككتاب عملي ومنهج هداية شاملة، أنزله الله تعالى لنقوم بالقسط ونواجه الطواغيت والمجرمين على أساسه، ونعمر الحياة وفق تعليماته، ومن خلال اتباعه نحظى بالنصر والغلبة والتأييد والمعية والرحمة، وهو الرؤية والمنهج الأصلح والأنفع للحياة، والأفضل والأرقى والأسمى في بناء النفوس وتزكيتها، وهو الكتاب الذي ينسجم مع فطرة الناس ومع سنن الحياة ومع سنن الكون، أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض، والعليم بواقع عباده، والخبير بنقاط ضعفهم وما يتلاءم مع نفوسهم؛ وجعله تبياناً لكل شيء، لابد أن يكون هنالك أعلام للهداية وقرناء للقرآن يهدون الناس به، ويقودون الأمة على أساسه، ولهم علينا حق الطاعة والتسليم والاتباع.

---

(٥١) القرآنيون هو اسم أطلق على تيار إسلامي ظهر في مصر، ولقي استجابة محدودة داخل مصر وخارجها ويطلقون على أنفسهم أهل القرآن. يفضلون عدم الأخذ بالأحاديث والروايات المنسوبة للرسول صلوات الله عليه واله، أو ما يعرف بالسنة النبوية. فالقرآنيون يكتفون بالقرآن كمصدر للتشريع لاعتقادهم أن الله قد وعد بحفظ القرآن فقال: «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ» ويستدلون على ذلك بأن القرآن هو الكتاب الوحيد الذي اجتمع كافة المسلمين على صحته، بينما الأحاديث فيها اختلاف كثير على صحتها بين الفرق الإسلامية المتعددة بل في كل الفرقة الواحدة يوجد اختلاف بين علمائها. كما لا يعتد القرآنيون بأقوال السلف أو إجماع العلماء أو القياس وغيرها من مصادر التشريع الإسلامي السنية أو الشيعية أو غيرهما من الفرق التي يطلق عليها القرآنيون مسمى الأديان الأرضية.

(٥٢) متواجد على الرابط التالي: قرآنيون/ https://www.marefa.org

يقول الشهيد القائد - رضوان الله عليه- "نحن نقول: نحن في مدرسة واحدة مدرسة، ما نستفيد من القرآن نفسه إلا في إطار حركتنا، لا تتصور بأنه أنا أجي أقرأ القرآن لمَّا قد هو معي [غيب]، وأحاول وأفهم كل معانيه، وأفهم كل تفاسيره، وأفهم كل شيء، ثم بعد ذلك تحدث الناس! هذه لا تحصل، ليست حاصلة هذه، تعرفون أن هذه ليست حاصلة؟ رسول الله -صلوات الله عليه وعلى آله- ما حصل له هذا بالشكل هذا، هل نزل عليه القرآن جملة واحدة؟ ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾ (الفرقان: من الآية٣٢) في حركته على مدى ثلاثة وعشرين سنة تنزل القرآن.

هنا يكون القرآن، القرآن كتاب مرتبط بالحياة، مرتبط، -مثلما قلت سابقاً- لا أحد يستطيع أن يقرأه أولاً، ويفهم تفاسيره، وكل معانيه، ثم يقدمه للآخرين، هو مرتبط بالحياة، مرتبط بالحركة، والاهتداء به تدخل إلهي به مرتبط بهذه.

إذاً لا يوجد فكرة أنه أقرأ، أقرأ حتى أكون مثل فلان، ثم في ذلك الوقت سوف نتحرك! أو كيف عمل فلان حتى قد هو يعمل هكذا؟ أعمل مثله، ثم في الأخير سأكون أنا مثله! المسألة ليست هكذا، كل الناس من عند رسول الله -صلوات الله عليه وعلى آله- ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾ (طه: من الآية ١١٤).وهذه هي حركة علم، حركته من يوم أن بُعث إلى أن مات حركة علم كلها، لهذا نقول: أن سيرته هامة، سيرته يعني: حركته الرسالية، حركة أداء رسالته، معارف هامة جداً، معارف هامة جداً."[٥٣]

خامساً: العمل الجماعي في إطار أمة

القرآن الكريم كتاب يربي الآمة على أن تكون أمة تحمل مسؤولية كبرى، وخطابه خطاباً جماعياً وليس خطابا فرديا لكل انسان بمفرده، بل هو كتاب لبناء امة تقوم بمسؤولية عالمية وتتحرك بشكل جماعي لإقامة القسط ومواجهة الظلم.

ومن الأخطاء التي نتجت عن بعض الفنون في التعامل مع القرآن الكريم هي ترسيخ الخطاب القرآني الفردي، وترسيخ النظرة الفردية الى المسؤولية فأصبح المسلمون ينظرون الى المهام من زاوية الاستطاعة الشخصية، وتعاملوا مع آيات الجهاد في سبيل الله والامر بالمعروف والنهي عن المنكر من منطلق الاستطاعة أو عدم الاستطاعة، وبالتالي رأى كل شخص نفسه عاجزاً عن القيام بمسؤوليته ومعذوراً عن أداء مهامه التي أنيطت به في القرآن الكريم.

(٥٣) السيد/ حسين بدر الدين الحوثي، لقاء المعلمين، بتاريخ: ٢٠٠٣/٥/٢٤م.

فأضرت - تلك الفنون - بوحدة الامة وتحركها الجماعي، وأصبح تعامل الامة مع القرآن مقتصرا على الاحكام الشرعية والفرائض التي يستطيع الانسان القيام بها بمفرده، ولم تعد النظرة الى القرآن الكريم بأنه كتاب هداية شاملة، وليس محصوراً في خمس عبادات ومجموعة من القواعد في المعاملات.

من نتائج النظرة الفردية في التعامل مع القرآن الكريم أن البعض يعتقد بضرورة أن يفهم القرآن بنفسه فهماً كاملاً دون الحاجة لأعلام الهداية لأنه يرى أنه خوطب به خطاباً فرديا، وبالتالي صرفهم هذا التصور عن العمل الجماعي والتحرك في إطار أمة واحدة لها قيادة واحدة وفهم موحد ورؤية عملية واحدة.

وبالعودة الى القرآن الكريم نجد الآيات تتحدث عن القيام بالمسؤولية بشكل جماعي وبشكل أمة يقول الله - جل شأنه - ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران:١٠٣] ويقول -جل شأنه- :﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران : من الآية١٠٤) فالله يعلم أن الانسان بمفرده لا يستطيع أن يعمل شيئا، ثم إن العمل على أساسه يحتاج إلى امة تجسده وتبتني على أساسه وتتحرك لإعلائه وتقدم النموذج الشاهد على عظمته الذي يجذب اليه بقية الامم.

أضف لذلك أن اعداءنا اليوم يتحركون لمواجهتنا في تحالفات عالمية، وتتكتل أممهم ضمن احلاف كبيرة ليتغلبوا علينا، ولا مناص من العمل الجماعي في مواجهتهم، وبالتالي لا يمكن للنظرة الفردية أن تثمر ولا يمكن للتحرك الفردي أن يوصلنا الى نتيجة، ومن خلال النظرة الفردية لن نستفيد من القرآن الكريم ولن نهتدي به الاهتداء المطلوب.

عوامل الاستقامة

وأسباب الانحراف والسقوط

الفصل الخامس:

وسائل التزكية والهداية والصلاح

﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسۡتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ لِيُخۡرِجُوكَ مِنۡهَاۖ وَإِذٗا
لَّا يَلۡبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلٗا ٧٦ سُنَّةَ مَن قَدۡ أَرۡسَلۡنَا
قَبۡلَكَ مِن رُّسُلِنَاۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحۡوِيلًا ٧٧ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ
لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ
ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ٧٨ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ
لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩ وَقُل رَّبِّ
أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ وَأَخۡرِجۡنِي مُخۡرَجَ صِدۡقٖ وَٱجۡعَل
لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا ٨٠ وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ
ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا ٨١ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ
مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا
خَسَارٗا ٨٢﴾

(الاسراء الاية٧٦-٨٢)

مدخل عن وسائل التزكية

القرآن الكريم كتاب تربية ومشروع تزكية، يعيد النفوس إلى فطرتها، ويزيل ما تدنست به من الشوائب، ويطهرها مما علق بها من منابع الفساد ومن مصادر الضلال، ويعالج أمراض القلوب ويشفيها من الآفات التي تلوثت بها من مؤثرات هذه الحياة، يقول الله -جل شأنه-: ﴿وَشِفَاء لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾ (يونس:٥٧)

والإنسان في حياته يتحرك بمشاعره النفسية، وهو محكوم بالمؤثرات الداخلية، التي تنعكس حتماً في سلوكه وتعاملاته، وتصرفاته في الحياة؛ لذلك نجد أن الله في القرآن الكريم أعطى أهمية كبيرة لتزكية النفس، وتطهيرها من الخبث والرذيلة، وصيانتها من الشوائب والمؤثرات السلبية، وقدم الحلول التي تعالج عللها وتقضي على آفاتها، وأعطى البدائل المقابلة للخصال السيئة، بحيث يحل محلها مكارم الاخلاق والخصال الحميدة، ومحاسن الصفات.

ومثلما يمنح الله -سبحانه وتعالى- الهداية والرعاية والتوفيق والسداد، ففي طريق الحق ما يساعد الإنسان على الاستقامة، من حيث الأثر والعطاء التربوي، الذي يزيد الإنسان زكاءً وطهراً وصلاحاً ورغبةً في طريق الحق، ومحبةً وعشقاً لموقف الحق ولصالح الأعمال ولحميد الصفات، وهذه القضية تعين الإنسان على مواصلة السير، ومواجهة التحديات والتحمل للمعاناة والثبات تجاه المؤثرات السلبية.

وجميع الوسائل التربوية التي تساعدنا على الثبات والاستقامة هي رحمة من الله تعالى، فالله يريد لعبادة النجاة والفوز، ولا يريد أن يضيع إيمانهم، وجهادهم، وعملهم الصالح يقول-جل شأنه-: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ (البقرة: من الآية ١٤٣)، وهو-جل شأنه-، من يقدِّم للعباد ما يحافظ على إيمانهم، ويضمن لهم حالة الاستقامة والاستمرارية، فيقول: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾؛ إنما هذا يتطلب منا أن ننطلق الانطلاقة السليمة، وأن نرجع إلى الله -سبحانه وتعالى- على الدوام.

يقول السيد عبد الملك بدر الدين الحوثي: "**هدى الله -سبحانه وتعالى- هو يشمل كل الجوانب بالنسبة للإنسان، وجانب من أهم الجوانب التي يلحظها هدى الله فيما يتعلق بالإنسان تزكية الإنسان، العمل من خلال وسائل كثيرة وتوجيهات كثيرة، وجوانب كثيرة لضمان تزكية النفس البشرية حتى تكون نفساً زاكية، نفساً طاهرة، سامية، تبتعد عن كل الرذائل، تبتعد عن كل الأشياء السيئة، ترتقي وتترفع عن الأشياء السيئة والخسيسة، ونجد في القرآن الكريم تركيز على هذا الجانب بشكل كبير ولهذا قال الله -سبحانه وتعالى- في سورة الشمس: ﴿وَنَفْسٍ**

وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ (الآية: ٧-١٠)، **﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ من لديه اهتمام بتزكية نفسه وارتباط بالله في ذلك واهتمام بكل وسائل التزكية وحرص عن الابتعاد عن كل وسائل الدنس التي تؤثر على زكاء النفس."**[1]

ولأهمية هذه الجوانب جعل الله التربية والتزكية من المهام الرئيسة لخاتم الرسل -صلوات الله عليه وعلى آله- فيقول جل شأنه: **﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾**(الجمعة ٢) وتكررت في سور قرآنية أخرى ففي سورة البقرة يقول: **﴿يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ﴾** (البقرة: من الآية١٢٩)، ويتلخص هذا الدور في تزكية النفوس، وتأديبها وبنائها، وتعزيز مكارم الأخلاق في أقوال البشر وأفعالهم، وتربيتهم لينشؤوا ويتحركوا في الحياة عناصر صالحة ومستنيرة، ويبنوا حضارتهم على أساس من القيم الفطرية والإنسانية السامية التي تضمن فاعليتها وتأثيرها، واستمراريتها فيما يتفع البشرية.

وقد جعل الله للرسول ولاية علينا، وأوجب طاعته، ليتمكن من أداء هذا الدور المهم، والرئيس في حياتنا، قال تعالى **﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾**، والبديل عن تولي الرسول وأعلام الهدى هو أن يتحول الإنسان إلى عنصرٍ خبيث فاسد وضالٍ في الحياة، وينعكس ذلك الخبث سلباً على أداء المسؤولية في الحياة، وعلى القيام بالدور الذي أراده الله للإنسان.

من ناحية أخرى فإننا عندما نتحرك مجاهدين في سبيل الله نحتاج إلى ما يؤهلنا على المستوى النفسي لنكون بمستوى المسؤولية، في طهارة قلوبنا وزكاء أنفسنا، فنقيم المسؤولية بشكل صحيح، ونعمر الحياة على النحو الذي يريده الله، ونواصل المسير باستقامة واستمرارية بروحية ايمانية عالية، والأهم من ذلك أننا نحتاج إلى صلاح النفوس وزكائها لنحظى بمعونة الله تعالى ونكون جديرين بأن ينصرنا ويهدينا، لذلك يقول -سبحانه وتعالى-: **﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾**(الحج:٤١).

والمشروع القرآني الإلهي يقدم العبادات والفرائض ومكارم الاخلاق في مستوى بالغ الأهمية، باعتبارها مواضيع غير هامشية، وليست مجرد طقوس وشعائر لكسب الأجر والثواب فحسب، بل الحاجة إليها ماسة؛ خصوصاً في صراعنا مع الأعداء الذين يسعون إلى استهداف إيماننا وإفساد أخلاقنا، ومحاربة هويتنا؛ لذلك نجد

(١) السيد/ عبد الملك بدر الدين الحوثي، بتاريخ ١٥ محرم ١٤٣٨هـ،

أن هذه الجوانب تقع في صلب الثقافة القرآنية، تناولتها كأركان يقوم عليها بنيان المسؤولية والجهاد في سبيل الله، ولا قيمة لأي مهام حركية، إذا لم تصدر من نفوس زاكية، وقلوب طاهرة، مستندة إلى الأخلاق الإيمانية، والقيم والفضائل؛ ويمكننا أن نتناول وسائل التزكية والصلاح كالتالي:

الوسيلة الأولى: طلب التزكية من الله

من خلال آيات كثيرة داخل القرآن الكريم، ومما تقدم في الفصول والمباحث السابقة، نجد ضرورة أن يكون الإنسان ملتجئاً إلى الله وراجعاً إليه، ومعترفاً بالتقصير والقصور والنقص أمام الله، ويدعوا الله أن يزكي نفسه وأن يعصمه من الزلل والمعاصي، ويرجو رحمة الله ومغفرته في كل الظروف والأحوال.

يقول السيد عبد الملك بدرالدين الحوثي حفظه الله: " **أول ما نحرص عليه في زكاء النفس ولتزكية النفس، في مقدمة ما نسعى لهُ ونعوّل عليه، عامل مهم جداً وهو الالتجاء الدائم إلى الله -سبحانه وتعالى-، الدعاء، الاستعانة بالله، الاستغاثة بالله -سبحانه وتعالى-، هذه مسألة مهمة جداً، ولذلك الله سبحانه وتعال قال في كتابه الكريم:﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ﴾** (النور: من الآية ٢١)**، في آية أخرى يقول ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾** (النجم: من الآية٣٢) **أي لا تمتدحوا أنفسكم وتصفونها بالزكاء افتخاراً وابتهاجاً وغروراً وعجباً، الإنسان بحاجة إلى هذا الجانب بشكل أساسي، ولربما الكثير من الناس يسقط ويخسر زكاء نفسه تجاه اختبار إلهي معين، اختبار في جانب من جوانب الحياة، في مجال من مجالات الحياة، والحياة كلها محطة اختبار لهذا الإنسان، سنة من سنن الله -سبحانه وتعالى- الاختبار لهذا الإنسان، فالكثير من الناس يتهاون ولا يعيش هذا الشعور، شعور الالتجاء إلى الله، الالتجاء إلى الله، الدعاء لله -سبحانه وتعالى-، الاستغاثة بالله -سبحانه وتعالى-، هذا جانب أساسي، جانب مهم جداً، وجانب يهيئ الإنسان لأن يحظى برعاية من الله والإنسان في أمس الحاجة إلى هذه الرعاية الإلهية.**

قد يعتمد الإنسان على نفسه، قد يركن إلى نفسه، قد يُعجب بنفسه، ثم أمام اختبار معين يتأثر، يتأثر وينجذب، هناك الكثير من المؤثرات التي تؤثر على الإنسان وتجذبهُ إلى طريق الغي، إلى الخروج عن نهج الله -سبحانه وتعالى-، فمسألة زكاء النفس مسألة مهمة جداً، وللحصول عليها أول ما نحرص عليه الالتجاء إلى الله بالدعاء، أن يدعو الإنسان الله -سبحانه وتعالى- أن يزكي نفسه، أن يوفقه، أن يعصمه من العصيان، أن يبعده عن نهج الشيطان وعن خطوات الشيطان وعن طريق الشيطان والاستمرار على الدعاء الاستمرار مهم مهم

وبالالتجاء إلى الله وبوعي بأهمية هذا الأمر، لأن حالة التهاون قد تجعل الإنسان حتى أثناء الدعاء لا يدعو بالتجاء، بجدية، بإدراك لأهمية المسألة، بشعور بالافتقار إلى الله -سبحانه وتعالى-.“ [٢]

ومن العوائق التي تحول بين الإنسان وبين تزكية نفسه، حالة الركون إلى النفس والاعتماد عليها، وعدم استشعار القصور والتقصير والنقص؛ فالبعض يثق بإيمانه، لدرجة يظن معها أنه قد وصل إلى مستوى الكمال الإيماني، وينسى الأخذ بأسباب الصلاح والتزود بوسائل التزكية، ثم ما يلبث عند أي مؤثر إلا أن يسقط، أو يفرط في مسؤولياته أو يتجاوز ويظلم ويطغى في حال التمكين، وقد عالج القرآن الكريم هذه الإشكالية في أية مهمة تشدنا إلى الله وترسخ فينا الانقطاع إليه، والشعور بالقصور والحاجة إليه على الدوام، يقول الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾(النساء:٤٨،٤٩).؛ وبالتالي فالحالة التي يرى الإنسان فيها أنه قد بلغ مراتب الكمال، هي مؤشر على حاجته الماسة للهدى وتزكية النفس، وتنبئ عن خلل إيماني يحتاج معالجة وإصلاحاً.

يقول السيد حسين بدرالدين الحوثي -رضوان الله عليه- من خلال قول الله تعالى: ”﴿بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾ (النساء: من الآية٤٩) **هذا مما يمكن أن نفهمه: أن الإنسان لا ينفرد بنفسه فيصبح يعتبر نفسه قد وصل إلى مستوى: أنْ ما يحول بينه وبين دخول الجنة إلا أن تقوم القيامة فقط وتفتح له أبواب السماء وأبواب الجنة! يجب أن يكون يستشعر بأنه ماذا؟ بأنه مقصر أمام الله وأنه بحاجة إلى رعاية الله وبحاجة إلى توفيق الله.**

اليهود كانوا هم يزكون أنفسهم مثلما قالوا هناك: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ (المائدة: من الآية١٨) ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى﴾ (البقرة: من الآية١١١) **وأشياء من هذه، يحكمون لأنفسهم بهذه، وتكون بالشكل الذي ماذا؟ في مواجهة هدى الله في مواجهة نبي الله وكتاب الله،** ﴿بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ﴾ (النساء: من الآية٤٩) **فيجب أن تقبل ما يأتي من جانبه؛ لأنه هو الذي هو تزكية لك.“**[٣]

(٢) المصدر السابق

(٣) السيد/ حسين بدر الدين الحوثي، الدرس الثامن عشر من دروس رمضان، بتاريخ: ١٨من رمضان ١٤٢٤هـ الموافق: ١٢/ ١١/ ٢٠٠٣م

الوسيلة الثانية: تلاوة القرآن الكريم

يعد القرآن الكريم أعظم مصدر تربوي لإصلاح الإنسان، وأقوى صلة بينه وبين الله، جعله الله كتاب تربية وتزكية، يزيل عن النفس البشرية الآفات السيئة، ويرسخ بديلا عنها القيم والأخلاق الإيمانية، ولا يوجد بديل آخر يمكن أن يقوم مقامه، يقول الله تعالى عنه: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاء﴾ (فصلت:٤٤) فهو الطب الوحيد، والدواء الناجع الذي يعالج أمراض القلوب، ويشفي العلل المعنوية التي تؤثر في قلب الإنسان ومشاعره، وثقافة القرآن تربي الإنسان على الخير وعلى مكارم الأخلاق، وتصيغ نفسية الإنسان ومؤثراته الداخلية، وتضبط غرائزه وفق معايير صحيحة، وهدى الله هو المنهج التربوي الذي يحمي القلوب من فساد أهل الكتاب، ويفضح خبثهم ويكشف أساليبهم، ومن خلاله نتصدى للحروب الناعمة، ونواجه حالة الاستهداف للقيم والأخلاق والمبادئ الفطرية والإيمانية.

وحتى نتزكى به يستدعي ذلك أن نجل القرآن وندرك عظمته وأهميته، ونعرف قداسته وفضله ودوره في الحياة، ونبني علاقتنا به على هذا الأساس، وألَّا نتعامل معه بابتذال، أو نتعاطى معه بشكل نمطي كأي كلام عادي.

بل يجب أن نتأثر بآياته حينما نسمعها او نُذَكَّر بها، وحينما نتلوها يجب أن تترك أثرها في نفوسنا، فالآيات التي تُذَكِّر بالمسؤولية ينبغي أن تترك أثرها اهتماماً بمسؤولياتنا، والآيات التي تُذكِّرنا بالله يجب أن تهزُّ قلوبنا ومشاعرنا بالخوف من الله، والآيات التي تُرغِّب فيما عند الله يجب أن تترك أثرها في قلوبنا رغبة فيما عند الله، والآيات التي توضح الحقائق وتكشف الوقائع وتُقيِّم واقع الحياة والناس من حولنا نستنير ونستبصر بها.

ولهذا يؤكد القرآن على التدبر والتأمل والتذكر، وأن نتلوه حق تلاوته، بطريقة لا تقتصر على إتقان مخارج الحروف، أو التركيز على حفظه وتجويده، دون التأثر بآياته والانتفاع ببصائره، والدخول في آفاقه العملية وما يهدي إليه، وربطه بالواقع. يقول الشهيد القائد -رضوان الله عليه-: "**البعض يفسر** ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ﴾ (البقرة: من الآية١٢١) **معناها: يتبعونه حق اتباعه، هذا هو واحد من مصاديق تلاوته حق تلاوته، أن يتلوه حق تلاوته، كيف حق تلاوته؟ بتدبر بتأمل من منطلق رؤية واسعة كما قال الإمام القاسم: (يجب أن تنظروا إلى القرآن ككتاب هداية) كتاب هداية، وأنت تعرف سعة الهداية، وتعرف سعة هذا القرآن، وأنت تقرأه وتتلوه من خلال مزج ما بين القرآن وما بين الواقع، مزج ما بين القرآن وما بين الحياة بشكل عام، وما بين الماضي والحاضر والمستقبل، وأنت تقرأه، هذه تلاوته حق تلاوته، ليس معنى تلاوته حق تلاوته قلقلة الحروف والغنة، وأشياء من هذه!**

إذاً فمن واجب من أوتوا الكتاب: أن يتلوه حق تلاوته، وفي نفس الوقت يكونون مؤمنين به، والإيمان به إيمان تصديق، وإيمان عملي، يقطعون بالحقائق التي يقدمها، بالأخبار التي يتضمنها مثل هذه: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ (البقرة: من ال آية١٢٠) وكثير من أمثال هذه.

﴿أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ (البقرة: من الآية١٢١) هذه توحي: بأن تلاوة القرآن حق تلاوته فعلاً تدفع إلى الإيمان به ﴿أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ لكن لم يتلَ حق تلاوته، تلي من الناحية الفنية، أن يكون الشخص الذي أنت تتلوه عنده يراعي الغنة (هل أنت مديت، جعلت الغنة بمقدار حركتين هنا، هل المد بمقدار أربع حركات، أو ست حركات؟ هل أنت قرحت حرف القلقلة؟) بعد ذلك يقول: باهر، ممتاز، يعطيك جائزة؛ أنك حصلت على درجة عالية في تلاوته!

لاحظ هذه الآيات عندما نقرؤها بهذا الشكل أعني: على هذه الطريقة نفسها، أليست تعطي القرآن في أنفسنا مكانة كبيرة جداً؟ وتجده كتابا يلامس القضايا، ويلامس الواقع فعلاً، وتجد فيه فعلاً، تجد فيه أيضاً المصاديق في واقع الحياة، في كل الاتجاهات، في الخارج، وفي الداخل، داخل الأمة الإسلامية، وخارج الأمة هذه. قد يكون من نعمة الله علينا، أن نكون في ظرف مليء بالأمثلة، واقع تستطيع أن تمثل من خلاله لكل شيء، تستطيع أن تقدم برهنة من خلاله فيجعلك تلمس القرآن وإذا هو كتاب حياة على طول يتجدد بتجدد الحياة، لا يكون عبارة بأنه حاولنا نأخذ ما بقي من القرآن، هو كتاب للحياة كلها، في كل جيل يخاطبهم هم، وفي كل جيل وكأنه نزل لهم، في كل جيل، هذا معنى حيويته."[٤]

ومن هنا يجب أن يكون هنالك تلاوة يومية للقرآن الكريم، واهتماماً مستمراً بالقرآن الكريم، وتقويةً للصلة فيما بيننا وبين الله من خلاله، ونحن كمنتمين لهذه المسيرة المباركة، التي عنوانها ومنهجها القرآن الكريم، ينبغي أن يكون اهتمامنا متميزاً بالقرآن الكريم، والتلاوة اليومية، والاستمرار عليها، مع الاهتمام بإتقان قراءة القرآن الكريم، وتعليم الناشئة من البنين والبنات، فأكثرهم وللأسف يتجاوز مرحلة البلوغ قبل ان يكمل القرآن؛ وهذه من الأمور المهمة التي يجب أن نتنبه لها.

"تلاوة القرآن الكريم أو سماع تلاوته، إذا كان لا يستطيع تلاوته فبإمكانه سماع تلاوة القرآن الكريم وبالتحديد بأداء المنشاوي. عندما نتحدث عن القرآن الكريم فإنه يهمنا بالذات نحن في هذه المسيرة، أبناء هذه المسيرة التي هي مسيرة قرآنية، من أهم الأشياء في هذه المسيرة هو الانتماء إلى القرآن، الانتماء إلى هدي

(٤) السيد/ حسين بدر الدين الحوثي، الدرس السابع من دروس شهر رمضان، ٧من رمضان ١٤٢٤هـ الموافق: ١/ ١١/ ٢٠٠٣م

القرآن، الانتماء إلى ثقافة القرآن الكريم. يجب أن يكون عندنا اهتمام أكثر من غيرنا للقرآن الكريم تلاوةً أو سماعاً واهتداءً.

يجب أن يسعى الإنسان المؤمن في تصحيح علاقته مع القرآن الكريم؛ لأن القرآن كما الصلاة كما الدعاء كما التسبيح صلة بيننا وبين الله لكنه صلة أشمل، صلة أعمّ، صلة أكبر وأعظم وأهمّ، أُمُّ كل تلك الصلات وأساسها." [٥]

الوسيلة الثالثة: الاهتمام بالجوانب العبادية

جعل الله لكل الفرائض والتشريعات غايات وأهدافاً ومقاصد، تصنع أثراً ونتائج ملموسة في النفوس وتنعكس على واقع الحياة، لا تنفصل أبداً عن تلك الفريضة، ومن أهم ثمارها تزكية النفس وصلاحها، وتطهيرها من الخبث والمرض، وتوثيق العلاقة بالله، ومعالجة حالة الغفلة والنسيان، والعون على أداء المسؤولية؛ وتمثل العبادات والفرائض والتشريعات وسائل للهداية؛ وبالتالي نحن نقيم الصلاة لأنها استجابة لله في المقام الأول، وهي عونٌ على أداء المسؤولية، وفيها ما يحمينا من ارتكاب الفحشاء والمنكر، وهي بحد ذاتها ذكرٌ وتذكر لله، ووقفة تعبر عن حالة العبودية لله والتسليم بشكل عملي، ونكسب منها الأجر والثواب، وعندما نذكُر اللهَ ونُسبحُه ونستغفره وندعوه، هي وسائل عملية تعيننا على تزكية نفوسنا من الغرور والكبر والعجب، وتبقي مشاعرنا وأحاسيسنا في حالة استذكار لله وعظمته والافتقار إليه، والشعور بالحاجة له، وفي ذلك ما يبعد الإنسان عن المعصية والانحراف، ويحافظ على سلامة العمل، ويدفعه الى الالتزام بهدي الله؛ ولهذا سميت وسائل هداية، لأنها تعين الانسان على الاهتداء والاستقامة والصلاح، خصوصاً عندما تكون خالصة لله، ومقبولة عند الله.

ويمكن أن يكون أثرها مؤشراً على قبول العبادات والفرائض عند الله، فعندما تغيب ثمرتها فهذا يعني أن هنالك خللاً في الأداء عطل تلك الفريضة أو العبادة، وأفسد ثمرتها العاجلة، وكأنها لم تكن موجودة، وبالتالي هي غير مقبولة عند الله تعالى.

ومشكلة الكثير من المسلمين في نظرتهم إلى العبادات، أنهم فصلوها عن المسؤولية وعن نتائجها وآثارها في الحياة، وحصروا الغاية منها في جمع الحسنات ومحو الخطايا، وبالتالي تحولت إلى طقوس روحانية لا علاقة لها بالشأن العام، ولا دور لها في مجالات العمل العسكري والسياسي والإداري والاقتصادي، والنهوض الحضاري، فكان لذلك تأثير سلبيٌ على الإسلام بشكل عام، والى النظرة والانشداد اليه.

(٥) السيد/ عبد الملك بدرالدين الحوثي، محاضرة الذين أن مكناهم في الأرض، مصدر سابق

يقول الشهيد القائد-رضوان الله عليه-: "**معنا أربع خمس، الأربع والخمس هذه - لو تفهمون - الغاية منها هي كلها في خدمة تلك المبادئ الضائعة كلها الصلاة، الزكاة، الحج، الصيام كلها في خدمة المبادئ المهمة التي ركز عليها القرآن والتي أعلاها الجهاد في سبيله والعمل على نشر دينه، ومحاربة أعدائه.**

ألم يقل في الصلاة: ﴿إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ (العنكبوت: من الآية٤٥)؟ الزكاة كذلك، أليس جزءاً منها في سبيل الله، حتى أولئك الفقراء الذين يعطون من الزكاة، هو لتهيئة المجتمع في داخله، أن لا يكون هناك فئة تعيش مبتعدة نفسياً عن الفئات الأخرى، فالفقير يجد نفسه يأكل مع الغني من أمواله، فليس بينه وبينه بون في داخل أعماق نفسه فهو قريب منه إذاً قريب من أن يتوحد معه؛ ولهذا وجبت الزكاة في العين، في أعيان الأموال، لا تقبل نقداً إلا في حالات خاصة عندما يكون النقد هو الأصلح، وإلا فالواجب في الزكاة أن تكون من العين"[٦]

والدين الإسلامي في كل تشريعاته وأوامره ومبادئه وقيمه ومعتقداته، يلحظ قضية بناء أمة تنهض بالمسؤولية، وتواجه الطغاة والمضلين، ومن رحمة الله تعالى بعباده، أن جعل تشريعه مترابطاً بالشكل الذي يهيئ بعضه لبعض، ويخدم بعضه بعضاً، ويسهل بعضه تطبيق بعض، فوضع في تشريعاته، وفي المنهج التربوي لكتابه الكريم الأشياء السهلة التي نستطيع القيام بها، ولها تأثير ينعكس على أداء المسؤولية وتذليل الصعاب، وتسهيل التضحية والقتال ومواجهة أعداء الله؛ وبالتالي فإن أهم أهداف الأعمال والعبادات التي نمارسها، هي خدمة القضايا المهمة والمسؤوليات الكبرى في الإسلام.

"يجب أن تفهم أن الأحكام الشرعية هذه التي تسيطر على ذهنياتنا، على نفسياتنا، هي كلها إنما هي واحدة من وسائل الهداية، الصيام يقول: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة١٨٣)، يتحدث عن الحج بكله ﴿مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً﴾ (البقرة١٢٥)، يتحدث عن الغايات كلها في إطار هداية الأمة؛ لتكون بشكل صحيح، وعمارتها للحياة على أساس صحيح، وتكون النفوس زاكية طاهرة.

الهداية هو العنوان الكبير، هو العنوان الكبير، عندما تنظر إلى القرآن بهذا الشكل من أول مفردة فيه إلى آخر مفردة، تستفيد منه، وتمر بآيات الصلاة، بآيات الحج، بآيات النكاح، الطلاق، والبيوع، والأشياء هذه... وكلها لم تعد في ذهنيتك إلا من وسائل الهداية، وهذه هي مقاصدها، مثلما قال الله في الصلاة: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ

(٦) السيد حسين بدر الدين الحوثي، الدرس الحادي عشر دروس معرفة الله،﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾، بتاريخ: ٢٠٠٢/١/٣٠م ، اليمن - صعدة

﴿تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ﴾ (العنكبوت٤٥) أليست وسيلة قدمت هنا؟ أنها وسيلة من وسائل ذكر الله ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ (طه١٤) ألم يقل هكذا؟

تجد هنا كل العبادات هذه، وكل الأحكام في المعاملات، لها غاية تعود إلى ماذا؟ تعود إلى زكاء النفس، وإلى بناء الأمة بشكل صحيح، نفس اتجاه الآيات الأخرى التي ليس فيها ولا حكم واحد.

ويضيف، "فالصلاة لها أثر في مجال الشد إلى الله، في مجال معرفة الله، في مجال الثقة بالله. الثقة بالله تجعلك بشكل تكون هنا عنصراً فاعلاً، ومؤمناً قوياً، يكون لك أثرك في هذه الحياة.

وتجد العبادات كلها هذه التي نسميها، والأحكام هذه كلها مفرقة، ومبعثرة داخل مواضيع متعددة، وكلها في هذا الاتجاه: هداية، وإرشاد، فالهداية، والإرشاد أشياء منها سلوكيات، أشياء منها تجتنب أشياء، وأشياء منها تواظب على أشياء، وكلها في إطار تزكية النفس، وسموها، وبناء الأمة بشكل صحيح."[٧]، ويمكننا تناول بعض الفرائض العبادية كالتالي:

أولاً: الصلاة

الصلاة وقفة خشوع بين يدي الله، يعبِّر الإنسان فيها عن عبوديته لله بأذكار وأفعال معينة، والصلاة هي فريضة دينية، وثاني ركن من أركان الإسلام، وقربة من أفضل القرب إلى الله، وتعد من الممارسات والصفات الإيمانية الهامة التي لا يتحقق للإنسان أن يكون مؤمنا إلا بها، ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خاشِعُونَ﴾ (المؤمنون الاية١-٢) وللقرآن الكريم حديثٌ واسع، عن الصلاة تناولتها آيات كثيرة في سور متعددة.

شرع الله إقامة الصلاة في أوقات متعددة ومتفرقة؛ لأن النفس الإنسانية تحتاج إلى رعاية وتزكية من المؤثرات السلبية، سواء رغبات أو مخاوف، أو أطماع وشهوات، أو انفعالات وغضب، فهناك ما يغري الانسان أو يستفزه، وهناك ما يستميله أو يجذبه، وكلما غفل الإنسان يتمكن الشيطان من التأثير عليه، فتأتي الصلاة لتذكير الإنسان بعظمة الله ونعمته وكرمه، ورحمته ومصيره ومرجعه، وأوقات الصلاة المتفرقة تساعد على الالتفاتة إلى الاستذكار والعودة الى الله، وإزالة المؤثرات التي تطرأ بين فترات النهار وفترات الليل.

ثم فيما يتعلق بالصلاة كعون في المسيرة العملية، نجد أنها تواكب مسيرة الحياة

(٧) الدرس السابع – القرآن كتاب هداية، مصدر سابق

في ظروفها المختلفة فهناك صلاة السفر، وصلاة المريض، وصلاة الخوف؛ حتى لا تمر فترة أو يحدث تغيُّرٌ معين دون أن يكون للإنسان ما يزكي نفسه، ويُشعِره بالسكينة والاطمئنان، والكثير من قاطعي الصلاة يفقدون الاتزان والاستقرار النفسي، ويعيشون الطيش والتهاون واستبساط الجريمة، لأنهم فقدوا القداسة والارتباط الإيماني والإحساس بمعنى الوجود الإنساني.

"الصلاة في البداية هي: وقوف بين يدي الله، ذِكرٌ لله، ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ (طه١٤) ألم يقل الله لموسى هكذا؟ ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ ذكر الله، وأنت تذكره بلسانك، وذكره في مشاعرك، في قلبك، تتذكر الله في نفسك، وتذكر الله. حتى ذكر الله باللسان هو من أجل أن تتذكر الله في نفسك.

الإنسان إذا ما ذكر الله، وكان دائماً متعوداً على أن يذكر الله، يسبّحه، ويكبرّه، وله أوراد معينة يذكر الله. هذه تساعد على أن يتذكر الله في نفسه، وهذا هو الشيء المهم، تذكُّر الله في نفسي يدفعني إلى ماذا؟ إلى الالتزام بهديه، وإلى الابتعاد عما نهاني عنه. فالصلاة في البداية تعطي هذه." (٨)

وحتى تؤتي الصلاة ثمارها لا بد أن تؤدى بشكلٍ واعٍ، بحيث تكون صلاة قيّمَة؛ وأن تكون خالصة لله تعالى، خالية من كل الشوائب المحبطة للعمل كالرياء وحب السمعة، فالخسارة لا تقتصر على ضياع الأجر وإحباط العمل، بل يتحول العمل إلى معصية، بدلا من أن يكون قربة إلى الله تعالى.

وكلما كانت الصلاة قيّمَة وتؤدى بشكل واعٍ، ستترك أثراً في زكاء النفس، وتطهير القلب، وتصنع لله عظمة في نفس الانسان، وخوفاً يدفع الإنسان إلى الابتعاد عن المعاصي، وتلقي بظلالها على الجانب العملي فتصبح عوناً في أداء المسؤولية بما تتركه من ربط بالله وطمأنينة في النفس.

للأسف الشديد أن صلاة الكثير من أبناء أمتنا الإسلامية أصبحت أمراً مألوفاً وغير قيّمة ومنعدمة الروح والتأثير؛ نتيجة عدم إدراك أهمية الصلاة، ومعانيها، وثمارها في الحياة، وبسبب غياب الاستحضار النفسي والذهني للعبودية لله، وما تعنيه من التذلل والخضوع بين يدي الله.

لذلك نجد أن الصلاة صممت في شكلها وأدائها بطريقة تجعل الإنسان على المستوى الذهني في حالة تركيز، وعلى المستوى النفسي يعيش الاستشعار للعبودية لله، وعلى

(٨) السيد/ عبد الملك بدر الدين الحوثي، الجزء السادس من الدرس السادس من دروس شهر رمضان، ١٤٣٤هـ

المستوى الفعلي هي الانضباط والسكون، فتعيش في جو نفسي مع ما تفعل وما تقول.

" لا يكفي أن تكون مصلياً، ربما يكون الإنسان من المصلين الذين هم موعودين بعذاب الله، يمكن أن يكون هناك مصلي لكنه بصلاته تلك في مقام سخط من الله وليس في مقام رضا؛ ولهذا توعد الله فئة معينة من المصلين ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ * الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ * وَيَمْنَعُونَ المَاعُونَ﴾ [الماعون٤-٧] فويل للمصلين.

المطلوب من الإنسان المؤمن أن يكون عنده وعي عن الصلاة، كيف يصلي، كيف تؤتي هذه الصلاة أثرها في نفسه، في مشاعره، في طهارة نفسه، في صلاحه، في تذكُّره لله، في إقباله إلى الله -سبحانه وتعالى-، وأن يعرف أهمية وقيمة وقدر وفضل هذه الصلاة، فيصلي وهو يعي ما يقول، وأهمية ما يقول، وينتفع مما يقول، ينتفع من الصلاة نفسها.

في جانب معاني أذكار الصلاة وما يتعلق بهذا مهم جداً مثلما أكدنا مراراً وتكراراً الاستفادة من ملزمة (وأقم الصلاة لذكري) ملزمة هامة ومفيدة في هذا الجانب.

نحن هنا. نؤكد على أهمية أن نلحظ قيمة هذا الجانب، حينما نعود إلى قول الله -سبحانه وتعالى-: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ﴾ [الحج:٤١]، أول صفة من مواصفاتهم قدمها ﴿أَقَامُوا الصَّلاةَ﴾ [الحج:٤١] أقاموا الصلاة، عندهم اهتمام بهذه العبادة، بهذه العبادة المهمة، ويعون قيمتها ويفهمون أهميتها، ينتفعون بها، صلاة قيِّمة تترك أثرها في النفس، تترك أثرها في توجه الإنسان إلى الله، في إذعانه لله، في تعظيمه لله، في تذكُّره لله -سبحانه وتعالى-، تترك أثرها في طهارة النفس وإبعادها عن المعاصي، إبعادها عن الفحشاء والمنكر مثلما يقول الله -سبحانه وتعالى-: ﴿إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشَاء وَالمُنكَرِ﴾ [العنكبوت:٤٥].

لذلك يجب أن ندرك أهميتها إلى هذا المستوى أن يجعلها الله -سبحانه وتعالى- أول صفة يصف بها عباده الجديرين بتمكينه أن يُمكِّنهم في الأرض، الجديرين بتمكينه لهم في الأرض ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ﴾ [الحج:٤١] أحيوها وأقاموها بالشكل الصحيح، بالشكل الذي له أثر له فائدة له ثمرة في واقع الحياة في توجه الناس مع الله في استقامتهم وطهارة نفوسهم.

كذلك هي عون مهم يحتاج إليه الإنسان يساعده على القيام بمسؤولياته، وواجباته الكبرى والعظيمة والمهمة كالجهاد في سبيل الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر نفسه.

ولهذا عندما قال الله -سبحانه وتعالى-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[البقرة:١٥٣] فهي عون للإنسان، عون بما تترك من أثر عظيم في العلاقة مع الله -سبحانه وتعالى-، ما تتركه من أثر في نفسية الإنسان المؤمن واطمئنان قلبه وسعادة نفسه، وطهارة نفسه أيضاً، عون مهم للاستجابة لله -سبحانه وتعالى- والقيام بالمسؤوليات المهمة والكبيرة." (٩)

علاقة الصلاة بالسلوك والعمل

أتى الحديث عن الصلاة في كثير من المواضع القرآنية مترافقاً مع المسؤولية؛ والتوجيهات الإلهية تنص على أن يترافق مع المسيرة العملية إقامة للصلاة، واهتمامٌ مستمرٌ بها، فيقول الله -جل شأنه-: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ (البقرة:٤٥) وبقدر ما تكون صلاة قيِّمةً يكون عطاؤها كبيرا، فالصلاة تعلمنا التواضع لله -سبحانه وتعالى- وهذا التواضع ينعكس في التعامل مع الآخرين، فتنسف الصلاة عن الانسان التسلط والظلم والتصرف الشخصي والمزاجي، وتساعد على الانضباط في حالة الانفعال، أو حالة السخط والغضب، والالتزام في مسألة الأولويات، لذا أتت أهمية وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة، في سياقٍ عملي، باعتبار الالتزام العملي يتطلب أن تعيش هذه الحالة التربوية الإيمانية، كما أتت في أوقات متنوعة وفي الحالات والظروف المختلفة.

يقول السيد عبد الملك بدر الدين الحوثي: "مطلوب المحافظة على الجانب العبادي، لأن البعض يتصور أنه يكفي أن تكون حركي لو لم يوجد عندك اهتمام بهذه، أن تكون حركياً، وأن تكون نشيطاً وعملياً، وتذهب وتعود لو لم تهتم بالصلاة، وهذا غير صحيح أبداً، هذا سيوجد خلل عندك، وهو غلط على كل المستويات لأن الدين هكذا، إذا ضعف اهتمامك بالجانب العبادي يحدث عندك تغَيُّر، حتى في سلوكياتك في معاملاتك في تصرفاتك، في أخلاقك.

البعض قد أوشك أن يصبح وحشاً، تصرفاته أخلاقياته سلوكياته، لم تعد متزنة، ليست طبيعية، لم تعد تشعر بأنه إنسان طبيعي، لأنه يريد أن يندفع في الواقع العملي وهو مضيع ركن من أركان الجانب العملي، ركن يحفظ لك استقامتك، يحفظ لك التزامك، يحفظ لك توازنك.

لأن الإنسان إذا لم يكن لديه توازن بالتقوى والإيمان، يتحول الى أسير مزاجه الشخصي، وأسيراً لضغوط العمل، وتنعكس ضغوط العمل عليه فتخرجه من

(٩). السيد/ عبد الملك بدرالدين الحوثي ، الذين إن مكناهم في الأرض، مصدر سابق

الحالة الطبيعية، ولأنه عادةً يحصل ضغوط في واقع العمل، المتاعب، المشاق، الإشكالات، معاناة، يحصل هذا في الواقع العملي، فيصبح مضغوطاً. ولم يعد لديه انضباط ولا روحية الإيمان، والتقوى، وهذا يؤثر تأثيراً سيئاً، فهذا مهم جداً، ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ﴾، حتى أحياناً تكون الحل لكثير من الإشكالات، أقيموا الصلاة، لأن الكثير لا يهتمون بأن تكون صلاتهم قيمة، وفي الأخير يترتب على هذا خلل، لو [تعالج ما عالجت لن يفيد]، لأن مشكلته هناك، مشكلته هناك، فالمجال العبادي هو مهم جداً."[١٠]

صلاة الجماعة

في سياق الاهتمام بإقامة الصلاة ينبغي إدراك أهمية صلاة الجماعة خصوصاً في الأماكن الآمنة، لما لذلك من أثر في اجتماع الناس وتآلفهم وتلاقيهم، والكثير من الإشكالات التي تطرأ في أغلب المجتمعات تأتي نتيجة للتباعد وعدم التلاقي، ولاسيما أن صلاة الجماعة تمثلُ مناسبةَ اجتماع متكرر، فضلاً عن أجرها الكبير الذي يُضَاعفُ الى سبعةٍ وعشرين ضعفاً.

أضف لذلك الدور الحيوي والأثر الإيجابي للمسجد في قدسيته وروحيته وأثره العظيم في النفوس من خلال الحالة الروحية الزائدة للصلاة في المسجد عن أي مكان آخر، خصوصاً عندما تشعر انه بيت مخصص للعبادة، وتحضره الملائكة، فتعيش أجواءً عباديةً، وتؤدي الصلاة وأنت تستشعر القرب من الله.

يقول السيد عبد الملك بدر الدين الحوثي: "هناك مسألة صلاة الجماعة، البعض من المناطق التي فيها سيطرة للمجاهدين مستحكمة وهناك أمن وأمان، يجب تفعيل صلاة الجماعة، الاستفادة منها، إعمار المساجد بالحضور فيها في الأوقات المعتادة والأوقات المباركة للصلوات، هذه قضية هامة نؤكد عليها، نؤكد على أهميتها لأنها من إقامة الصلاة، صلاة الجماعة نفسها في الظروف المناسبة والمهيَّأة والمناطق الآمنة هي من إقامة الصلاة، مما يجعل لها قيمة؛ لأن نفس الاجتماع عليها والحضور فيها ممن يعون فضلها وأهميتها وقيمتها يترك أثراً في أنفسهم في تآلفهم، في تقاربهم، وهذا شيء مهم جداً وفضله معلوم؛ لذلك أؤكد أؤكد على هذا الجانب مرَّات متعددة." [١١]

---

(١٠)السيد/ عبد الملك بدر الدين الحوثي، الجزء السادس من الدرس السادس من دروس شهر رمضان، مصدر سابق، بتصرف بسيط في مفردات اللهجة العامية.

(١١) السيد عبد الملك بدرالدين الحوثي، محاضرة الذين إن مكناهم في الأرض، مصدر سابق.

ثانياً: الزكاة والإنفاق

الزكاةِ فريضة من فَرائضِ اللهِ الرئيسيةِ، وركن من الأركانِ الأساسيةِ في الإسلام، واللهُ -سبحانه وتعالى- أكدَّ على إخراجِها في عشرات الآيات، ﴿وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ (البقرة. من الآية ٤٣)، ﴿وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ (النور. من الآية ٥٦)، وقرَنَها بالصلاةِ في أكثرِ الآياتِ المباركةِ، لتكونَ في مستواها مِن الأهمية؛ والإخلالُ بها يُدَّمُرُ دين الإنسان بكلِه، ولا يَقبلُ اللهُ منه أيَ عَملٍ من الأعمالِ أبداً إذا أخل بهذا الركنِ، ولديه من الأموالِ ما لَزِمَتْ فيها الزكاةُ ثم لمْ يُزكِّ، أو أخرجها في غيرِ مَصارفِها، كما رُوي عن النبي -صلوات الله عليه وعلى آلِه- "**لا تُقبَلُ صلاةٌ إلا بزكاةٍ**"، وهو يتوافقُ مع قولِ اللهِ تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (المائدة من الآية ٢٧).

وللزكاة والإنفاق والصدقات وحالات التكافل والإحسان، والعطاء بشكل عام، أثرٌ اجتماعي وتربوي كبير، في تزكية النفوس وتثبيتها، وتطهيرها من العلل والآفات الخطيرة، كالبخل والإنفاق والطمع والجشع والأنانية، وللعطاء تأثيرٌ في الحفاظِ على العَلاقةِ الاجتماعيةِ، "**فالزكاة نفسها تخدم أو تعزز الروابط الاجتماعية فيما بين الناس، والعلاقات والروابط النفسية لتهيئهم ليكونوا مجتمعاً متوحداً، ولا يكون مجتمعاً قلقاً في داخله مشاكل كثيرة تصرفه عن القضايا الكبيرة، فيكون مهيئاً لأن يكون أمة تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وتدعو إلى الخير.**" (١٢)

عندما يسود الإحسانِ إلى الفقراءِ والمساكين والمعانين، والنازحين والمنقطعين عن مناطقِهم ممّن يحتاجون الرعايةِ، يتماسك المجتمع وتسود فيه الأخوة والأمان والاستقرار؛ وفي المقابل عندما يغيب التكافل والصدقات والاهتمام بالمحتاجين، يتحول المجتمع إلى جحيم، وتنمو فيه آفاتٌ سلبية، فتنتشرُ السرقةُ، وعملياتُ النَهبِ والسطو، وتنتشر المُخدِرات وشِراءُ الذِمم، والجريمةُ المنظمةُ، يقول الإمام علي-عليه السلام- "**كادَ الفقرُ أنْ يكونَ كُفراً**".

وإذا لمْ يتنبه الناس للفقراءِ فالبعضُ قد لا يتحمَّل بؤسه وفقره وحرمانه، وقد يدفعُه إلى السرقةِ أو النهبِ أو السطوِ، أو أن يتحول إلى عميلٍ للأعداءِ فيرتكبَ أبشعَ الجرائمِ مُقابلَ مبالغَ ماليةٍ يحصلُ عليها مِنهم، وبالتالي فالاهتمامُ بالفقراءِ والمساكين لهُ أهميةٌ كبيرةٌ حتى في الحفاظِ على الأمنِ والاستقرارِ والسكينةِ العامةِ، والعلاقاتِ الاجتماعيةِ والمَحبةِ والرحمةِ التي ينبغي أن تسودَ مجتمعنَا المسلم.

يقول السيد عبد الملك بدر الدين الحوثي: " مِن أهمِ ما يُستفاد من الزكاةِ . في الجانبِ التربوي . هذا الأثرُ المهمُ الذي نحتاجُ إليهِ كمسلمين لتطهرة النفوسِ

(١٢) السيد حسين بدر الدين الحوثي، الدرس الحادي عشر دروس معرفة الله، مصدر سابق

ولتزكيةِ النفوس، ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ (التوبة من الآية ١٠٣)، نحتاجُ إلى ما يُطّهِرُ نفوسَنا، نحتاجُ إلى ما يُزكي نفوسَنا ويُطّهِرُ قلوبَنا ومَشاعرَنا، والزكاةُ تؤدي هذا الدورَ، تُعالِجُك من الشُحِّ، تُعالِجُكَ من الحِرصِ والجشعِ والطمعِ والهلعِ، تُروضُك على العطاءِ والبَذلِ والإحسان، تُنمي فيك الشعورَ الإنسانيَ تجاهَ الآخرين، والرحمةَ بالآخرين، تُخلصُكَ من الأنانيةِ المُفرطةِ التي لا تفكر فيها إلا بنفسِك، لتفكرَ بالآخرين من حولِك، درسٌ مهمٌ وأثرٌ تربويٌ عظيمٌ ومهمٌ للزكاةِ في النفوسِ في الوجدانِ في المشاعر.

وكذلك على مستوى العلاقةِ الاجتماعيةِ تُحافظُ على العَلاقةِ الاجتماعيةِ بينَ أبناءِ المجتمعِ المسلم، تَحدُ من حالةِ الكراهيةِ والبغضاء، الفقيرُ عندما يعيشُ في وسطٍ يَرى فيه أنّه لا أحدَ يُبالي بهِ ولا يكترثُ لحالِه ولا يلتفتُ لبؤسِه، يرى الأغنياءَ هنا وهناك ويرى المَيسورين هنا وهناك يأكلونَ ويرتاحونَ ويتنعَّمون ويتقلَّبون في النِعمِ ولا يلحظونَ وضعيتَه وظُروفَه ومُعاناتِه وهو يَحمِلُ همَّ توفيرِ لُقمةِ العَيشِ لأسرتِه، كيفَ ستكونُ نظرتُهُ إليهم وهو يَراهم على ما هُم عليهِ من القسوةِ والفظاظةِ والغِلظةِ وكأنَّهم وحوشٌ لا يمتلكون الرحمةَ تجاهَ معاناتِه، حِينها سينظرُ إليهم بكراهيةٍ، باستياءٍ، بلْ في ظروفِنا .كمجتمعٍ مسلمٍ نُعاني من حروبٍ، حروبٍ عسكريةٍ وحروبٍ اقتصاديةٍ وتنتشرُ حالةُ البؤسِ والفقرِ والحِرمانِ.

نحتاجُ إلى هذه الرحمةِ فيما بيننا، إلى هذه الالتفاتةِ، وإلا أصبحَ أمامَك سلبياتٌ كبيرةٌ جدا، إذا لمْ نُبادرْ بالعطاءِ بالزكاةِ وبغيرِ الزكاةِ ندخل في سلبياتٍ خطيرةٍ جداً، تتفككُ مجتمعاتُنا، تتنافرُ فيما بينها، وفي الوقتِ نفسِه يستغلُ هذا الوضعَ أعداؤنا، تأتي المنظماتُ الأجنبيةُ لِتقدَّمَ صورةً مختلفةً باسمِ المعوناتِ الإنسانيةِ والسّلاتِ الغذائيةِ، يأتي النَصراني ويأتي البُوذي ويأتي الوثني ويأتي اليهودي من أطرافِ الدنيا باسمِ أنَّه يُريدُ أنْ يُقدمَ إحساناً، أنْ يُقدِّمَ سَلَّاتٍ غذائيةً أو مَعوناتٍ أو اهتماماتٍ وأنشطةً إنسانيةً في مُجتمعِك أنتَ المُسلم، ويرى هذا المُسلمُ أنَّ أبناءَ مُجتمعِه من الأغنياءِ والتُجارِ والميسورين لمْ يلتفتوا إليه، إنما أتى إليهِ يهوديٌ من طَرفِ الأرضِ أو وثني أو نَصراني، يقولُ في الأخيرِ "هؤلاء همُ اليهودُ هؤلاء همُ الذين لا يصلحون، أمَّا ذاك اُنظر كيف فكَّرَ بي، وكيف أتى إليَّ وكيف اهتمَ بي»، تنعكسُ نظرةً إيجابيةً إلى العدوِ، وهو العدوُ الذي أتى بهدفِ أن يَكسِبَ هذه النظرةَ، وأتى لأهدافٍ كثيرة، لتعطيلِ مجتمعِنا من الإنتاجِ وتحويلِه إلى مجتمعٍ مُتسولٍ، وأهدافٍ أخرى." (١٣)

(١٣)السيد عبد الملك بدر الدين الحوثي، لمحاضرة الرمضانية التاسعة، ١٤٤٠هـ

والمطلوب من الانسان المؤمن أن يحمل روحيةً معطاءة، ويكون تفكيره فيما يقدم وما ينفق، وما يخدم به الأمة، حتى يتخلص من الروح الجشعة الطامعة، فتزكو نفسه وتصبح روحه ساميةً وطاهرة، قال تعالى: ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى﴾ (الليل:١٩) ويتخلص من الأنانية التي تجعل الإنسان لا يفكر إلا في نفسه، وهذا مما يساعد على الاستقامة والثبات ويقوي العلاقة بالله، ويثبت النفس على الحق ولهذا قال الله في مسألة الإنفاق: ﴿وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ [البقرة: من الآية٢٦٥].

وعندما تغيب عملية الإنفاق وروحية العطاء تخبث النفوس ويترسخ فيها الشح والطمع، وتتعزز لدى الإنسان روحية الأخذ، وبالتالي يصبح تفكيره فيما يحصل عليه من الأموال، حتى وإن كانت حراما أو بطريقة غير مشروعة، وهذه الحالة تمثل انحرافاً كبيراً في الواقع العملي والإيماني.

لذلك فإن من المهم أن يتعود الإنسان على الإنفاق مما رزقه الله، ويكسر حاجز الحب للمال، حتى وإن كان محدود الدخل، فالله وعد بالبركة ووعد بأن يخلف بأضعاف مضاعفة، وعلى الإنسان أن يدرك أن الشيطان هو الذي يُخَوّفه بالفقر، يقول الله -جل شأنه-: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة:٢٦٨).

وحتى يكون العطاء والإنفاق مقبولاً عند الله، ويعطي ثمرته في النفوس وفي المجتمع، يجب أن يكون خالصاً لوجه الله، وابتغاء لمرضاته، وتقرباً إليه بذلك، وأن يخلوا من الآفات التي تفسد العطاء كالرياء والتمنن والأذى، وأن يحرص الانسان على إخراج الصدقات والزكاة بطريقة طوعية، وفي مصارفها الحقيقية، وأن ينفق مما يحب بحيث لا ينتقي الأشياء التي ليس لها قيمة.

يقول الشهيد القائد -رضوان الله عليه-: من خلال قول الله تعالى: "﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ﴾ (البقرة: من الآية٢٦٤) صخرة عليها تراب ﴿فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً﴾ (البقرة: من الآية٢٦٤) ذهب التراب من فوقه صخرة ملساء ﴿لا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا﴾ (البقرة: من الآية٢٦٤) لم يبق له أي أثر نهائياً ، لم يبق له أي أثر، عطاؤه الذي هو على هذا النحو ﴿وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: من الآية٢٦٤).

موضوع المال هنا قضية هامة قدمها أعني: بأنها وسيلة من وسائل تزكية النفس، وسائل إقامة الدين، وسائل حسن العلاقة فيما بين فئات المجتمع، لكن يجب أن يكون على هذا النحو وإلا ستكون النتيجة عكسية بالنسبة لك، وبالنسبة لأثرها في واقع الحياة.

لهذا جاءت العبارة مؤكدة:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ (البقرة: من الآية٢٦٤) وكأن هذا قد يبطل صدقتك ولو بعد فترة لو أعطيت في حالة أنت أعطيت لله ثم تتمنن بعد سنة ، بعد سنتين قد يبطل صدقتك هذه ﴿كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ﴾ (البقرة: من الآية٢٦٤) فيكون حالكم شبيه بمن هو على هذا النحو ، بمن ينفق رئاء، فتجد أن هذا الشيء الذي أعطاك لا يمثل شيئاً بالنسبة له ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ﴾ (البقرة: من الآية٢٦٤) - مطر - ﴿فَتَرَكَهُ صَلْداً﴾ (البقرة: من الآية٢٦٤).

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ (البقرة: من الآية٢٦٥) وأنت تعرف أنه بالنسبة لله -سبحانه وتعالى- لا يمكن، هو جهة لا يمكن أنك تتمنن عليه بشيء، ابتغاء مرضاته، هدف رئيسي يتوجه إليه الإنسان بذهنيته وهو يعطي.

﴿وَتَثْبِيتاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾(البقرة: من الآية٢٦٥) لأن للعطاء على هذا النحو أثر كبير في تثبيت النفس، والاستقامة، والإيمان، تزكية النفس تزكيتها وكأن المال كما لو أنه برهن، أشبه شيء ببرهنة على أنك مصدق بالله، مستجيب لله برهنة على صحة إيمانك، برهنة على تصديقك بوعد الله -سبحانه وتعالى-: بأنه يضاعف الأجر، وأنه يخلف على من أنفق بأضعاف مضاعفة تزكية للنفس يكون له اثر كبير في نفسك عندما تعطي، وأنت تريد بعطائك وجه الله ، ابتغاء مرضاته ..﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾(البقرة: من الآية٢٦٧) . عندما يحث الناس على الإنفاق هو غني حميد، لكن لأن الإنفاق، لأن المال نفسه له علاقة كبيرة فيما يتعلق بنفسية الإنسان وإلا فالله هو غني عن الصلاة، وغني عن الصيام، وغني عن الإنفاق، عن إنفاق الإنسان لكن الإنفاق له أثر نفسي، له أثر نفسي كبير، له أثر اجتماعي كبير، له أثر فيما يتعلق بالعلاقة فيما بينك وبين الله، أليس الله يقول: ﴿وَتَثْبِيتاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾؟ محك إيماني يعتبر المال أن يكون مرتبطاً به مسئوليات من هذه، والحث على الإنفاق منه يعتبر محكاً إيمانياً بعدما ذكر أنه سيضاعف للإنسان ما أعطاه، وسيخلف عليه بأضعاف مضاعفة، ويكسب له أجراً كبيراً."[١٤]

(١٤) السيد/ حسين بدر الدين الحوثي، الدرس الحادي عشر من دروس رمضان، بتاريخ: ١١/ رمضان/ ١٤٢٤هـ الموافق: ٢٠٠٢/١١/٥م

ثالثاً: الصيام

فرض الله صيام شهر رمضان، وألزمنا بذلك، وجعله ركناً من أركان الإسلام، ليؤكد أهمية الصيام لنا في المقام الأول، وعندما يجعل بعض الأشياء التي أمرنا بها أو دعانا إليها إلزامية، فهذا يدل على أهميتها، وعلى خطورة التقصير فيها، ويدل على حاجة الإنسان إليها، ضمن قاعدة اليسر، وقاعدة أن ما فرضه الله وألزم به عباده، فيه الخير لهم، وهم في أمس الحاجة اليه.

وقد أتت هذه الفريضة ضمن البرنامج البشري على امتداد التاريـخ، حيث شرعت على الامم السابقة، يقول الله جل شأنه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنوا كُتِبَ عَلَيكُمُ الصِّيامُ كَما كُتِبَ عَلَى الَّذينَ مِن قَبلِكُم لَعَلَّكُم تَتَّقونَ﴾ (البقرة: من ال آية١٨٣).

في دلالة على أنها فريضة هامة، وممكنة، ومجربة في واقع البشر، وليست صعبة أو شاقة يستحيل أداؤها، إضافة الى ما اقترنَ بهذه الفريضة من تسهيلاتٍ تُراعي مُختلفَ الظروفِ التي يعيشُها الإنسانُ كحالةِ المرضِ والسفرِ وحالةِ العجزِ والضعفِ لدى الطاعنين في السِنِ، وما شابهَ ذلكَ من الحالات؛ ولها أهمية وثمرة كبيرة في واقع الإنسان، كعامل مساعد في تحقيق التقوى، ﴿لَعَلَّكُم تَتَّقونَ﴾ (البقرة: من الآية١٨٣).

والتقوى من أهم ما يحتاجه الإنسان، باعتبار الأعمال السيئة هي منبع الخطر الأكبر على الإنسان وعلى الآخرين من حوله، فالمعاصي تعرض الإنسان للعقوبات والسخط الإلهي، وتعرض المجتمع لضنك المعيشة والشقاء؛ والتقوى تجعل الإنسان متيقظاً يؤدي المهام والأعمال التي تقيه من الشرور والمخاطر في الحياة.

والتقوى تمثل عملية ضبط لمسيرة الإنسان في الحياة، وتساعده في السيطرة على الغرائز، وتعينه على التحمل والصبر والنهوض بالمسؤوليات، والقيام بالأعمال المهمة، التي إن فرط أو قصر فيها كسب على نفسه وعلى الآخرين الشرور والمخاطر؛ أضف لذلك أن الصيام والتقوى يُكسِبان الإنسان العزم والإرادة التي يحتاج إليها للنهوض بمسؤولياته وواجباته في الحياة، ويمثل وسيلةً عمليةً تساعد الإنسان في السيطرةِ على النفسِ والسيطرة على الرغبات وضبطِ واقعِ الحياة على أساسِ الانتماء الإيماني، وتساعده على الصبر والتحملِ أمام المتاعب والصعوبات.

فضلاً عن فوائد الصيام الصحية المفيدة للجهاز الهضمي، والدورة الدموية، وإعادة بناء وتنشيط خلايا الجسم؛ وبالتالي فالفوائد التربوية والفوائد الصحية والنفسية للصيام تؤكد أن لهذه الفريضة آثاراً إيجابية متعددة ومتنوعة لصالح هذا الإنسان، تجعلُ من هذه الفريضةِ المباركةِ جذابةً وعاملاً تربوياً يعينه في النهوضِ بمسؤولياتهِ،

ويساعده على الاستقامةِ الأخلاقيةِ والسلوكيةِ والعمليةِ.

يقول الشهيد القائد-رضوان الله عليه-: " **فالصيام له أثره في هذا المجال، في مجال ترويض النفس. لأنك في أثناء نهار شهر رمضان تكبح شهوات نفسك، وتعود نفسك الصبر، والتجلد، والتحمل، تعود نفسك أنك أنت الذي تسيطر عليها، أنك الذي تسيطر عليها. فمن المهم جداً بالنسبة لنا عندما نصوم في شهر رمضان، عندما نصوم أن يستشعر الإنسان هذه الغاية من شرعية الصيام، يستشعر أنه يتجلد، ويتصبر، ويتحمل، ليعلم نفسه، يعلمها أنه هو الذي سيسيطر عليها بناءاً على توجيهات الله، بينات الله، هدى الله. تعود نفسك أنت الذي تقهرها، وتخضعها لهدى الله وبيناته. لا يكون شهر رمضان ندخل إلى هذا الشهر بعفوية، ونخرج دون أن نحسس أنفسنا بأننا قد قهرناها، من خلال نهار شهر رمضان، عندما نحس بالجوع، عندما نحس بالعطش نقول: لا. أليست هذه عملية تسلط على النفس؟ نوع من الترويض للنفس؟ وللجسم بكله على الصبر؟** " (١٥)

الوسيلة الرابعة: الذكر لله

الغفلة والنسيان من الحالات الخطيرة على الإنسان، حينما لا يهتم الإنسان بذكر الله فيسبحه ويستغفره ويمجده ويحمده باستمرار، حتماً سيقسو قلبه وتذبل روحيته الإيمانية، وتَحِل بدائل سيئة في النفس، تؤثر على تعامل الإنسان وسلوكه وأقواله، وتضرب أثر العمل وفاعليته، وتعطل مردوداته الإيجابية؛ لذلك نجد الحديث الواسع في القرآن الكريم عن أهمية ذكر الله تعالى، والتحذير من الغفلة والنسيان، وما يترتب على ذلك في العلاقة مع الله، والعلاقة بالناس، والعلاقة بالعمل والمسؤوليات، يقول الله جل شانه: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ* وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمْ الْفَاسِقُونَ﴾ (الحشر ١٨-١٩).

والنسيانُ للهِ، يؤسس للتهاون تجاه المسؤوليات وتجاه أوامرِ اللهِ ونواهيه وتوجيهاتِه، فيتحرك الإنسان دون أن يَحسِب حِسابَ اللهِ فيما يعملُه وفيما يتركُه، ويتهاون بتوجيهات الله وهديه، ويهمل في المسؤولياتِ التي حملّه اللهُ إياها، ويمتد أثر الغفلة والنسيان إلى مواقف الإنسان في ولاءاته وعداواته، وفي مختلف شؤون حياته.

لذلك يحذرنا القرآن من نسيان الله، حتى لا نصبح كالذين نَسُوا اللهَ فانطلقوا في مواقفِهم بعيداً عن أوامر الله وتوجيهاتِه وهديهِ ونهجِه، أو كالذين نسوا الله في

(١٥) السيد/ حسين بدر الدين الحوثي، الدرس التاسع من دروس شهر رمضان ، سورة البقرة، بتاريخ : ٩ رمضان ١٤٢٤هـ ،الموافق : ٢٠٠٣/١١/٣م،اليمن . صعدة

مواقفهم وأعمالهم في هذه الحياة ولم يحسبوا حسابَ الله؛ فانطلقوا بدوافعَ ماديةٍ وإغراءاتٍ معنوية، وحركَتهُم المخاوف أو العَصبِيّات، واللهث وراء الشهوةِ وضاعوا وراءَ الأطماع.

وذِكرُ الله هو عبارةٌ عن أذكارٍ معينةٍ وتسبيحٍ واستغفارٍ ودعاء، تذكِرُنا بالله باستمرار حتى لا نغفل ونتمادى فنصل إلى موقعِ المؤاخذةِ الإلهية؛ وبالتالي فالغفلة خطيرة ولها ارتدادات سلبية، و القرآن الكريم يحذر منها، يقول الله -جلَّ شأنُه-: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ * مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ * لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ (الأنبياء ١، ٢، ٣).

من جانب آخر نجد في القرآن الكريم التأكيد على أهمية الذكر لله المترافق مع المسيرة العملية، فكلما غفل الإنسان عن ذكر الله يترسخ الخبث في نفسه، وتتنامى فيها العلل والمساوئ، وتكثر في واقعه الإشكالات وحالات السخط والتعقيدات، فتنعكس على طبيعة الأداء للمسؤولية، وطريقة التعامل مع محيط وبيئة العمل، من الأفراد العاملين في إطار مسؤولية الإنسان أو حتى مع الأسرة والأقارب والمجتمع من حوله.

فيتعامل البعض بغلظة وفضاضة، ويعيش العقد النفسية والملل، والغرور والعجب والتكبر، ويفقد الانضباط والالتزام، ويرتكب الكثير من الأخطاء والحماقات في عمله؛ ومهما كان نشاط الإنسان وحركته في أداء العمل وهو مقصر في ذكر الله، ومتهاون بالجوانب العبادية، وغير مهتم بالقرآن الكريم؛ حتماً سيتأثر ويغلط ويطغى هوى نفسه ومزاجه على حساب العبودية والتسليم لله، عندها يصبح جريئاً على التجاوز والإساءة والظلم، وقد يسرق أو يرتشي او يخون، ويكذب ويغالط.

وفي المقابل عندما يعيش حالة الإقبال إلى الله، والتذكر والخشوع لله، يصبح انساناً منضبطاً وموفقاً من الله، ويصبح لعمله اثرٌ ونتائج طيبة؛ فمن واقع الإيمان والشعور بالمسؤولية، يعيش مشدوداً إلى الله، يشعر بالخوف من الله -سبحانه وتعالى- إن قصر أو أهمل، ويخشى من عذاب الله إن ظلم أو تعدى، ويدرك أن العاقبة سيئة إن قصر في مسؤوليته في هذه الحياة؛ والله في القرآن الكريم يحكي عن عباده المؤمنين ذكرهم لله في جميع الحالات وفي مختلف الأوقات، بقوله -سبحانه وتعالى-: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١]. وبالإضافة إلى ما سبق عن الصلاة وتلاوة القرآن، نتناول الجوانب الأخرى من ذكر لله كالتالي:

١. اولاً: الدعاء

الدعاء مظهر من مظاهر العبودية لله، ورد في بعض النصوص عن رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- : **(الدعاء مخ العبادة)**، وفي بعضها الآخر: **(الدعاء سلاح المؤمن، وعمود الدين، وزين ما بين السماوات والأرض)**.

والدعاء فرصة عظيمة أتاحها الله لعباده ليسألوه ويطلبوا حوائجهم منه، ويلتجئوا اليه في جميع أحوالهم، حيث جعله بطريقة ميسرة لا صعوبة فيها، ولا تعقيد في أن يسمع صوتك أو يفهم لغتك، أو يعرف طلبك، يقول الله -جل شأنه- : ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ**﴾. [البقرة:١٨٦]

وفتح الله باب الدعاء لعباده في كل الأوقات، وفي جميع الظروف، في أي زمان ومكان، ولا يوجد وقت أو ظرف يمنع فيه الدعاء.

والدعاء وسيلة تعبر بها عن افتقارك إلى الله واحتياجك اليه: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ**﴾ [فاطر:١٥] والإنسان بفطرته ضعيف ومحتاج، وإذا لم يلتجئ إلى الله وينطلق من واقع إيماني، فقد يلتجئ في حالات كثيرة إلى غير الله -سبحانه وتعالى-، وبطريقة تؤثر على علاقته بالله، وتنحرف به عن المسار الصحيح في حياته، وفي عبوديته لله -سبحانه وتعالى-. ﴿**وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيباً إِلَيْهِ**﴾ [الزمر:٨]

وهذه الفطرة ترشدك دائماً إلى حقيقتك كعبدٍ لله -سبحانه وتعالى-، وتذكرك أنه ربُّك، وهو وحده المُقتدر، وأنه أرحم الراحمين، فأنت تدعوه ثقة بقدرته، ورجاءً في رحمته، وأملاً في كرمه؛ والبديل عن الدعاء هي الغفلة والنسيان، والاستكبار والشعور بالاستغناء عن الله.

والدعاء بالنسبة للمؤمن صلة عظيمة ما بينه وبين الله، يستمر عليها ولا يغفل عنها أو يتركها، والمؤمن يشعر بالحاجة الدائمة إلى الله، ويتطلع إلى رحمة الله ومغفرته، ويدرك الواقع والمخاطر الكبرى عليه، ويدرك حجم الخسارة الفادحة عليه إذا لم يتوفق.

والمؤمن يعيش في واقع المسؤولية والعمل حالة الالتجاء المستمر إلى الله، خوفاً من التقصير، و يواجه المشاكل والعوائق والتحديات متكلاً على الله؛ يحكي عن المؤمنين في تضرعهم إلى الله -سبحانه وتعالى- وهم يقولون: ﴿**رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ**﴾ [آل عمران:١٤٧].

ويحكي واقعهم الإيماني في خوفهم من الذنوب ونتائجها، والحاحهم في الدعاء وطلب المغفرة، والوقاية من العذاب، فيقول: ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران:١٦]، ويحكي عن خشيتهم من الانحراف عن خط الهداية، وخوفهم من الزيـغ والاعوجاج، فلا يعيشون حالة غرور ولا عجب ولا اتكال مطلق على النفس، ولا أمل في غير الله -سبحانه وتعالى-، ويدركون الحاجة إلى الله في كل شأن من شئونهم، ويطلبون من الله التوفيق والثبات والاستقامة على خط الهداية، ﴿رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الوَهَّابُ﴾ [آل عمران:٨].

يقول السيد عبد الملك بدر الدين الحوثي: " الدعاء له أهميته الكبيرة جداً، الإنسان محتاج إلى الدعاء، الدعاء صلة، صلة بين العبد وربِّه، تُمثِّل واقعك وحقيقتك كعبدٍ لله، ملتجئ إلى الله، فقير إلى الله، محتاج إلى الله يرجع إلى الله، يتضرع إلى الله، يتوجه إلى الله، هي من أهم جوانب العلاقة ما بين العبد وبين خالقه، وبين ربِّه، وبين ملكه ومالكه وإلهه الله -سبحانه وتعالى-.

ولذلك نجد في القرآن الكريم حثاً وتأكيداً على مسألة الدعاء وأهمية الدعاء؛ ولذلك يقول الله -سبحانه وتعالى-: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠] هكذا يأمر بالدعاء ويعد بالإجابة، ويعد بالإجابة.

في آية أخرى يقول -سبحانه وتعالى-: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ [البقرة:١٨٦]، قريب، يمكنك في مسألة الدعاء ليست قضية صعبة، ليست قضية مُعقَّدة أبداً، الله قريب يسمع نداك، يعلم نجواك، لا تحتاج إلى وسائل صعبة أو مستحيلة لإيصال صوتك إليه ليعلم تضرعك، ليعلم ما تقول، قريب منك، يسمع صوتك، يعلم نجواك، يعلم توجه قلبك ومبتغاك وأنت تتضرع إليه، ترجوه، تُخضع نفسك له، تُظهر افتقارك إليه واحتياجك إليه من واقع عبوديتك له، وهو الغني الملك الذي بيده كل شيء، وأنت ليس بيدك شيء." (١٦)

نلمس أهمية الدعاء فيما حكاه الله في القرآن الكريم عن الأنبياء، عن مستوى التجائهم إلى ربهم، وكيف كان الدعاء جزءاً أساسياً من علاقتهم العبادية بالله -سبحانه وتعالى-، فيما حكاه عن نبيه نوح، وفيما حكاه عن نبيه إبراهيم، وأنبياء آخرين في مقامات متعددة، فكانوا منشدين إلى الله على الدوام، يطلبونه ويستعينون به، في صراعهم مع أقوامهم، وفيما كان يواجههم في واقع حياتهم، وفي حالات أخرى متنوعة.

"نجد ما حكاه الله -سبحانه وتعالى- عن نبيِّه أيوب -عليه السلام- ما عاناه من

(١٦) الذين ان مكناهم في الأرض، مصدر سابق.

الألم الشديد والمرض الشديد نتيجة وساوس الشيطان في قصته المعروفة التي وردت في القرآن الكريم، بقي وقتاً يعاني معاناة شديدة، ووصل واقعه الجسدي والنفسي إلى مستوى مؤلم جداً، فتضرع إلى الله وأقبل إلى الله بالدعاء، وقص الله حكايته ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾ [الأنبياء:٨٣-٨٣] فهنا يقول -سبحانه وتعالى-: ﴿رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾ رحمته هذه بنبيه أيوب -عليه السلام- هي أمل وهي ذكرى لكل العابدين المنيبين إلى الله -سبحانه وتعالى-، أمل لهم في رحمة الله فليرجوه وليدعوه وليرجعوا إليه، فهو كاشف الضر ودافع البلاء وكاشف الكرب والممتنّ بكل نعمة.

يحكي عن نبي آخر من أنبيائه (عليهم السلام) عانى معاناة شديدة وأخرجه وأنقذه مما هو فيه وأغاثه مما كان فيه من معاناة هو نبيه يونس -عليه السلام- ذا النون، قال تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي المُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء:٨٧-٨٨].

نبي الله يونس -عليه السلام- في قصته المشهورة بعدما بذل جهداً كبيراً وهو يعمل على إنذار قومه وهدايتهم فلم يستجيبوا وظنَّ وتوقَّع أنه قد أدَّى ما عليه، واستعجل فذهب وتركهم قبل أن ينزل عليه الإذن من الله -سبحانه وتعالى-، وهو كان يتوقع أنه قد أدى ما عليه، وأنه قد بذل جهده وأنه لن يتحمل المسؤولية بعد، فكان أن وقع له ما وقع فيما هو معروف في سفره في البحر.

وعندما ابتلعه الحوت، وهو في داخل الحوت، في أعماق الظلمات، ظلمات داخل الحوت نفسه، ظلمات البحر، في أضيق حال، وفي أشد عناء، وفي أسوأ كرب، وفي أقسى وضع، وضع شديد جداً، توجه من هناك من ذلك الواقع الذي يعيشه من المعاناة التي هو فيها يُمجِّد الله -سبحانه وتعالى- ويُسبِّحه مما وقع له ليقول: أنا الذي ظلمت نفسي، أنا السبب فيما وقعت فيه؛ لكني أرجو فضلك أنت، أنشد رحمتك، أستغيث بك. فيسبِّح الله ويمجِّده من أن يكون الله -سبحانه وتعالى- ظلمه فيما وصل إليه؛ بل هو الظالم لنفسه، المسيء إلى نفسه، المُتسبِّب بما وقع لنفسه.

وفي نفس الوقت ينشد من الله الرحمة والخلاص فيتضرع إليه ذلك التضرع ﴿أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء:٨٧] فماذا كانت النتيجة؟ رحمة الله الواسعة، رأفة الله الكبيرة استنفذته مما هو فيه ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ

مِنَ الغَمِّ﴾ [الأنبياء:٨٨] وكان غمّاً ما بعده غمّ وهو في ذلك الحال وفي ذلك الوضع.

ثم يُقدِّم الله لنا من هذا الدرس المهم فيفتح لنا آمالنا في الله، يفتح لنا أُفقاً واسعاً لا حدود له في رجائنا لله وفي أملنا في الله -سبحانه وتعالى- فيقول: ﴿وَكَذَلِكَ نُنجِي المُؤْمِنِينَ﴾.

يحكي لنا قصة نبيه زكريا -عليه السلام- فيما كان فيه من معاناة ووحشة وشعور بالغربة بين قومه وبين أقاربه الذين كان يعاني منهم الجفاء والتعامل السيئ، ولا يأتمنهم فيما وراءه وفي خلافته وفي إرثه فتضرَّع إلى الله -سبحانه وتعالى- بدعائه المعروف: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْداً وَأَنتَ خَيْرُ الوَارِثِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾ [الأنبياء:٨٩-٩٠] بعدما وصل إلى سنّ متقدّم، وصل إلى مرحلة متقدّمة في السنّ كما في بعض الروايات تسعون عاماً، تجاوز مرحلة الإنجاب، وكذلك زوجته كانت عاقراً، فرزقه الله -سبحانه وتعالى- بولد مرضي تقي زكي صالح من أنبيائه هو نبيه يحيى -عليه السلام- .

الأنبياء هذا واقعهم: التجاء إلى الله، تضرُّع إلى الله، تمسُّك بالله، آمالهم متوجهة إليه، رجاؤهم متوجه إليه، وليس إلى أحد من خلقه، وبروحية عظيمة ومتميزة.

ثم يقول عنهم: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء:٩٠] هكذا هم الأنبياء وهم القدوة، هم القدوة، والله -سبحانه وتعالى- حكى لنا ما حكى عنهم في كتابه الكريم؛ لأنهم القدوة لسائر البشر ونِعْمَ القدوة، هكذا كانوا يسارعون في الخيرات، فهم في موقع العمل والطاعة والعبادة في حالة مبادرة ومسارعة إلى كل ما فيه رضا الله -سبحانه وتعالى-.

﴿يُسَارِعُونَ فِي الخَيْرَاتِ﴾ [الأنبياء:٩٠] لا متنصِّلين عن مسؤولياتهم، لا متثاقلين فيما فيه طاعة الله، بإيمانهم العظيم، بحبهم الكبير لله، بخشيتهم الكبيرة من الله، بإدراكهم لقيمة العمل ونتائج العمل يسارعون ويبادرون." [١٧] وحتى يكون الدعاء مستجاباً، ومقبولاً عند الله، نجد أن القرآن أرشد إلى جملة من الأسباب والأمور المتعلقة بالدعاء، ومنها ما يلي:

١- الاستجابة لله

وعد الله عباده باستجابة دعائهم، وكشف الضر عنهم، وتلبية احتياجاتهم، إذا استجابوا له فيما دعاهم إليه؛ وفي سياق الآية التي تحدثت عن الدعاء، يقول:

(١٧) السيد/ عبد الملك بدر الدين الحوثي، محاضرة الدعاء، ٤ رمضان ١٤٣٣هـ

﴿فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي﴾ [البقرة:١٨٦]. بمعنى إذا أردت أن يستجيب الله لك، يجب أن تكون مستجيباً لله فيما يأمر به، وفيما يوجه إليه، ملتزماً بالانتهاء عما ينهى عنه: ﴿وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة:١٨٦].

فليس معنى الدعاء أن تتكل على الله بالمفهوم الخاطئ، فتكون إنساناً مهملاً مقصراً كسولاً، لا تقوم بواجباتك في الحياة، ولا تؤدي مهامك الإيمانية، وتتنصل عن المسؤولية، وتبتعد عن الأخذ بالأسباب؛ ثم تنتظر من الله بمجرد أن توجه دعواتك أن يعمل لك ما تشاء، ويفعل لك ما تريد؛ ولو كان ذلك مسموحاً لأحد لكان الأولى به الأنبياء، الذين كانوا هم القدوة في البذل والعطاء وتحمل المسؤولية، وكانوا الأسوة في الدعاء، والمسارعة في الخيرات، والخشوع لله، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء:٩٠]

وبالتالي فالمطلوب أن ندعوه ونحن نعيش واقعاً إيمانيا وعملياً، حتى يستجاب الدعاء، ويكون له أثره ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾.

"عندما نتأمل في القرآن الكريم ... نعرف أهمية الدعاء، ونحن محتاجون إلى الدعاء، نحن محتاجون إلى الله في كل شيء من شؤون حياتنا، محتاجون إلى الله لينصرنا، محتاجون إلى الله ليمنحنا سعة الرزق وصحة البدن، محتاجون إلى الله ليُنجح لنا الكثير من أمورنا، ليُصلح لنا شأننا، احتياجات الإنسان إلى الله لا تنقطع أبداً ولا تنتهي إلى أن يلقى الله، ثم هو محتاج إلى رحمته إلى غفرانه إلى رضوانه إلى عطاءاته المعنوية والمادية الكثيرة الكثيرة، احتياج مستمر من واقع حياة الإنسان كعبد. فلماذا لا يكون عند الإنسان اهتمام بهذا الجانب الذي هو بحاجة إليه؟

ولذلك يقول الإمام علي -عليه السلام- في وصيته لابنه الحسن -عليه السلام-: (واعلم أن الذي بيده خزائن السموات والأرض قد أذن لك في الدعاء وتكفَّل لك بالإجابة، أمرك أن تسأله ليعطيك، وتسترحمه ليرحمك، ولم يجعل بينك وبينه من يحجبك عنه، ولم يُلجئك إلى من يشفع لك إليه). إلى أن يقول: (فإذا ناديته سمع نداك، وإذا ناجيته علم نجواك، فأفضيت إليه بحاجتك، وأبثثته ذات نفسك، وشكوت إليه همومك، واستكشفته كروبك، واستعنته على أمورك، وسألته من خزائن رحمته ما لا يقدر على إعطائه غيره)، على ما لا يستطيع أحد أن يمنحك إياه، لا تجده إلا عند الله ومن الله.

وقد جربنا في مسيرتنا هذه، في مسيرتنا الجهادية والعملية في كثير من الصعوبات، أمام كثير من الأخطار، أمام كثير من الوقائع والأحداث الكبيرة والرهيبة، حينما كنا نلتجئ إلى الله ونضرع إلى الله وندعو الله ونستغيثه ونستعين به كنا نلحظ

رحمته وفضله العظيم، ورأفته الكبيرة، ونلحظ النصر والفرج العاجل الذي يكتبه.

كثيرة هي الوقائع، كثيرة هي الأحداث، كثيرة هي المعارك الكبيرة والرهيبة التي كانت الظروف فيها قاسية وصعبة، وبعد التضرع والاستغاثة بالله والدعاء والالتجاء إلى الله ينزل النصر، ويكتب الله الفرج، ويكتب التأييد، ونرى العَجب العُجاب.

لو كنا بعيدين عن هذه النقطة واعتمدنا على أنفسنا وعلى إمكانياتنا لكنا هلكنا في يوم واحد، يوم واحد من تلك الأيام الكبيرة، لولا تدخل الله، لولا نصره، لولا تأييده العظيم، ولولا استجابته للدعاء والتضرع والإنابة والاستغاثة لما كان بقي باقياً لهذه الأمة، فهذا الجانب مهم." (١٨)

ب- أن يكون الدعاء بتضرع واخلاص

من الأسباب الهامة في استجابة الدعاء، أن يكون بحالة تَضرُّع، فتدعو الله من واقعك كعبدٍ لله، وتلتجئ اليه وأنت تستشعر احتياجك وفقرك إلى الله وبتضرع؛ ولهذا يقول الله -سبحانه وتعالى-: ﴿ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف:٥٥]، وهو سبحانه القائل: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاء الأَرْضِ﴾ [النمل:٦٢].

" يُعلِّمنا الله -سبحانه وتعالى- كيف ندعوه، كيف تكون مشاعرنا عند الدعاء، على أي حال، فيقول -سبحانه وتعالى-: ﴿ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً إِنَّ رَحْمَتَ اللّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف:٥٥-٥٦] ادعوا ربَّكم فهو ربُّكم المُمتنّ عليكم بنعمه، ومن تحتاجون إليه في كل شيء من أمركم، ادعوه تضرعاً، بتضرع وتذلُّل من واقع الشعور بعبوديتكم واحتياجكم إليه، كونوا ملتجئين من أعماق أنفسكم إليه، تشعرون بالحاجة، تشعرون بحقيقة واقعكم وافتقاركم إليه، وخفيةً، لا تحتاجون إلى رفع أصواتكم لتصل إليه، هو يعلم السرّ وأخفى، ويعلم ما يختلج في داخل أنفسكم، وكونوا مستقيمين، لا تتحركوا في واقع الحياة مفسدين، الأرض قد أصلحها الله، فلا تتحركوا لتفسدوا فيها.

﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [الأعراف:٥٦]، ادعوه خائفين وأنتم تنشدون رحمته، تسألونه مغفرته، تطلبون منه أن يقيكم عذاب النار وأنتم في حالٍ تعيشون الخوف منه، ليكن دعاؤكم منطلقاً من مصداقية تعيشونها في أنفسكم، لا يكفي في الدعاء أن تُلقلِقوا بألسنتكم من واقع جاف، فقلب قاسٍ، وذهن ساهٍ وغافل ومتجه في

(١٨) المصدر السابق نفسه

اتجاهات أخرى، ووساوس لا حضور لا بالقلب ولا حضور بالمشاعر.

عندما تنطلق لتدعو الله أنت تعيش في واقعك في واقع حياتك حالة التعنُّت والتقصير المتعمَّد في مسؤوليات مهمة أمر الله بها، تتجاوز نواهي من نواهي الله -سبحانه وتعالى-، غافل عن الله ثم في واقعك القلبي تعيش حالة القسوة وحالة الغفوة، أو حالة الغفلة، ثم أنت في بالك ليس لديك حتى حضور الذهن، غافل، شارد الذهن، مشغول بأمور أخرى، وتائه في وديان أخرى، وتُلقلِق بلسانك من واقع هكذا أنت بعيد عن الاستجابة، أنت بعيد عن الاستجابة.

الواقع الذي تعيشه مع الله حالة الدعاء: هو حضور القلب والمشاعر، تحضر في واقع الدعاء وأنت تتوجه إلى الله وأنت تحمل كل مشاعر الافتقار إلى الله، الالتجاء إلى الله، الشعور بالاحتياج إلى الله، من واقعك كعبدٍ لله، ثم تتضرع إليه، تدرك واقعك كعبد فقير عاجز ضعيف، ومن واقع علاقتك مع الربِّ مع الله -سبحانه وتعالى- الغني الذي تتوجه إليه بفقرك، القوي الذي تتوجه إليه بضعفك، المقتدر على كل شيء الذي تتوجه إليه وأنت تحمل الشعور بعجزك وأنك لا شيء، ثم أنت ذلك العبد المستقيم المطيع الأوَّاب الذي يتحرك في واقع حياته على أساس الطاعة، وإذا زل فهو ذلك التواب الراجع إلى الله -سبحانه وتعالى-.

هنا عندما تكون في زمرة المحسنين وتتحرك من هذا الواقع رحمة الله قريب منك، ودعوتك أقرب إلى الاستجابة، الله -سبحانه وتعالى- يقول في كتابه: ﴿هُوَ الحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [غافر:٦٥] الإخلاص في الدين الله -سبحانه وتعالى-، الإخلاص في التوجه إلى الله -سبحانه وتعالى-، انقطاع الأمل في الناس وتوجه الأمل بكله إلى الله -سبحانه وتعالى-، ونظرتك إلى الخلق أنهم كلهم عبيد مثلك، مفتقرون إلى الله، محتاجون إلى الله، ليس لهم في أيديهم إلا ما أعطاهم، ولن يدفعوا عن أنفسهم إلا ما وقاهم، وأنه من بيده خزائن السموات والأرض، فتوجهك إليه تحمل هكذا توجه بهكذا شعور أنت أقرب إلى الاستجابة لله -سبحانه وتعالى- أن يستجيب الله دعاءك، وأن يَمُنَّ عليك بالرحمة." (١٩)

ج-التركيز على الأدعية القرآنية

ضمن سنن الله أن كثيراً من الأدعية التي يدعوا الإنسان بها، لا يتم الاستجابة، لأنها تتنافى مع ما قدمه القرآن الكريم، ولا تنسجم مع سنن الله تعالى، فقد تدعو بدعاء ينبئ عن التنصل من القيام بالمسؤولية، ولا يعبر عن العبودية لله والاستجابة له؛

(١٩) السيد/ عبد الملك بدر الدين الحوثي، محاضرة الدعاء، ٤ رمضان ١٤٣٣هـ

فنجد البعض يدعو على العدو، دون أن يكون له موقف عملي منه، فلو أتى البعض يدعو بالنصر من دون جهاد وعمل، وبدون استجابة عملية لتوجيهات الله بالإعداد والتضحية، لن يصل إلى نتيجة فيما يتعلق بالدعاء؛ وفي القرآن الكريم نجد أن أدعية الصراع تأتي من واقع عملي، والبعض منها دعاء بالثبات والصبر في حال مواجهة، ومن هنا فإن من المهم أن يدعوا الإنسان بالأدعية القرآنية، التي صاغها الله، وأراد أن نتوسل بها، ونطلبه من خلالها.

" أؤكد على أهمية الأدعية القرآنية ، أدعية صاغها الله وقدَّمها الله لعباده، وهذا من أهم ما نستفيده، الأدعية التي هي من الله، التي علَّمنا الله، أدعية موجزة، أدعية مختصرة وفيها الأشياء الهامة جداً جداً، دعاء منها يجمع لك أو يقدِّم لك مسألة هامة جداً تستطيع أن تبقى أثناء ذلك الدعاء مستحضراً لذهنك، مقبلاً بقلبك، متوجهاً بنفسك خاشعاً خاضعاً، لا تذهب بك الأفكار وشوارد الذهن هنا وهناك؛ ولهذا يقول الله -سبحانه وتعالى- - مثلاً - عندما تلحظ قول الله تعالى وهو يعلمنا دعاءً من الأدعية الهامة: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة:٢٠١] كم جمع هذا الدعاء من أشياء مهمة جداً.

عندما يعلمنا الله -سبحانه وتعالى- أن نقول:﴿رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الوَهَّابُ﴾ [آل عمران:٨] دعاء الراسخين في العلم، دعاء في جانب مهم جداً تحتاج إلى أن تدعو الله في السلامة من الزيـغ والثبات على الهدى.

دعاء أيضاً الربانيين في طلب المغفرة والنصر: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وانصُرْنَا عَلَى القَوْمِ الكَافِرِينَ﴾ [آل عمران:١٤٧]." (٢٠)

ثانياً: التسبيح

التسبيح عبادة مهمة، وذِكْرٌ من أعظم ما نعبد الله به، ابتدأت به الكثير من سور القرآن، واستنفر الله كل ما في السموات والأرض من مخلوقاته، ما كان بلسان الحال أو المقال، لتسبحه وتنزهه ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾(الجمعة: من الآية١) نجد كذلك التسبيح مما أمر به أولياء الله، والرسول -صلوات الله عليه وعلى آله- يأمره الله بالتسبيح بقوله: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾ (الطور:٤٨ - ٤٩).

(٢٠) المصدر السابق

وفي كثير من آيات وسور القرآن الكريم، يؤكد الله على أهمية التسبيح، وأهمية تكراره في أوقات مختلفة، فيقول -جل شأنه-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ [الأحزاب:٤٢-٤٣] ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾(الروم:١٧).

فالحاجة إلى التسبيح ماسة في كل الظروف وفي جميع الحالات، سواءً في حالة الشدة أو الرخاء، وفي حالة السراء أو الضراء، فالإنسان محتاج إلى تنزيه الله في كل شيء، سواء كان طالب علم، أو تاجراً أو فلاحاً، سواء كان غنياً أو فقيراً، عالماً أو جاهلاً، مجاهداً او قاعداً، مريضاً أو سليماً؛ الكل محتاج إلى أن يسبح الله، لأهميته في توجيه الانسان إلى الصواب، وتعريفه بالموقف الصحيح الذي يجب أن يقفه في كل الأحوال والظروف.

ومن أهم ما في التسبيح أنه يُطهر المشاعر من الانطباعات السلبية، ويزكي النفس مما قد يعلق بها من الشبه والظنون السيئة بالله، ومن المعتقدات التي لا تليق بالله؛ ولأن إدراكنا محدود فإن الكثير من التشريعات نجهل الحكمة من ورائها، والكثير من الأحداث والوقائع تخلق انطباعات وظنوناً سيئة تتنافى مع تقديس الله تعالى، ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ (الأحزاب: من الآية ١٠)

وفي صراعنا المحتدم مع أعداء الامة، يحدث أحياناً تقدم للعدو في جبهة من الجبهات، ويحصل جرحى وشهداء وأسرى، فيكون لهذه الأحداث مردودات سلبية على نفسيات الكثير ممن لا ينزهون الله تعالى، فقد يسيئون الظن بالله أو يرتابون تجاه موقف الحق، أو يتذمرون وتصدر منهم الإساءات، وقد يصدر منهم أقوالٌ غير لائقة منها ما يحمل الله المسؤولية، ومنها ما ينبئ عن اتهام للقيادة، دون أن يقدسوا الله ويعترفوا بأخطائهم.

وأسوأ من ذلك ما قد يترسخ لدى البعض من معتقدات قد تصل إلى الكفر بالله، فيظن أن تراجعه كان سببه قوته وإمكاناته وكثرة العدد، وينسى أن العدو لا يتقدم إلا بتقصير وتفريط وخلل من طرف المؤمنين، سواء كان تفريطاً عملياً يرتبط بالترتيبات الميدانية، أو خللاً معنوياً وإيمانياً متعلقاً بالثقة بالله؛ فتأتي أهمية تسبيح الله وتنزيهه لتطهر أنفسنا وتزكيها من النظرة السيئة إلى الله، وتصحح تقييمنا لخلفيات الأمور وأسبابها.

والقرآن يحكي حالات كثيرة ممن كانوا في صفوف الجيش الإسلامي المقاتل مع رسول الله، حيث ساءت ظنونهم بالله، وأطلقوا عبارات غير مؤدبة، والبعض منهم وجه الإساءات والاتهامات للرسول -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- عندما قالوا: ﴿هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ﴾ [النساء: من الآية ٧٨]. والبعض كفر بوعود الله، ورآها مجرد غرور وأمنيات، مع

أن السبب كان من عندهم، كما في معركة أحد، حينما فرطوا في توجيهات الرسول وعصوه وتنازعوا، فانتصر العدو وسقط عشرات الشهداء، فظن البعض بالله ظنوناً جاهلية، يقول الله تعالى: ﴿وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ (آل عمران: من الآية١٥٤).

وكذلك في غزوة الأحزاب، حصلت مردودات نفسية سلبية للأحداث وضغطها وصلت إلى تكذيب الله ورسوله: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُوراً﴾ [الأحزاب: الآية١٢] ولهذا يؤكد القرآن على الإكثار من ذكر الله تعالى خصوصاً عند لقاء العدو، واثناء احتدام المعارك ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ * وَأَطِيعُواْ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال:٤٥].

وتأتي أهمية التسبيح على المستوى العملي، في كونه يدفع الإنسان إلى مراجعة واقعه وتصحيح أخطائه، وتقييم نفسه، فأنت عندما تسبح الله، أنت تنزهه عن أن يكون السبب فيما حصل من نكبات أو هزائم؛ وبالتالي تعود لدراسة واقعك وتبحث عن الخلل، ثم تعمل على إصلاحه، وتواصل المسير؛ فله هذه الأهمية العملية في تقييم الواقع، ومعرفة منشأ الخطأ، ومنع تكرار التقصير والتفريط، فيبقي الانسان مشدوداً إلى الله، ويدرك أن وراء كل تقصير تأديب.

وبالتالي يجب أن نرسخ معاني التسبيح في نفوسنا وفي مشاعرنا، من خلال التكرير الواعي لكلمة:(سبحان الله) في كل الأوقات، وأن نتلمس دلائل نزاهة الله -سبحانه وتعالى-، وقدسيته وجلاله وعظمته من خلال آيات القرآن الكريم، ومن خلال صفحات هذا الكون، وآيات هذا العالم؛ لتترسخ في نفوسنا معاني نزاهة الله؛ لأن المؤمن بحاجة إليها دائماً.

"التسبيح: هو تقديس لله، تنزيه لله، شهادة لله بكماله، شهادة بتنزيه الله -سبحانه وتعالى- عن كل نقص، عن كل مالا يليق به، عن كل مالا يليق بجلاله وعظيم مقامه.

وهذا شيء مهم يحتاج إليه الإنسان في واقع حياته، أولاً في واقع حياته هو بما قد يحدث في نفسه من انطباعات سيئة نتيجة لوقائع أو أحداث أو ظروف أو اختلالات في واقع الحياة، تترك في نفسه انطباعاً يتنافى مع تقديس الله، مع إجلال الله، مع تعظيم الله، مع الشهادة بكمال الله.

فالتسبيح له أهميته الكبيرة جداً في هذا الجانب، ولهذا هو عبادة مهمة، له قداسته، له أهميته، وردت فيه وبشأنه آيات كثيرة جداً جداً في القرآن الكريم،

أكدنا عليه في البرنامج اليومي، أكدنا على التسبيح المعروف وهو وارد في الصلاة (سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر) ومعه أيضاً (ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم) مائة مرة.

هذه المفترض أن تكرر يومياً هناك ملزمة (معنى التسبيح) هامة جداً ينبغي على كل مجاهد أن يهتم باستيعابها وفهمها بشكل صحيح حتى يسبح وهو يعي معنى التسبيح ويفهم معنى التسبيح." (٢١)

من جانب آخر للتسبيح أهمية كبرى في حماية الإنسان من وساوس الشيطان، في لحظة الإنجازات ومع نشوة الانتصارات، خصوصاً من لهم سوابق وتضحيات ومواقف كبيرة؛ فالشيطان قد لا يتمكن من إفساد العمل قبل القيام به، لكنه يتجه ليوسوس للإنسان عندما يحقق الله على يديه أي عمل، فينفخ فيه النشوة ويملأ ذهنيته بالحقوق الشخصية، ويصنع في نفسه العجب والغرور؛ فقد يقول له أنت أصبحت بطلاً ومقداماً ومؤثراً، وينبغي أن تعطى مكانة وإمكانات تليق بمستواك الذي وصلت إليه، وينبغي أن، وأن.. حتى يملئ رأسه بالحقوق؛ وفي هذه الحالة إذا لم يتجه الإنسان إلى التسبيح لله والشكر له على ما تحقق، وينسب الفضل إليه، ويغرق في تمجيد الله، سيغرق في تمجيد نفسه، وسيكون ضحية لوساوس الشيطان وأهواء النفس، فالتسبيح يمثل وقاية باعتباره من أبرز تجليات التسليم لله والعبودية له، ويجسد الواقع النفسي المنشدّ إلى الله والمنزه له سواء في حالة الهزائم أو في حالة الانتصارات.

يقول الشهيد القائد -رضوان الله عليه- : "**ربطت الأشياء هذه كلها أن الله يقول للناس هم يسلّموا أنفسهم إليه، وما لهم دخل من نفوسهم، هو سيجعل في دينه رفعة لهم، عظمة لهم، مجداً لهم، سمواً لهم. هي بهذه الطريقة، مثلما حصل في القرآن بالنسبة للنبي نفسه -صلوات الله عليه وعلى آله- هذه من الآيات العجيبة في سورة: ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾، وتكلمنا كثيراً حولها، في الوقت الذي هو يحصل لأي إنسان، عمل إنجازات من ذلك النوع، يلتفت إلى نفسه، ويرى نفسه كبيراً! أليست هذه قد تحصل؟ يسحب ذهنيته يقول: لا، ﴿فسبح بحمد ربك﴾، أليس هكذا؟ في لحظة الإنجازات الكبيرة هذه أغرق في ماذا؟ في تقديسك لله، إنس نفسك نهائياً، واعرف بأنك ما تزال قاصراً ومقصراً، ﴿واستغفره إنه كان توابا﴾ استغفره، ترجو توبته. أليست هذه عبرة كبيرة جداً؟ في نفس الوقت هل الله يأتي يضرب الإنسان لا يَكْبُر؟ لا، يأتي هو من الجانب الآخر يقول: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ**

(٢١) الذين ان مكناهم، مصدر سابق.

ذِكْرَكَ﴾ (الشرح٤) ألم يرفع له ذكره؟ يقرن اسمه باسمه في الأذان، يقرن اسمه باسمه في الشهادة بالوحدانية، في التشهد للصلاة، أليس هذا حاصل؟ هو لا يقول: لا نريد أن يكون لك رفعة. يقول هو: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ (الزخرف٤٤) لكن أن تأتي أنت، أنت تريد تبني نفسك -مثلما نقول نحن- يريد واحد هو، هو، هو غارق في ذاتيته، ما هو طالع على الإطلاق، سيحبط، وينحط، مهما رأى نفسه كبيراً، ويغرق في الضلال." (٢٢)

ثالثاً: الاستغفار

الاستغفار سلوكٌ إيمانيٌ عظيم، قدمه الله في القرآن الكريم، من مواصفات المؤمنين الصادقين، المنشَدِّين إلى الله والراجين عفوه ومغفرته، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ (آل عمران:١٦-١٧) والاستغفار وسيلة تعبر عن صدق الإنابة إلى الله، والشعور بالتقصير والاعتراف بفداحة الذنوب وخطورتها ومساوئها؛ ومن أهم ما اتصف به المؤمنون أنهم يسألون الله المغفرة حتى فيما قد يبدر منهم على سبيل النسيان والخطأ، ويطلبون من الله ألا يؤاخذهم عليه، ﴿رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة:٢٨٦] فهم يُنيبون إلى الله دون غرور أو عُجب، أو تَمنُّن.

ولأهمية الاستغفار وحاجة الناس إليه بما فيهم المؤمنون، نجد أن الله يأمر نبيَّه محمداً -صلوات الله عليه وعلى آله- بالاستغفار فيقول له: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمد:١٩]. ويأمره بالاستغفار للمؤمنين والمؤمنات، ولم يقل وللمجرمين والمجرمات، وفي مقام آخر، يقول: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ [محمد:١٩]؛ ومهما بلغ الإنسان من الصلاح والإيمان، يبدر منه تقصيرٌ لو لم يكن إلا في الأداء العملي.

واستشعار القصور والتقصير والذنب هو الحال الذي يجب أن يكون عليه الإنسان المؤمن في كل الظروف، مع النصر أو الهزيمة، ففي حال الهزائم يستغفر الله من التقصير، وفي حال النصر يستشعر القصور حتى لا يصاب بالعجب والغرور؛ ويدرك أن ما يتحقق من إنجازات، أو مواقف وأعمال صالحة إنما تحققت بتوفيق الله، ويبقى تفكيره فيما تبقى من تقصير، فيسأل الله عليه المغفرة.

وعندما يغفل الإنسان ويتهاون، فلا يُبالي ولا يهتم بالاستغفار ولا بالتوبة ولا بالإنابة إلى الله، تجتمع الكثير من المعاصي والذنوب والسيئات فتسبب له قسوة القلب واستحكام

(٢٢) السيد/ حسين بدر الدين الحوثي، السادس مديح القرآن، مصدر سابق

الغفلة، وتفتح للشيطان مجالاً للتأثير عليه أكثر فأكثر.، ويكون كمن يجمع الحطب حوله ليحترق به.

"الإنسان الكامل، رسول الله -صلوات الله عليه وعلى آله- الكامل في إيمانه، في تقواه، في طهارة نفسه، في حرصه على هداية عباد الله. عندما يقول الله -سبحانه وتعالى-: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (محمد: من الآية١٩) ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ (الفتح: من الآية٢). فأنا عندما أرى نفسي بأنني أصبحت لا ذنب لي، ماذا يعني هذا؟ أصبحت وكأنه ليس هناك أي ذنب لدي إطلاقاً..

هل أنت ارتقيت إلى درجة محمد بن عبد الله -صلوات الله عليه وعلى آله-؟ أم أنك قد أصبحت تجعل لنفسك مقاماً هو أعلى من مقام رسول الله -صلوات الله عليه وعلى آله- الذي يقول الله له: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ أين هي الذنوب التي قد نتصورها نحن بالنسبة للنبي -صلوات الله عليه وعلى آله-؟ لكن مهما ارتقيت، مهما ارتقيت في سلم الكمال لا بد أن تستشعر بأنك ما تزال قاصراً وناقصاً ومقصراً أمام الله -سبحانه وتعالى-، ما تزال ناقصاً، ما تزال مقصراً، لا تستطيع أن تحيط علماً بكل الدائرة من حولك أنها قد أصبحت كلها طاهرة بنسبة مائة في المائة في كل تصرفاتك، كل أفعالك، كل أقوالك، كل آرائك، كل نظراتك، كل مواقفك، ثم تقول بعد: [ما عاد بعدنا] فإذا لم تر الأشياء تتحقق على ما تريد تسخط على الله -سبحانه وتعالى-! هذه جهالة.

الإنسان المؤمن يجب أن يكون دائماً مستشعراً للتقصير أمام الله، الله وصف المتقين بأنهم كما قال عنهم: ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ (آل عمران: من الآية١٧) مستغفرين دائماً حتى في تلك الأوقات التي عادة ينهض فيها العبّاد المنقطعون في العبادة. هم عندما ينهضون في الثلث الأخير من الليل، وفي السحر قبيل الفجر هم لا ينظرون إلى أنفسهم بأنهم قد أصبحوا [ما شاء الله]، ولا عاد بقي لديهم أي تقصير، وأنه ما بقي لديهم أي ذنب، يستغفرون الله دائماً ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾، ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾." (٢٣)

ونلحظ أهمية الاستغفار في التخلص من آثار الذنوب والزلل والخلل والتقصير، الذي يترك أثره السيء في النفوس والسلوك والعمل، ويؤثر سلباً على العلاقة مع الله -سبحانه وتعالى-، ويبعد الإنسان أكثر فأكثر عن رعاية الله وتوفيقه، ويجعله عرضة

(٢٣)السيد/ حسين بدر الدين الحوثي، معنى التسبيح، بتاريخ: ٢٧ من ذي القعدة/ ١٤٢٢هـ الموافق: ٢٠٠٢/٢/٩م

لأن يكون في مقام المؤاخذة وفي موقع العقاب، بدلاً من أن يكون في مقام النصر والتأييد، وفي مقام التوفيق.

والإنسان المؤمن كلما وُفِّق مع الله -سبحانه وتعالى- يزداد شعورا بالتقصير والقصور أمام الله -سبحانه وتعالى-.

وهكذا تجد الأنبياء بما هم عليه من اهتمام وإخلاص وتحرك وعمل وارتباط بالله، لايزالون يطلبون من الله المغفرة، ويطمعون في عفوه، ويسألونه أن يتوب عليهم ويتقبل أعمالهم.

"الأنبياء بالرغم مما وصلوا إليه من رتبه إيمانية عالية جداً، رتبة إيمانية عالية، وهو في ختام مسيرته، مشرف على الرحيل إلى الله قريب من الموت أو الاستشهاد، وقد أصبح معه عمل كبير وعمل عظيم وجهاد مرير، وجهود كبيرة جداً وحياة معطاءة، عمل، إخلاص، صبر، صدق، جهاد، تضحية، كل شيء، لا يزال يشعر بأنه ماذا...؟ مقصر، يشعر أنه مقصر. يشعر حقيقة . ليست مجرد مجاملة، هكذا يعتبرها من باب المجاملات مع الله. لا، لديه إحساس أنه مقصر، إحساس في نفسه أنه مقصر، ويطلب من الله ماذا؟ المغفرة... يطلب من الله أن يغفر له.

أما إبراهيم وهو خليل الله وكبير الأنبياء يقول ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الشعراء٨٢] يقول: أنا طامع، طامع في الله، راجي من الله في يوم القيامة المغفرة، هكذا طموح الأنبياء.

نبي الله نوح كذلك بعد تسعمائة وخمسين سنة من الجهاد والعمل والصبر والمعاناة والتضحية والعبادة والطاعة والشغل الكبير [اشتغل شغل نبي الله نوح] ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَاراً﴾ [نوح الآية٥] [الليل والنهار مشتغل] الليل والنهار وهو في عمل متواصل، ويواجه معاناة كبيرة من التكذيب والأذى والصدّ، ويبذل جهود كبيرة في هداية الناس، تسعمائة وخمسين سنة؟! وهي ليست مدة قصيرة ﴿أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَاماً﴾ [العنكبوت من الآية١٤] [ما جاء يقل خلاص قد أنا أضخم واحد، تمام، ما عاد إلا تفتح لي أبواب الجنة]. لا، يعيش حالة تواضع كبير ويطلب من الله نهاية المطاف المغفرة ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [نوح من الآية٢٨]." (٢٤)

(٢٤) أسباب التوفيق، مصدر سابق.

أهمية الاستغفار في معالجة آثار التقصير والتخاذل

ضِمن تدبير الله الواسع في ترتيب شؤون خلقه، تبقى كل أوامره وتوجيهاته خيراً وحكمة، لا تستقيم الحياة، ولا يصلح الحال والواقع إلا بها؛ والمعصية والتجاوز والتقصير لها آثارٌ سيئة ونتائج في واقع الحياة من حولك، لا تقتصر فقط في دائرتك كعاصٍ، ولا تنحصر نتائجها في واقعك الشخصي، فأنت تجني على الحياة من حولك، وتنعكس الآثار السلبية للمعاصي ومخالفة توجيهات الله وأوامره في واقع الحياة، فيسوء الواقع بكله، وتصل آثارها السيئة حتى إلى أعماق البحار.

فالإنسان مُتصرِّفٌ فيما سخر الله له في السموات والأرض، ومسؤوليته كبرى، ولأعماله أهمية وآثار، ولذلك كُتب له أو عليه ما يعمل مهما كان قليلاً: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة:٧-٨]، والله يجازي على ذلك جزاء عادلاً ودقيقاً، ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ﴾(الزمر: ٧٠) والقرآن في حديثه عن جهنم ومستوى العذاب فيها، يدلل على أن الاعمال التي اقترفها الإنسان كانت كبيرة جداً، ويبدو أنها أعمال معظمها في دائرة التقصير؛ فتقصير الناس عن المواجهة لأعداء الله هو عامل أساس لنجاح الأعداء، وهو سبب رئيس في معاناة المؤمنين؛ وبالتالي يصبح الساكتون والمقصرون شركاء للمجرمين في ما يقترفونه بحق الناس، ويتحملون نتائج أعمالهم حتى وهم داخل قبورهم، فالتقصير تبقى آثاره منتجة للذنوب والأوزار باستمرار، حالها حال العمل الصالح الذي تمتد آثاره عبر الأجيال. يقول الله -جل شأنه-: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ﴾(يس:١٢)

وفي ضوء هذه الآية يمكننا القول إن الجيل الأول من العرب والفلسطينيين الذين تخاذلوا بداية الاحتلال لفلسطين، هم مسؤولون عن معاناة الأجيال الذين أتوا من بعدهم، لأنهم فرطوا حتى استحكمت قبضة الصهاينة على البلاد، وتخاذل الكثير منهم رغم أن اليهود مجرد عصابات؛ فجرهم تخاذلهم إلى أن أصبحوا مشاركين حتى فيما تعمله إسرائيل بالفلسطينيين وبالعرب والمسلمين اليوم.

يقول الشهيد القائد -رضوان الله عليه-: في خلاصة آيات من سورة الزمر "عندما تستجيب لله وتتحرك في سبيله أهم مكسب أن لا تكون شريك للظالمين، ولا تسجل شريك في الجرائم التي لا تنتهي عند حد، ولا تتحمل مسؤولية عن معاناة المجاهدين الذين يأتوا، حتى لو قتلت فهذا مكسب ونعمة كبيرة.

المعصية الشخصية خطيرة في بعض المراحل، مرحلة مطلوب فيها أن تكون جندي من جنود الله، يعني مطلوب أن تكون روحك زاكية، ومعصيتك ستقعدك عن أن تكون جندي من جنود الله.

كذلك الأعمال الصالحة تصبح عمل رهيب في مرحلة من المراحل؛ لذلك عَدَّ اللهُ الإعداد في سبيل الله، وسماه إنفاقاً في سبيل الله ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ﴾ (الأنفال:٦٠) حتى لو كان سلاحاً خاصاً بك، وأنت معد له في سبيل الله، وقد تشتري [بندقاً] وليس في ذهنيتك الإعداد، فلا يحسب لك أجر الانفاق.

﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ﴾(الزمر:٧٠) التوفية جهنم في الجانب السيئ، جزاء على النحو الرهيب، يعني عملك كان رهيب جداً ﴿وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾(الزمر:٦٩) اذا كان بقاؤك في جهنم ملايين السنيين ليس فيه ظلم لك، معناها كنت تعمل أعمال فضيعة. عندما تعرف رحمة الله وعدالته فافهم أن عملك فضيع جداً جداً.

قد يكون الجيل الأول من الفلسطينيين مسؤولين عن ما يحصل الآن، كذلك في اليمن بالنسبة لهذا الجيل نحن، إذا قصر الناس ستكون عليهم مسؤولية رهيبة جداً، بعضهم يقول: الحمد لله لا زاني ولا قاتل ولا سارق، لكن قد يطلع شريك في سفك دماء وقتل وزنا وسرقة بقعوده.

يفهم الإنسان فضاعة عمله أن جهنم هي الجزاء العادل، ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ﴾ (الزمر:٧٠) أعطيت وافية، ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾(الزمر:٧٠) لذلك يحذر الانسان من البداية، لا تقصر، ولا ترتكب المعصية الفلانية؛ لأن القضية ليست على تقديراتك أنت.

يوم القيامة سيُطلِعك على امتداد تقصيرك؛ لأنه قال لك من البداية [اترك بطّل]، وعندما تستهين أنت لا تعلم بالآثار، لكن هذا ليس عذراً؛ لأنه قد حذرك.

معصيتك لها آثار ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ (الزمر:٧٠) هو يعلم بآثار ما فعلت، لكن أنت لا تعلم بآثار أعمالك؛ لهذا الرسول -صلوات الله عليه وعلى آله-، والإمام علي -عليه السلام- كان يحذّر من قول الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ﴾(يس:١٢) اذاً أنت قاصر لا تعلم، الله هو الذي يعلم.

الله قال لك من البداية ﴿اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم﴾ (الأنفال:٢٤) إذا لم نفهم هذه القضية سيظن الناس أن الله سيملي جهنم من [أولائك الاخرين].. عندما يقول الله ﴿لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (السجدة:١٣) بينما هذه الاية تشير، الى ان المقصود ربما من كل أسرة.

هناك جرائم فظيعة قد تطلع أمريكا وإسرائيل ليست الا واحدة من جرائم العرب، بتقصيرهم وتخاذلهم طلعت أمريكا وإسرائيل.

أمة محمد -صلوات الله عليه وعلى آله- قد تكون أول أمة تحاسب.. والمجرمين والعاصين منهم قد يكونوا أول من يساقون الى جهنم.

هذه الأمة المفروض أن يكون لديها العبرة؛ لأنه قد عرض لها تاريخ وعبر، فالمفروض أن تكون أهدى الأمم.

﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ (الزمر:٧٠) يكون الإنسان خائف من التقصير لأن له آثار سيئة...

إذاً إنطلق من الآن أنت لا تعلم، الله هو من يعلم بما يفعلون، قد تكون الصحايف تستعرض ما فعلت وما قلت، ومع الحساب يأتي البيان لما فعلت حتى ترى أنك تستحق أن تساق إلى جهنم؛ لأن الانسان يرى نفسه فضيع جداً جداً." [٢٥]

والتخاذل تحت راية الحق ذنب كبير، وجريمة لها نتائج خطيرة، وآثار مستمرة وممتدة عبر الأجيال، لأن الانسان بتخاذله يفسح مكاناً للباطل، ليحكم الناس ويتحكم في كل شؤونهم، وقد وجدنا الآثار الفظيعة للتخاذل والتقصير الذي حصل في أيام الإمام علي، وحصل من بعده مع الإمام الحسن ومع الإمام الحسين ومع الإمام زيد (عليهم السلام)، كانت النتيجة هي استحكام قبضة بني أمية بكل ما هم عليه من سوء وإجرام، وبكل ما فعلوه في جانب الدين من تحريف للمفاهيم، وتزييف للحقائق امتدت تأثيراتها إلى عصرنا الحاضر؛ وبقدر فداحة الذنب وآثاره، ندرك أهمية الاستغفار والتوبة إلى الله، وطلب العفو والمغفرة منه على الدوام.

يقول الشهيد القائد- رضوان الله عليه-: "أنا أعتقد أن الفساد في العالم كله، المسلمون الأوائل الذين تخاذلوا، المسلمون الأوائل الذين حرفوا، المسلمون الأوائل الذين قعدوا عن نصر دين الله هم من يتحمل جريمة البشرية كلها؛ لأنهم هم من حالوا دون أن تكون هذه الأمة بمستوى النهوض بمسؤوليتها، فتحمل الرسالة إلى كل بقاع الدنيا. هذا كان هو المطلوب من العرب. لكن أولئك أصحاب الجباه السوداء من طول السجود تحت راية الإمام علي، الذين تحولوا إلى خوارج بجهلهم بغبائهم، لعدم وعيهم.

من الوعي أن تفهم هذه النقطة، من الوعي أن يفهم المؤمنون هذه النقطة الخطيرة: أنه فيما إذا تخاذلت أنا سيكون تخاذلي جناية على الأمة، جناية على الأمة في الحاضر والمستقبل، وسأكون أنا من يتحمل أوزار من بعدي، أوزار كل من ضلوا، وفسادهم وضلالهم من بعدي جيلا بعد جيل، أولئك عندما تخاذلوا

(٢٥) السيد/ حسين بدر الدين الحوثي، خلاصة درس آيات من سورة الزمر ، تلخيص محمد الفرح، تاريخ ٢٠٠٤/٥/٢٨م

عن نصرة الإمام علي لضعف وعيهم وقلة إيمانهم، مع كثرة ركوعهم وكثرة تلاوتهم للقرآن، هم من حالوا دون أن تسود دولة الإمام علي -عليه السلام- ويهزم جانب النفاق والتضليل، جانب معاوية.

ماذا لو كانوا من أصحاب الإيمان الكامل وانتصر بهم الإمام علي -عليه السلام-؟ كيف سيكون واقعهم هم عند الله؟ يكونون عظماء، فيكونون مشاركين لكل إنسان مؤمن يهتدي في هذه الدنيا، لو وقفوا وقفة جادة مع الإمام علي لانتصر الإمام علي، واستطاع أن يغير وجه التاريخ، واستطاع أن يغير هذه الأمة فيردها إلى نفس التربية التي أراد لها الرسول -صلوات الله عليه وعلى آله- أن تتربى عليها.

كان هو يقول: ((لو استقرت قدماي في هذه المداحض لغيرت أشياء)) أشياء كانت قد ترسخت خطيرة.. لماذا لم يقفوا معه ليتمكن من تغيير تلك الأشياء، ومن إعادة بناء الأمة على أساس صحيح فيحظوا هم يحظوا بالسبق فيكونوا كالسابقين في بدر، ولكن تخاذلوا لضعف وعيهم، لقلة إيمانهم."[٢٦]

رابعاً: التوبة والإنابة الصادقة

التوبة: هي باب نجاة ورحمةٍ، وباب خير فتحه الله لعباده ليتخلصوا من الذنوب والمعاصي وآثار التقصير، ولا يمكن للإنسان أبداً أن ينجو من خطورة المعاصي والذنوب والسيئات إلا من خلالها؛ والتوبة باب رحمة من الله تعالى، فهو الذي خلق هذا الإنسان، ويعلم بضعفه، ويعلم أنه قد يقع في المعصية، وقد يسقط في الذنب، وقد يكسب السيئة، وقد ينزلق بفعل هوى أو مؤثرات أخرى، فدعاه الى التوبة؛ لأنه التَّواب الرَّحيم، يقول الله- جل شأنه-: ﴿أَنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة:١٠٤].

وأكَّد في القرآن الكريم على عظيم نعمته ورحمته الكبيرة بعباده، عندما يقبل التوبة والإنابة من عباده، ويغفر لهم ويعفو عنهم ويتجاوز عن سيئاتهم، فيقول الله-جل شأنه-: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ العِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ المَصِيرُ﴾ [غافر:٣].

وقال جل شأنه: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُوا عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الشورى:٢٥]. وقال جل شأنه: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة:١٠٤].

والله تعالى هو الغني، لا تنفعه طاعة من أطاعه ولا تضره معصية من عصاه، وليس محتاجاً إلى التوبة؛ فالإنسان هو من يحتاج التوبة إلى الله والإنابة إليه، حتى

(٢٦)السيد/ حسين بدر الدين الحوثي، في ظلال دعاء مكارم الأخلاق -الدرس الأول، مصدر سابق

يخفف الله عنه أوزار الذنوب، ويقي نفسه سيئ ما عمل، ويتجنب آثار تقصيره التي قد تمتد عشرات السنين، والتي لها بالغ الأثر على الإنسان في كل شيء؛ فالذنوب تُبعد الإنسان عن رحمة الله وتسبب له غضب الله وسخطه ومقته، ثم ما يترتب على ذلك في تدبير الله للإنسان أو يكتبه له أو عليه، سواء في رزقه ومعيشته أو في واقعه النفسي، لأنه سيكون في دائرة المسخوط عليه من الله؛ وبالتالي يدبر شؤونه على أساس سخطه وعدم رضاه عنه، والقرآن يقص علينا كثيراً من العقوبات التي حلت بأمم بأكملها، كالزلازل والخسف والتسليط؛ نتيجة ذنوبهم ومعاصيهم، قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾ [الأنعام:٦] ،ويقول - جل شأنه-: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت:٤٠] ثم عاقبة المعاصي في الآخرة جهنم والعياذ بالله. يقول الله -سبحانه وتعالى-: ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [النساء:١٤]

وبالتالي فالإنسان من خلال الذنوب والمعاصي والسيئات هو يسيء إلى الله، المنعم الرَّحيم، ويظلم نفسه، ويسبب لها الشقاء والشر والخسران في الدنيا والاخرة.

"من أهم ما وصف الله به عباده المؤمنين الصالحين أنهم توَّابون، ملازمون للتوبة دائمو الرجوع إلى الله -سبحانه وتعالى-، والإنسان المؤمن حقاً إذا شعر أنه أذنب بتقصيرٍ فيما أمره الله به، عندما يشعر أنه أذنب قصّر فيما أمره الله به، في واجبٍ من واجباته، في مسؤولية من مسؤولياته، أو تجاوز في شيء من مناهي الله -سبحانه وتعالى-، هو سريع الرجوع إلى الله، سريع المبادرة إلى الله، هو يدرك ويعي ويستوعب الخطورة الكبيرة للذنوب وآثارها السيئة عليه منتهاها جهنم وسخط الله الأكبر، وهو يستحي من الله، هو يُحِبُّ الله، يخاف الله، يُوقِّر الله، يُعظِّم الله، فهو يُسرع إلى التوبة والإنابة والاستغفار بندم وحياء من الله -سبحانه وتعالى-.

الله قال عن عباده المؤمنين: ﴿التَّائِبُونَ العَابِدُونَ الحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ المُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللهِ وَبَشِّرِ المُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال:١١٢] هم متجهون إلى الله في عملية رجوع دائم إلى الله -سبحانه وتعالى-، وهم حريصون على الإنابة إليه وملازمة التوبة دائماً، قال عنهم: ﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالمُنفِقِينَ وَالمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ﴾

[الأحزاب:٣٥] هم يتخيَّرون حتى أحسن الأوقات، فيما ورد أنه وقت من أحسن الأوقات لاستجابة الدعاء، يستغلونه لطلب المغفرة من الله، هم لا يعيشون حالة الغرور ولا العُجْب، من لا يلازم التوبة ومن لا يشعر بالتقصير هو إما أنه مغرور، أو مُعْجبٌ بنفسه وبأعماله، فهذه بحدّ ذاتها مُهلكة، مُهلكة ومسألة خطيرة جداً.

الإنسان المؤمن لو وصل إلى أي مستوى في إيمانه والتزامه وتقواه وعبادته وإنابته يضل دائماً يستشعر التقصير أمام الله -سبحانه وتعالى-، يستشعر أنه مقصِّر مهما عمل مهما قدَّم، ويدرك أن من الذنوب ذنوب حتى على مستوى التقصير في الأداء العملي لما يعمله من الطاعات، فهو ملازمٌ للتوبة، ملازمٌ للاستغفار، ملازمٌ للإنابة إلى الله -سبحانه وتعالى-.

﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ﴾ يأتي التوجيه الإلهي لمن؟ للمؤمنين بالتوبة، المسألة ليست مسألة منحصرة أن تُخاطب المجرمين والمستهترين والمشهورين بكبائر الجرائم والذنوب فتقول: توبوا. لا!.. الكل مطلوبٌ منهم أن يتوبوا؛ بل المؤمن من أهم صفاته: أنه توّاب، وأنه ملازمٌ للتوبة والإنابة إلى الله -سبحانه وتعالى-، فيما هو عليه من استقامة، فيما هو عليه من صلاح، فيما هو عليه من إنابة، فيما هو عليه من عملٍ صالح.

﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ﴾ [الأحزاب:٣٥] ومع ما هم عليه من هذه الصفات الإيمانية العظيمة والرفيعة ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ﴾ [الأحزاب:٣٥] هم لا يستغفرون من منطلق أنهم أصبحوا مجرمين. لا. بكل صلاحهم وإيمانهم بصبرهم وصدقهم وقنوتهم لربِّهم وعطائهم وإنفاقهم، هم يستشعرون التقصير والقصور فيطلبون من الله المغفرة، ويُكرِّرُون الإنابة، ويفيقون في وقت الغفلة ليتضرعوا إلى ربِّهم سائلين له المغفرة.

الله -سبحانه وتعالى- يقول: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور:٣١] توبوا إلى الله، يا مؤمن؛ مهما بلغ بك إيمانك تب إلى الله، وكن دائم الرجوع إليه، ولازم التوبة من أي هفوة أو تقصير أو زلة، قد تتكاثر الكثير من الذنوب التي يستصغرها الإنسان ويتهاون بها حتى تكون مؤثّرة وخطيرة على الإنسان، وشبَّهها الرسول كمن يجمع الأعواد من الحطب عوداً عوداً حتى تكون لو اشتعلت منه ناراً لأحرقته." (٢٧)

(٢٧) السيد عبد الملك بدر الدين الحوثي، محاضرة التوبة، ١٤ رمضان، ١٤٣٤هـ

ومن أجل أن تكون التوبة إلى الله مقبولة، يتطلب ذلك أن تكون بإخلاص وإنابة صادقة، وتسليم لله، أضف لذلك الحذر من التأخير والتسويف والأماني، أو اليأس والقنوط من مغفرة الله ورحمته، ويمكن تناول ذلك كالتالي:

١- الرجوع إلى الله بإخلاص وتسليم

من لوازم التوبة النصوح أن تكون عودة صادقة تقلع من خلالها عن المعاصي والتقصير، وتعزم على ألّا تعود إليها، وتبني على تغيير واقعك إلى الأفضل، فتتجه الاتجاه الصحيح، وهو اتجاه التسليم والطاعة لله، والاستجابة لتوجيهاته.

والعصيان لله هو في حالة من حالتين: إما أن ترفض أمراً من أوامر الله، أو أن تتجاوز إلى ما نهى عنه.

ومشكلة البعض أنه يتصور أن المعصية تقع في مستوى المناهي، فيرى أنه من الصالحين، لأنه لم يشرب الخمر ولم يقطع الصلاة، ولم يسرق أو يزن، وفي نفس الوقت يصلي ويصوم ويزكي ويحج، ويظن أن المسألة كافية، وينسى أن رفض الأوامر من المعاصي، ويغفل عن آثار المعاصي، والأضرار المباشرة للجرائم.

ولو أتينا إلى المعصية التي تسببت في طرد إبليس ولعنه وتحوله إلى رمز الشر والإجرام، لوجدنا أنه لم يقتل ولم يزن ولم يسرق، لكنه رفض أمر الله واستكبر عن السجود لآدم ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾ [الأعراف:١٢] وهذا مما يغفل عنه البعض؛ فالكِبر يمثل إحدى المعاصي الكبيرة التي تُسبب سخط الله، وتجعل الإنسان رافضاً للحق، ومتعالياً على الآخرين.

ما نريد أن نصل اليه، هو أن معظم المعاصي التي نرتكبها تدخل ضمن رفض ما أمرنا الله به، وللأسف فإن البعض لا يلقي لها بالاً، ولا يعطي لها أهمية، وحتى لو قرأ آيةً قرآنية تأمر بذلك الشيء يقرؤها ثم يتجاهل، والسؤال هنا، ألم يأمرنا الله بالجهاد في سبيله وبالإنفاق وأن نكون أنصارا له، وأن نكون قوامين بالقسط؟ ألم يأمرنا أن نأمر بالمعروف؟ وأن ننهى عن المنكر؟ وأن يكون لنا موقف من الظلم والفساد؟ أليس تجاهل هذه الاوامر معصيةً ورفضاً لأمر الله وتوجيهاته؟ أليس الإنسان بحاجة للتوبة منها، والالتزام بها؟ هذا جانب.

الجانب الاخر، الآثار التي تترتب على المعاصي، وما قد يطال الآخرين جراء تفريطك أو تضليلك، وما يلحقهم من فساد وظلم نتيجة تخاذلك وسكوتك عن نصرة الحق، فكثير من المعاناة يصنعها المهملون والمتخاذلون والمقصرون، ويصنعها المضلون والمفسدون.

أضف لذلك الذنوب والمعاصي التي لها أضرار وآثار مباشرة على الآخرين، البعض منها اقتطاع شيء من حقوق الناس، أو إلحاق ضرر مباشر بهم، فلا يكفي في التوبة أن تستغفر وتترك الناس الذين لحق بهم ضرر مباشر، بل يجب أن تُصلح ما أفسدت على المستوى الجنائي، وعلى المستوى الثقافي، وفي جميع الاتجاهات.

يقول جل شأنه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا﴾ [النحل:١١٩] هكذا هي التوبة النصوح، والإنابة الصادقة إلى الله -سبحانه وتعالى-: استقامة، وعمل صالح، وإصلاحٌ لما أفسد الإنسان، وابتداء مسار جديد يتجه فيه الإنسان إتجاهاً صادقاً وصالحاً ﴿وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللهِ مَتَابًا﴾ [الفرقان:٧١] فالتوبة الصادقة والإنابة الموصلة إلى رضا الله لها مسار عملي، وأعمال مهمة يُكَفِّر الله بها السيئات، ويعالج الآثار لما سبق من الإنسان من معاص وذنوب.

يقول الشهيد القائد-رضوان الله عليه- من خلال قول الله تعالى: "﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ﴾ (الزمر: من الآية٥٤) **الإنابة: الرجوع إلى الله، الرجوع بإخلاص.** ﴿وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾ (الزمر: من الآية٥٤) **أسلموا أنفسكم له، أخلصوها له، سلموها له، عبِّدوها له، سلِّم نفسك لله، وأن تسلِّم نفسك لله يعني: انقطاعك إلى الله -سبحانه وتعالى- واستعدادك لأن تسير على هديه، أنيبوا: أسلموا وأنتم ما تزالون في فترة يقبل منكم الإنابة ويقبل منكم الإسلام، وينفعكم الإنابة، وينفعكم الإسلام.**

﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ﴾ (الزمر: من الآية٥٤) **أما إذا ما جاء العذاب فإن عذاب الله لا أحد يستطيع أن يرده، عذاب الله لا أحد يستطيع أن يدفعه، عذاب الله لا تجد من ينصرك في مواجهته ليحول بينك وبينه.**

أن ننيب إليك، أن نسلم لك، قد تكون هذه هي حالة نفسية. أليس كذلك؟ أستطيع أن أقول عندما أتذكر وضعيتي وأتذكر ما عملت من ذنوب أن أقول: أستغفر الله العظيم وأتوب إليه بإخلاص وانقطاع إلى الله، وما كان من الأعمال له علاقة بالآخرين أن تنوي التخلص من الآخرين.

ثم أرسخ في نفسي استعدادي الكامل للإسلام لله. ثم ماذا بقي إذاً؟ هناك منهج تسير عليه، هذه حالة نفسية قد تحصل لدّي، قد تحصل لديك. لكن ليس إلى هنا وانتهى الموضوع، انطلق، هذه هي بداية رجوعك إلى الصراط المستقيم، إلى الطريق الذي يوصلك إلى رضوان الله وجنته.

التوبة هي بداية رجوع، هي الخطوة الأولى على طريق العمل الذي يتمثل في إتباع أحسن ما أنزل الله إلى عباده. ولأن هذا هو الذي يوفر لك أمناً من الوقوع في

المعاصي من جديد على النحو الأول، وأنت منطلق لاتباع القرآن الكريم، إلى العمل بالقرآن الكريم بهدايته، بإرشاداته، سيبعدك هذا كثيراً جداً عن معاصي الله سواء ما كان منها ذنوب تقترف أو ما كان منها بشكل تقصير وتفريط.

بعد أن دعا عباده إلى العودة إليه، العودة هي هذه: أن تنيبوا أن تسلموا أن تتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم، ويكرر أن الذنوب سواء ما كانت بشكل معاصي، المعاصي التي نحن معترفون بها ومتفقون عليها، أو من المعاصي التي قد تعارفنا على أنها ليست معاصي، يجب أن نتخلص منها وأن نعود إلى الله.“ [٢٨]

٢ .الحذر من التسويف والتهاون

التهاون والتساهل في المعصية والتسويف وتمنية النفس، تعد من أخطر الأمور التي تسبب للإنسان الخذلان، وتعرضه للمؤاخذة الإلهية، وتسلُبه التوفيق، يقول الإمام علي -عليه السلام-: ”**أشد الذنوب ما استهان به صاحبه**“.

فعندما يستمر الإنسان على ذنوب معينة سواء كانت تقصيراً تجاه مسؤوليات وأشياء أمرنا الله بها، أو تجاوزات وتهاوناً فيما نهى الله عنه، وتعدياً لحدود الله -سبحانه وتعالى-، ويستمر على هذه الحالة دون الإقلاع عن الذنب والإنابة حتماً تسبب له الخذلان؛ وعندما يخذل الإنسان يسقط من سيئةٍ إلى أسوأ، ومن ذنبٍ إلى ذنبٍ أعظم منه، وتضعف منعته الإيمانية، وتماسكه الفطري، وفي المقابل يقوى سلطان الشيطان عليه وتألف نفسه المعصية والذنب، فيحمل في نفسه الاماني بالفجور و يتحين الفرص لارتكاب المعاصي، ويخطط للاعوجاج عن خط الاستقامة قال تعالى: ﴿**بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَـٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ**﴾ (القيامة - ٥)؛ وبالتالي يُستدرج الى الشر شيئاً فشيئاً حتى يرى نفسه يوماً من الأيام في ذنبٍ وعصيان ويرتكب جرائم لم يتوقع أبداً لنفسه أن تصل إليها.

فالمسألة لا تبقى في إطار تَحكُّم الإنسان، فيبقى في المساحة التي يحددها من الإهمال والتجاوزات والعصيان واللامبالاة، وليس الأمر متروكاً إليه ولا بيده، لأن المعاصي تفتح مجالاً لتأثير الشيطان عليه، وتبعده عن هداية الله ورعايته، وتسبب له سخط الله، فيسلبه الهداية والتوفيق ويسلبه اللطف والرعاية، فيقع فيما هو أسوأ، ولذلك يقول الله -سبحانه وتعالى-: ﴿**ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ**﴾ [الروم:١٠].

تصل المسألة في نهاية المطاف إلى العاقبة السيئة، ويصبح في واقعه النفسي من

(٢٨) السيد/ حسين بدر الدين الحوثي، الدرس الحادي عشر من دروس معرفة الله، بتاريخ: ٢٠٠٢/١/٣٠م اليمن صعده

المكذِّبين بآيات الله والمستهزئين بها، سواء في إطار موقف معين، أو في واقعه العملي بشكل عام، ثم يسوء واقع الإنسان فيصل إلى مستوى من الانحراف والبُعد عن الله -سبحانه وتعالى- والطاعة للشيطان والانهماك في الهوى، حتى يّحِقَّ عليه كلمة العذاب، وقد لا يوفَّق للتوبة ولا للإنابة، ويكتب الله عليه العذاب فيُصبح جهنمياً من أهل النار، قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ العَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي النَّارِ﴾ [الزمر:١٩].

أضف لذلك حالة الأماني، عندما يُمنِّي الإنسان نفسه بأنه من المؤمنين، وأنه يعمل بعض الأعمال الصالحة، ويُمنِّي نفسه بالنجاة والفوز، وأنه سيكون من أهل الجنَّة، ثم يتهاون بالفرائض والمسؤوليات كالجهاد في سبيل الله، أو يتهاون ببعض الأمور في التزامه الديني، فهو بهذا يخدع نفسه ويغرها، لأن الله لا يقبل إلا ديناً كاملاً.

يقول الله تعالى: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ وَلاَ يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللهِ وَلِيّاً وَلاَ نَصِيراً﴾ [النساء:١٢٣] فالإسلام ليس بطاقة ترخيص يرتكب الإنسان ما شاء وأراد، ثم يظن بأنه سينجو من عذاب الله، لأنه مسلم ويقر بالشهادتين؛ ولذلك يجب الحذر من التهاون أو التسويف حتى لا يخذل الانسان، ويجب أن يسارع إلى التوبة ويستمر عليها، كما وصف الله عباده المؤمنين بأنهم توابون على الدوام.

يقول السيد عبد الملك بدر الدين الحوثي: "من أخطر الأشياء على الإنسان التسويف بالتوبة، وهذه من أهم حِيل الشيطان التي يخدع بها الكثير من الناس؛ لأن البعض من الناس يقول: يمكن أن أتوب فيما بعد. هذا شيء خطير جداً على الإنسان، الإنسان نفسه لا يدري متى يمكن أن يموت، متى يمكن أن يفارق هذه الحياة، إضافةً إلى الخطر السابق، خطر أن يُخذَل ألا يُوفَّق، أن يقع في مساوئ كبيرة جداً تحِقُّ عليه فيها كلمة العذاب، لكن هناك خطر آخر هو الموت، قد تسوِّف فيأتيك الموت قبل أن تتوب، قبل أن تُصلح واقعك.

والله -سبحانه وتعالى- يقول: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوَءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَئِكَ يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللهُ عَلِيماً حَكِيماً * وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ المَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ﴾ [النساء:١٧-١٨] يأتيه الموت فيقول: الآن تائب. تائب. هناك حينئذٍ لا يُقبل من الإنسان لا توبة ولا إنابة ولا أي شيء، والإنسان ليس بيده ضمانة ولا يعرف كم يمكن أن يعيش في هذه الدنيا، محتاج إلى أن يحرص على أن يكون في واقعه تائباً إلى الله، منيباً إلى الله، وإذا زلّ في أي ذنب من أنواع الذنوب، والذنوب كثيرة على مستوى الكلام والقول كم يمكن أن يذنب الإنسان، على مستوى ممارساته وأعماله في واقع الحياة، وعلاقاته ومعاملاته وما أشبه، على مستوى واجباته التي يقصر فيها، جوانب كثيرة يمكن أن يذنب الإنسان فيها، ما أحوج الإنسان إلى أن يكون

توَّاباً وبشكلٍ مستمر، منيباً إلى الله وهذه هي حال المؤمنين."[٢٩]

٣ .عدم اليأس والقنوط من رحمة الله

فتح الله التوبة كباب نجاة لعباده، وباب نعمة ورحمة منه، لينجوا من المؤاخذة ويسلموا من آثار وعقوبات الذنوب، قال تعالى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [الزمر:٥٤] وقد دعا الله عباده إلى التوبة وحذرهم حتى من اليأس والقنوط، فلا يتوهموا أو يضنوا أنه لن يقبل توبتهم إذا رجعوا إليه، وأنابوا وتابوا، أو أنه لن يعفو عنهم، فالله هو الغفور الرحيم، يغفر ويرحم، ويعفو عن عباده، حتى لو كانوا مسرفين؛ وبالتالي لا يجوز القنوط واليأس من رحمة الله خصوصاً عندما يرجعون بصدق وإخلاص وندم، وبإقلاع عن المعصية والذنب، ويستقيمون ويسلمون أنفسهم لله.

ومغفرة الله لا تتم من دون توبة ورجوع إليه، ودون إنابة للمجرمين، فهو غفار للتائبين، المُنيبين، الصالحين، المُستقيمين، فالله -سبحانه وتعالى- يقول في كتابة الكريم: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾ [طه:٨٢] أما من يُصِرّ ويستهتر ويُعبِّد نفسه للشيطان، ويلهث وراء شهوات نفسه ورغباتها، ثم يقول: الله غفور رحيم، هو يسيء إلى الله؛ لأن الله الغفور وهو أيضاً العزيز.

ولهذا يجب أن لا ييأس الإنسان من رحمة الله، إذا استقام وأصلح، فالله -سبحانه وتعالى- يقول: ﴿ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأعراف:١٠٣] ويقول -جل شأنه-: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام:٥٤] فالأهم هنا هو أن يعمل أعمالا صالحة، مقابل ما عمل من السيئات يكَفِّر بها عن ذنوبه، ويزيل الآثار السيئة حتى على المستوى النفسي؛ لأن المعصية والذنب تترك أثراً سيئاً في مشاعر الإنسان، وفي قلبه إضافةً إلى آثارها السيئة في واقع الحياة.

"﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ (الزمر: من الآية٥٣) بالمعاصي، بما وقعوا فيه من ضلال، لا يصل بكم استعراض ماضيكم وما أنتم عليه، فترى أن ماضيك مظلم، وأن أعمالك كانت كلها أو معظمها قبيحة؛ فيتعزز في نفسك اليأس وتظن بأنه: جهنم، جهنم.

(٢٩) محاضرة التوبة، مصدر سابق.

﴿لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ (الزمر: من الآية٥٣) لا تيأسوا. والشيطان قد يعمل على أن يصل بالإنسان إلى اليأس، فإذا ما أتى إليك وأنت تحدث نفسك بماضيك وبمواقفك وبتقصيرك، فترى أن أعمالك الحسنة قليلة جداً، وأعمالك السيئة كثيرة جداً، فقد يعمل على أن يوجد لديك حالة من اليأس. الله يقول: ﴿لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ من رجاء رحمته، من أن تحظوا برحمته، وتحصلوا على ما يوصلكم إلى مستقر رحمته.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً﴾ (الزمر: من الآية٥٣) ما يبعد الإنسان عن رحمة الله هي: الذنوب، ما قد يجعله يقنط من رحمة الله هي: الذنوب، فهنا يقول: كل الذنوب قد جعل لها توبة، من كل الذنوب يمكن أن تتخلص ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً﴾ أيّ ذنب أنت فيه، أيّ ذنب وقعت فيه بإمكانك أن تتخلص منه وتتوب إلى الله منه، ليس هناك ذنب لا تقبل منه توبة، ليس له توبة ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (الزمر: من الآية٥٣) .

﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾ (الزمر: من الآية٥٤). أليس هنا يرشد؟ بعد أن دعا عباده حتى أولئك أو هي دعوة في أساسها موجهة إلى أولئك الذين أسرفوا على أنفسهم، أن يقول لهم: أن بإمكانهم أن يتخلصوا مما هم عليه فلا ييأسوا من رحمته فإنه غفور رحيم.

ثم وجههم إلى كيف يعملون، وهذا هو في القرآن الكريم من أظهر مظاهر رحمة الله -سبحانه وتعالى- بعباده، يحذرهم، ثم يرشدهم، ثم يبين لهم ما يمكن أن يحصلوا عليه من جزاء عظيم لرجوعهم إليه، تتكرر هذه في القرآن الكريم كثيراً؛ ليبين للناس كيف يعملون ليعودوا إليه، كيف يعملون ليحصلوا على ثوابه، كيف يعملون ليحصلوا على رضوانه." [٣٠]

الوسيلة الخامسة: الالتزام بالقيم الإيمانية ومكارم الأخلاق

مكارم الأخلاق هي من صميم الإيمان، ومن أساسيات الإسلام؛ ليست مجرد صفات مستحبة، أو كماليات هامشية، يتخلق الإنسان بها أو يتركها.

بل هي أساسيات لا يكتمل الإيمان إلا بها، ولا يتحقق دين الإسلام إلا من خلالها، وهي الأصل الذي يتفرع منه العمل، وتنبثق منه سلوكيات الناس وأعمالهم وتصرفاتهم.

وفي القرآن الكريم يصف الله عباده المؤمنين، بالالتزام بمكارم الأخلاق، لدرجة ربط مصير الإنسان وفوزه ونجاته، بزكاء النفس، وطهارة القلب، وصلاح الإنسان في أعماله

(٣٠) السيد/ حسين بدر الدين الحوثي، الدرس الحادي عشر من دروس معرفة الله، مصدر سابق.

وأقواله وتصرفاته، والتزامه في ذلك بهدى الله وتعليماته وأوامره، فقال جل شأنه ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ٩ – ١٠] وجعل الخيبة والخسران والهلاك والخذلان والضياع، لمن أهمل نفسه وأخزاها، ولم يهتم بإصلاحها وتزكيتها.

وتزكية النفس تتم من خلال التخلق بأخلاق الإسلام، وتطهير هذه النفس من الأعمال السيئة، والآفات المخزية، والخصال المشينة، التي تخالف توجيهات الله وتعليماته، والتي بها تدنس كرامتك، وبها يخزي الإنسان نفسه ويشوه إنسانيته ويغضب الله ويسخطه.

يقول السيد عبد الملك بدر الدين الحوثي: "الإنسان الذي يهمل نفسه ولا يزكيها ولا يعمل على أن تتخلق بأخلاق الإسلام، بمكارم الأخلاق، هو يضيع نفسه، هو يدنس نفسه، يصغرها يحقرها يضيعها يخفيها، ويعمل على إخزائها فيخسر الدنيا والآخرة، يخسر الخير كله.

فالإنسان الذي يهتم بنفسه، يحرص على صلاح نفسه، يحرص على تزكية نفسه، يحرص على أن يتخلق بأخلاق الإسلام، بأخلاق القرآن، التي بعث الأنبياء من أجلها، الأنبياء بعثوا من أجل مكارم الأخلاق، من أجل إصلاح الناس، من أجل تزكية انفسهم.

فالإنسان الذي يهتم بهذا هو يعمل لمصلحة نفسه، هو المستفيد شرفا وفخرا وذكرا وطهارة وقداسة وفوزا وفلاحا، هو الذي تحققت له إنسانيته، وحقق لنفسه بالله بالاستعانة بالله بالالتزام بتوجيهات الله بالتخلق بالأخلاق التي أمر الله بها، حقق لنفسه الكرامة الإنسانية الكرامة التي أراد الله للإنسان لبني آدم أن يكون عليها أن يكون مكرما ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ (الإسراء من الآية: ٧٠).

أما الإنسان الذي يهمل نفسه ويتهاون ولا يبالي بها وينفلت وراء هوى النفس، ووراء الشيطان وأولياء الشيطان، فيعمل ما تشتهيه نفسه، وما تهواه نفسه، وما يقوده اليه الشيطان وأولياء الشيطان، هو الخاسر، يتحول وينحط ويهون ويخرج من الكرامة التي أراد الله له أن يكون عليها، ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ الى أن يكون من شر الدواب، أشر عند الله من كل دابة، ودون مستوى الأنعام، ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ (الفرقان: من الآية٤٤) ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الأنفال: ٢٢]." (٣١)

(٣١) السيد عبد الملك بدر الدين الحوثي، الدرس العشرون من دروس مكارم الأخلاق، ١٤٣٤هـ

مكارم الأخلاق تجسد الانتماء للإسلام

جاء الإسلام ليرفع من مكانة الانسان ويعلي من شأنه، وينتشله من واقع الانحطاط والدناءة الى القداسة والطهارة والسمو، حيث يقوم برنامجه التربوي على ترسيخ مكارم الأخلاق والخصال الحميدة، فمن أعظم ما يصنعه الإيمان هو تزكية وتطهير النفس البشرية من الآفات التي تدنسها، والسمو بها عن الرذائل.

من يتأمل واقع أمتنا الإسلامية يعرف الفجوة الكبيرة، بين المسلمين وبين انتمائهم، ويدرك حجم الضرر الذي لحق بالإسلام نتيجة غياب الكثير من مكارم الأخلاق، ونتيجة البدائل المشينة التي حلت مكانها، فجلبت الشقاء والأزمات، وعدم الاستقرار النفسي والأمني، وصنعت في الذهنية صورة سيئة عن الإسلام.

وبدلاً من أن يكونوا نموذجاً جذاباً يشهد بعظمة الدين، قدموا صورة منفرة، وصنعوا بيئة طاردة، لا يرى البعض فيها ما يشده للانتماء إلى هذه الامة؛ عندما فقدوا العزة شوهوا الإسلام بذلهم وهوانهم وجبنهم وخنوعهم وخضوعهم للطغاة والمستكبرين، وعندما غاب الصدق انتشر الكذب على المستوى السياسي، والكذب في المعاملة، والكذب في الحديث، والكذب في الانتماء. وشوهوا الإسلام عندما غابت الأمانة وانتشرت الخيانة، وشوهوا الإسلام عندما غابت حالة الإخاء والوفاء والمروءة والإحسان، وساد بدلاً عنها الانانية والغدر والمكر والخيانة والإساءة والظلم مع بقاء المسميات وادعاء الإسلام.

ومن هنا يجب أن يفهم أي انسان مسلم، أن الالتزام بقيم الدين ومكارم الأخلاق، قضية أساسية في انتمائه إلى الإسلام، وفي علاقته بالله، واقتداءه برسوله، الذي قال الله عنه ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم:٤) وعليه أن يدرك أهميتها في تحقيق مواصفات المؤمنين، وبدونها لا فرق بيننا وبين الأمم الأخرى، وهي ما يميزنا عن فئات الضلال والكفر في هذا العالم.

"الإنسان المسلم الذي ينتمي الى الإسلام يجب عليه أن يحقق انتماءه للإسلام بالتزامه بأخلاق الإسلام، وان يحقق في واقعه صفات المؤمنين التي هي مكارم الأخلاق، بها يَكرُم الإنسان، وبها يَشرُف، وبها يعلوا يكون له مقامه الذي أراده الله له، ولذلك نجد في صفات المؤمنين في كل ما وصفهم الله به يصفهم بمكارم الأخلاق عندما قال -سبحانه وتعالى-: ﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: ١٧] هكذا تجد في كل صفات المؤمنين صفات هي مكارم الأخلاق، وأحسن الأخلاق. بينما نجد التأكيد من الله -سبحانه وتعالى-، ان من المهام الأساسية لرسل الله وأنبيائه ومنهم خاتمهم محمد -صلوات الله

عليه وعلى آله- هو أن يزكي الناس، وأن يصلحوهم، وأن يطهروهم، ويرفعوهم، ويستنقذوهم من مساوئ الأخلاق، ومن سيء الصفات، ومن الأعمال السيئة، قال الله -سبحانه وتعالى-، ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[الجمعة: ٢]

مكارم الأخلاق نور، هدى، وعي بصيره فهم، وهي أيضا صدق وحق وعدل، وكل ما وصف الله به عباده المؤمنين، وفاء، أمانه، شجاعة، مرؤة، كل الصفات التي وصف الله بها عباده المؤمنين."(٣٢)

الاخلاق أساس الحضارة(33)

الأخلاق هي أساس حضارة الأمم وحافز نهضتها، وهي الضامن لبقائها واستمراريتها وتأثيرها الإيجابي فيما ينفع البشرية، والأخلاق هي التي تصون المجتمع من التفكك وتبني الاسرة على القيم العظيمة وحالة الترابط الشرعي، وتحفظ للرجال والنساء عفتهم وكرامتهم، وعندما تدنس النفوس، وتذهب مكارم الاخلاق، تتفكك الاسرة وتتلاشى العائلة، وتتغير نظرة الإنسان إلى الحياة، ويتبدَّل واقعه العملي والحياتيّ، ويتحول الى إنسانٍ تائهٍ كل اهتمامه في اللهث وراء الرذيلة، و يعيش كالحيوان لا يفكر إلا في شهواته، وبالتالي يسهل تجنيده لخدمة العدو ويصبح قابلاً لارتكاب الجرائم الأخلاقية والأمنية.

ونتيجة لغياب الاخلاق والقيم والخواء الروحي، والطغيان المادي في المجتمع الأمريكي والغربي، نجد الأزمات النفسية والمشاكل الاجتماعية والتذمر وغياب حالة الرضى عن حياتهم، والشعور بالعبثية والضياع، وانعدام الإحساس بالكرامة التي أراداها الله للإنسان، ونجد تفكك الاسر والانفلات والفوضى واللامسوؤلية، فعندما انفصل الإنسان الغربي عن الجانب الروحي والديني والخلقي، أصبح همه الوحيد تحصيل اللذة والتركيز على البعد المادي، وأدى هذا الانفصال الى نتائج كارثية من أهمها ما يلي:

اولاً:التفكك الاسري

تعتبر المشاكل والأزمات الاجتماعية والتفكك الأسري من أكبر المشكلات التي أفرزتها الحضارة المادية الغربية وتمثل اليوم تهديداً خطيرا لاستقرارهم، فمجتمعهم بات اليوم مجتمعاً مبعثراً ومشتتاً لا يجمعه أواصر، ولا تربطه أية روابط أو علاقات،

(٣٢) المصدر السابق

(٣٣) ما ورد تحت هذا العنوان اوردنا بعضاً منه في طبيعة الصراع مع اهل الكتاب، وللأهمية أعدنا بعض تلك الاحصائيات.

سوى العلاقة الحرام التي لا قداسة ولا رحمة فيها ولا ثمرة طيبة لها. ففي المجتمع الاوربي والأمريكي تغيب الالفة والمحبة بين افراد المجتمع، وتنعدم الرحمة والحنان والشفقة داخل الأسر، وبات القتل بشكل يومي، فالابن يقتل امه وأخته، والزوج يقتل زوجته والشاب يقتل خليلته. "حسب الإحصائيات الأمريكية: ٨٠٪ من جرائم القتل هي جرائم عائلية، و(٢٤،٥٠٠) جريمة عائلية في عام ١٩٩٣م، و ٤٨ ٪ من الجرائم مسرحها البيت." [٣٤] كما انتشرت عادة ضرب الرجل لزوجته في أمريكا، وتقول الإحصاءات إن في أمريكا كل ١٥ ثانية يضرب أحد الأزواج زوجته ضرباً مبرحاً. [٣٥]. كما أظهرت دراسات أخرى "أن أربعة ملايني أمريكية يضربن كل سنة بمعدل واحدة كل ١٥ ثانية."[٣٦]

الامهات اللآتي وصلن الى مرحلة الشيخوخة لم يعد لهن قابلية في المجتمع، فالمرأة المسنة باتت منبوذة من قبل أولادها واحفادها ومكانها بدلاً عن الاسرة التشرد أو الانتقال الى دور المسنين والعجزة. " ارتفعت النسبة المئوية للبالغين من الرجال الذين يعيشون بمفردهم في الولايات المتحدة الأمريكية من ٣,٥ ٪ عام ١٩٥٦م إلى ٩,٤ ٪ في عام ١٩٩٤م، وبالنسبة للنساء ارتفعت من ٧,٣ ٪ إلى ١٤,٢ ٪ في نفس الأعوام. وفى بريطانيا تكشف الإحصاءات أن ٧٠ ٪ من النساء فوق سن ٨٥ يعشن وحدهن!." [٣٧]

ثانياً: انتشار الجريمة

ثمة كارثة اجتماعية أخرى تهدد المجتمع الأمريكي والغربي وهي كارثة الإدمان، حيث تورد الكثير من الدراسات ارقاماً مخيفة ونسباً مهولة عن تعاطي المخدرات والمسكرات المنتشرة بين الشباب في أمريكا، وأوضحت التقارير أن " الإنفاق على المخدرات في أمريكا وحدها يفوق إجمالي الإنتاج الوطني لأكثر من ٨٠ بلداً من البلدان النامية، كما تنتج شركات الخمور في أمريكا ما قيمته أكثر من ٢٤ ملياراً من الدولارات."[٣٨]

وترتفع معدلات الجريمة بكل أشكالها وأنواعها حتى باتت أرقامها في أمريكا وأوروبا تحسب بالدقيقة، وتتنوع ما بين الاغتصاب والسرقة والسطو والقتل وتعاطي المخدرات، والزنا.. الخ. "ففي كل دقيقة في الولايات المتحدة الأمريكية، هنالك ١,٣

(٣٤) المعرفة صفر ١٤٢١هـ.

(٣٥) حكم ضرب المرأة في الاسلام - الشرق الاوسط الإخبارية؛ متوفر على الرابط: https://a-awsat-alekhbaria.com/show-15063.html

(٣٦) المرجع نفسه.

(٣٧) أ: بدر محمد بدر- موقع باحثات لدراسات المرأة؛ «انهيار الحياة الزوجية في الغرب»، متوفر على الرابط: https://bahethat.com/article/ar3969/

(٣٨) حجاج، جريدة الغد، ٢٠١٠/٦/٥؛ متوفر على الرابط: https://alghad.com

حالة اغتصاب لنساء بالغات، وتغتصب ٧٨ امرأة في كل ساعة في الولايات المتحدة الأمريكية وهكذا في كل يوم هنالك ١٨٧١ امرأة بالغة تغتصب في أمريكا أي ما يعادل ٥٦٩١٦ امرأة شهرياً." (٣٩)

وتشير معظم التقارير والدراسات أن حياة معظم الأطفال باتت تحت التهديد والخطر سواء في البيت او المدرسة او الشارع وتقول الاحصائيات: "أن أمريكا في عام واحد شهدت ١٠,٠٠٠ حالة اغتصاب للأطفال تحت ١٢سنة، ٢٠ ٪ منها تم بواسطة الآباء." (٤٠)

ثالثاً: الازمات النفسية

تتزايد الأزمات النفسية وتتعاظم نتائجها المأساوية في أمريكا وأوربا واليابان وغيرها، وتتفاقم المشاكل الاجتماعية يوماً بعد يوم، والوقائع والأرقام تتحدث عن ارتفاع معدلات الانتحار، لدرجة باتت هذه الظاهرة تمثل ثالث سبب للوفاة عند الأشخاص الذين تتراوح أعمارهم بين ١٥ و١٩ عاماً. "ففي الولايات المتحدة كشفت إحصائية نشرتها صحيفة (**USA TODAY**) في مارس ٢٠٠٥م عن أن حالات الانتحار وصلت إلى ٢٩٠٠٠ حالة سنويّاً في أمريكا." (٤١) اضف لذلك ما يعانونه من التوتر والاكتئاب، وفي دراسة أجراها الباحثون في جامعة واشنطن وخرجت عام ١٩٩٩م تبين أن " أكثر من ١٥مليون أمريكي سنوياً يؤثر عليهم الاكتئاب، تشكل النساء نحو ١٠ ملايين منهم." (٤٢) وذكر تقرير للمعهد الاقتصادي الأمريكي، أن السؤكات الأمريكية تخسر ٣٦ مليار دولار سنوياً بسبب إصابة موظفيها بالاكتئاب، وقال المعهد في دراسته: " إن الاكتئاب يتحول الآن إلى وباء." (٤٣)

وفي ارتفاع ملحوظ في معدلات الامراض النفسية والعقلية، تذكر الإحصائيات بأن: "٥٠ مليون أمريكي يعرضون أنفسهم على العيادات النفسية سنوياً، وفي تقرير عن الصحة العامة في الولايات المتحدة فإن ٨ ملايين شخص يقاسون نوعاً أو آخر من الأمراض العقلية، يعالج من هذا العدد مليون شخص كل عام، ويشغل المرضى الذين يقاسون من بعض الأمراض العقلية والنفسية ما يربو على ٥٠ ٪ من مستشفيات الدولة." (٤٤)

---

(٣٩) «دراسة جديدة: ٩٤ في المئة من النساء الأمريكيات تعرضن للاعتداء»؛ متوفر على الرابط:http://alwaght.net/ar/News

(٤٠) البيان شعبان ١٤٢١هـ.

(٤١)«الانحلال الخُلقي والانتحار في الدول الغربية»، ٢٠١٥/٠٣/٢٢م؛ متوفر على الرابط:84104/https://www.alukah.net/sharia/0

(٤٢) المجتمع - العدد ١٣٧٩ - ١٤٢٠ هـ.

(٤٣) الأسرة - العدد ١٨ - ١٤١٥ هـ.

(٤٤) د. محمد أحمد المبيض؛ «الوضع النفسي في الغرب.. إحصائيات» ١١مايو٢٠١٢م

يقول الشهيد القائد -رضوان الله عليه-: "**عندما يكتبون عن دول الغرب، عن الحالة الاجتماعية في دول الغرب، حالة مقلقة جداً، القلق النفسي، التوتر النفسي الذي يجعلهم أحياناً يميلون إلى الحيوانات، يألفون الحيوانات، يألفون الكلاب، ويألفون مختلف الحيوانات، لم يعودوا يألفوا بعضهم بعض. إذا كنا لا نفهم إلا نمطاً معيناً من ضنك المعيشة فالله يخبرنا بأنه: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يستطيع أن يجند أيّ شيء، ولو فيروس معين يجعل حياتك ضنكاً.**" [٤٥]

وحسب الكثير من الدراسات أن الإنسان الغربي لم يعد مقتنعاً بالواقع الذي يعيشه، وهناك إدراك عميق وشعور بالضياع، فالبنية المادية التي بني عليها واقعهم، والتدمير الكلي للقيم والأخلاق، والانحلال الكامل أوقعهم في تناقض عميق مع الفطرة وكل ما يعانونه تعتبر نتيجة الانحراف والسقوط الأخلاقي والخواء الروحي ونتيجة الرؤية السياسية التي بني عليها واقعهم. "أظهرت دراسة أن ٢٨ ٪ من طلاب الجامعات الأمريكية مقتنعون أن الحياة جحيم لا معنى لها، وفي دراسة فإن واحداً من كل خمسة أمريكيين يعاني من التعاسة والكآبة والإحباط، و(٨٠ ٪) من الأمريكيات يعتقدن أن الحرية المطلقة هي سبب الانحلال والعنف." [٤٦]

نخلص إلى أن الإنسان عندما ينفصل عن فطرته ودينه يعيش حياته مأزوماً مهما توفرت الإمكانيات، ومهما تحقق له في الجانب المدني والجانب المادي، فلن تتحقق له السعادة إطلاقاً، لأن السعادة ليست بالمال، ومن هنا ندرك أن النجاح في الجانب المدني لوحده لا يصنع حضارة تليق بتكريم الإنسان وإنسانيته، فهناك جوانب روحية وفكرية ونفسية وأخلاقية لا بد من مراعاتها، لتكفل بناء حضارة متكاملة، وهذا الذي فشل فيه الغرب فشلاً ذريعاً.

(٤٥) السيد حسين بدر الدين الحوثي؛ «فإما يأتينكم مني هدى»، (صعدة: د.ت).

(٤٦) د. محمد أحمد المبيض؛ «الوضع النفسي في الغرب.. إحصائيات» ١١مايو٢٠١٢م

برنامج رجال الله وتأثيره النفسي والعملي

نختم هذا الفصل بالحديث عن أهمية هذه الوسائل التربوية ومنها برنامج رجال الله، الذي يمثل آلية عملية تربوية، يتحقق من خلالها إصلاح أنفسنا وتزكيتها، ونؤكد هنا أهمية هذه الوسائل في إعانتنا وتهيئتنا لأن نكون بمستوى المسؤولية العظيمة الجهادية، وفيما يقوي إيماننا وعلاقتنا بالله، فيقف إلى جانبنا ويؤيدنا وينصرنا في مواجهة طواغيت العالم.

ونحن في هذه المسيرة القرآنية، نعيش ظروفاً ونواجه تحديات مستمرة، نمسي على مستجدات، ونصحو على متغيرات، وربما تأتي أحداث ومشاكل كبيرة ومتغيرات عالمية، تستدعي أن نرتقي في واقعنا الإيماني، فنكون أقرب إلى الله، وأقرب إلى النصر و إلى التأييد الإلهي، ونكون في زكاء أنفسنا وطهارتها وصلاحها وانسجامها مع المسؤولية الجهادية بما يهيئ لنا أن نكون جديرين بأن يُمكِّننا الله ويستخلفنا في أرضه، ويكون معنا؛ وما أحوجنا إلى أن يكون الله معنا؛ لأن هذا أساس قوتنا وعزتنا، وهو الأساس الذي ننتصر من خلاله، وحينما يكون الله معنا تكون القوة والغلبة معنا، ونكون المنتصرين، ونسلم الكثير من المعاناة والأتعاب التي نعاني منها في واقعنا العملي نتيجة للتقصير والقصور، ونتجاوز مراحل الامتحان والاختبار الإلهي والمنزلقات الخطيرة في الحياة بنجاح، وفي هذا السياق أتى برنامج رجال الله، ليحقق هذا الهدف، ويكون وسيلة للهداية، وآلية تربوية تزكي النفوس، وتهيئنا للتمكين والإستخلاف والنصر.

"يقول -سبحانه وتعالى-: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج:٤١] ...هذه المسؤولية عندما نتحرك فيها كمجاهدين في سبيل الله هناك ما نحتاج إليه ليؤهلنا بأن نكون نفسياً في مستوى هذه المسؤولية، أن نكون في زكاء أنفسنا، في طهارة أنفسنا، في صلاح أنفسنا بمستوى هذه المسؤولية، بما يجعلنا في مستوى المسؤولية من جهة، وفي مستوى أن نكون جديرين بأن يكون الله معنا من جهة أخرى.

فهنا نتحدث وكنا بعد الحرب السادسة قدمنا (البرنامج اليومي) كبرنامج أساسي للمجاهدين؛ لأنه يلحظ هذا الجانب، الجانب التربوي الذي يترك الأثر الطيب في زكاء نفس الإنسان حتى يتحرك في سبيل الله -سبحانه وتعالى- بزكاء نفس، وطهارة قلب، وسداد لسان، واستقامة سلوك، لا يتحرك يريد أن ينصر الحق، أن يعلي كلمة الله، أن يقيم مبادئ الله وهو بعيد بنفسه عن ذلك، أو يرى نفسه ليس متناسباً مع طبيعة المهمة التي يتحرك من أجلها، نحتاج إلى الزكاء، زكاء النفوس، طهارة القلوب، الصلاح في النفس، في الموقف، في العمل، السداد في

الكلام، الإستقامة بشكل عام.

مما له أهمية كبيرة في العلاقة مع الله -سبحانه وتعالى- في بناء العلاقة مع الله -سبحانه وتعالى-، في تقوية العلاقة مع الله -سبحانه وتعالى-، في تطهير نفسية الإنسان، في زكاء نفس الإنسان، فيما يمثل عوناً للإنسان في القيام بمسؤوليته، في الاندفاع للقيام بمسؤوليته، في التناسب مع المسؤولية التي يتحرك من أجلها جملة من العبادات المهمة جداً."[٤٧]

(٤٧) الذين ان مكناهم، مصدر سابق

الخاتمة

التسليم لله هو أساس الاستقامة في واقع البشر، فلا يتم للإنسان أن يكون عبدا لله سائرا على صراطه المستقيم دون أن يقر بربوبية الله، ويسلم فيما هدى إليه، ويستقيم وفق ذلك في مسيرة حياته وفي مسؤولياته، ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ (فصلت: من الآية ٣٠) والتسليم لله هو الضمانة من الانحراف، وهو الأمان من الزيغ، وهو عند الابتلاء والاختبار الحتمي في الحياة، ورفض التسليم لله، والخروج عن تعليماته، هو سبب شقاء ومعاناة البشرية على امتداد تاريخها.

ومنذ بداية التاريخ البشري، كان التسليم ولا يزال هو المحك الذي يبين الصادق من الكاذب والخبيث من الطيب، ويظهر ما في أعماق النفوس، ويجلي العبد على حقيقته، فقد سقط إبليس حينما لم يوافق التوجيه الإلهي هوى النفس، وأنف أن يذعن لتوجيهات الله، وشقي آدم عندما خدعه الشيطان، فخالف توجيهات الله: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ (طه١٢٢).

وبعد أن سرد القرآن الكريم قصة آدم وإبليس والملائكة، وذكر المخالفات والاعتراضات والاختصام الذي حصل، ﴿مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [ص٦٩] والاخذ والرد الذي جرى حينما أخبر الله الملائكة بأنه سيجعل في الأرض خليفة، وحينما أمرهم بالسجود لآدم، وعندما رفض إبليس السجود له، وما حصل بعد ذلك عندما أغوى الشيطان آدم وحواء، وأكلا من الشجرة التي حذرهم الله منها، وحذرهم من الطاعة للشيطان، وبعد نسيانهم أنه عدو لهما.

وبعد كل ما حصل قدم درساً متكاملاً خلاصته، **أن الكل عبيد لله، وأنهم في مسيرتهم في أي عالم، الجن والإنس والملائكة، جميعهم مرتبطون بالله، أنه هو الذي يهدي ويرسم طريقة الإنسان في هذه الحياة وإلا سيضل ويتخبط ويشقى،** وقدم سنة إلهية ثابتة ومستمرة إلى آخر أيام الدنيا فحواها، أن الله يقدم للإنسان هدى من عنده هو ليسير عليه في الحياة ويستقيم عليه، ويلتزم به كلياً، وأن الإنسان إذا لم ينطلق في هذه الحياة على أساس هدى الله فسيكون مصيره الضلال والشقاء، مهما بدا ذكياً، ومهما كان لديه من قدرات ومعارف. ومهما قدم من بدائل يرى فيها الحكمة والمصلحة، يقول الله جل شأنه: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى﴾ (طه١٢٤).

بمعنى لا مكان للمزاج والهوى والترجيحات والتصنيفات والاعتراضات أمام ما

قدمه الله، وليس الانسان مخولاً أن يأخذ من الدين ما يريد ويعرض عما يريد، أو يمشي وفق ما يرغب خلافاً لما هدى إليه الله، وليس من صلاحياته أن يصنع لنفسه رؤىً ونظريات تخالف هدى الله في أي مجال من مجالات الحياة الفكرية و السياسية والاقتصادية، والاجتماعية...الخ، وأي بدائل منحرفة عن هدى الله، لم يعد اسم الإسلام ينطبق عليها، ولم يعد السير عليها يسمى إسلاما، وهي مرفوضة وغير مقبولة، ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (آل عمران : الآية ٨٥)

وبالتالي فالضمانة من الشقاء والضلال هي اتباع هدى الله والاستقامة عليه، والاخذ بأسباب الثبات، ووسائل التزكية والهداية التي تساعد على الاستقامة، وتقوي العلاقة بالله تعالى، والابتعاد عن جميع أسباب الانحراف والسقوط التي تخرج الإنسان عن خط العبودية لله إلى عبادة هوى النفس وعبادة الشيطان، وتعرضه للمؤاخذة والعقوبات الإلهية.

أرجو الله أن أكون قد وفقت فيما كتبته وفيما جمعته داخل هذا الكتاب، وأطلب ممن قرأ كتابي هذا أن يدعو لي بالتوفيق والسداد وحسن المسير وحسن الختام، والنجاة من عذاب الله في الدنيا والاخرة.

نسأل الله أن يهدينا ويوفقنا وأن يجعلنا من المستقيمين الثابتين على الحق، ونسأله ألّا يزغ قلوبنا وألّا يخذلنا، ونسأله ألّا يكلنا الى أنفسنا طرفة عين إنه على كل شيء قدير.

﴿رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ. رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وانصرنا على القوم الكافرين رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب، وصلى الله على محمد وعلى آله الطاهرين.

تم بحمد الله تعالى